التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

١٣٤

الأفق المبين

ﷺ

ولقد رآه بالأفق المبين

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

الكتاب	الأفق المبين ﷺ
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	٩ مارس ٢٠٢٢م، الموافق ٦ شعبان ١٤٤٣هـ
كتاب رقم	مائة وأربع وثلاثون
سلسلة	التفسير الموضوعى القرآن الكريم – الكتاب الرابع عشر
الداخلى	٢٥٦ ص*٨٠جم /١٤*٢٠، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط*٣٥٠ جم*٤ لون، سلوفان لميع
إيداع محلى	٢٠٢٢/٨١٢٧
ترقيم دولى	٩٧٨-٩٧٧-٩٤-١٣١٤-٣
بار كود	08127 9 789779 413143
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

متوفر الآن
أول تطبيق لفضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد
على متجر جوجل بلاي
بادر بالتحميل لمتابعة كل جديد

GET IT ON Google Play

https://qrgo.page.link/FKDJS

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين، والشكر لله على نعمة سيد الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد تاج بهاء المقربين ونور وجوه الساجدين، والروح والريحان لقلوب المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

قد منَّ الله علينا بتوفيقه ورضاه بحب حبيبه ومصطفاه، وجعلنا نعشق سيرته وشمائله وصفاته الظاهرة والباطنة، وألهمنا الله تعالى بكتابة كتب في نواحي عظمته ﷺ تجذب السالكين إلى هذا المثل الأعلى وترغبهم في الاقتداء بهديه وسيرته وشدة التمسك بشريعته وسنته وتدفعهم دفعاً إلى التخلق بأخلاق حضرته والتجمل ظاهرا وباطنا بكمال هيئته، عملا بقول الله تعالى لنا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١الأحزاب)

ومن هذه الكتب كتاب "حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق"، وكتاب "الكمالات المحمدية"، وكتاب "واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ"، وكتاب "السراج المنير"، وكتاب "إشراقات الإسراء" في جزئين، وكتاب "تجليَّات المعراج"، وكتاب "الجمال المحمدي"، وكتاب "الرحمة المهداة"، وكتاب "دلائل الفرح بالرحمة المهداة ﷺ"، وكتاب "الآداب القرآنية مع خير البرية"، وكتاب "خصائص النبي الخاتم" ، وكتاب "ثانى اثنين".

ولما كان خير من يتحدث عن النبي ﷺ هو الله ﷻ في كتابه القرآن الكريم فقد استصفينا في هذا الكتاب الذي سميَّناه "الأفق المبين" أخذا من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾(٢٣التكوير)، بعض المواضع التي نوَّهت بالصفات الباهرة والأخلاق النيرة والعناية العظمى من الله بحبيبه ومصطفاه، ووضحناها وبينا ما فيها من لطائف الإشارات وكريم العبارات ومزيد العنايات في معاملة الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ، فجاء كتاباً فريدا في مادته العلمية عظيم الفائدة للسالكين والعارفين والمحبين لسيد الأولين والآخرين.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا به مزيد الحب في حبيبه، وقرب القرابة من رحابه، وأن يلزمنا في عقد أهل معيته، ويتفضل علينا فيشملنا بشفاعته، ويؤيدنا بسرِّه ومدد حضرته ... إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

والصلاة والسلام على نبينا الحبيب الذي أخبر عن ربه القريب "أنَّ لله في كلِّ نفسٍ مائةُ ألفِ فرجٍ قريب" وسلم.

الجميزة – غربية

الخميس، ٩ رجب ١٤٤٣هـ، ١٠ فبراير ٢٠٢٢م.

البريد: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الشـيخ على الإنترنت
WWW.fawzyabuzeid.com

تطبيق موقع الشيخ على جوجل بلاى للموبايل
https://qrgo.page.link/FKDJS

البريد الإليكترونى
fawzy@fawzyabuzeid.com, fawzyabuzeid٤٨@gmail.com
fawzyabuzeid@hotmail.com, fawzyabuzeid@yahoo.com

لحضور مجالس ودروس ولقاءات العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد على الهواء مباشرةً وللبثِّ الحىِّ: تابعوا صفحات (الفيسبوك) و(اليوتيوب) و(الموقع الرسمى)

الموقع الرسمى لفضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد	https://www.fawzyabuzeid.com
Official site of Shaikh Fawzy Mohamed Abuzeid in English	https://www.fawzyabuzeid.com/en/
الصفحة الرسمية للشيخ فوزى محمد أبوزيد	https://www.facebook.com/fawzy.abuzeid
صفحة الشيخ فوزى محمد أبوزيد بالإنجليزية	https://www.facebook.com/fawzyabuzeid٢
مكتبة الشيخ فوزى محمد أبوزيد	https://www.facebook.com/fawzyabuzeid.library
صفحة الخطب الإلهامية العصرية	https://www.facebook.com/khotab
صفحة قضايا الشباب المعاصر	https://www.facebook.com/shbabmoaser
صفحة المؤمنات القانتات	https://www.facebook.com/qanetat
صفحة التربية الصوفية فى القرآن والسنة	https://www.facebook.com/alsoufia
صفحة إشارات العارفين	https://www.facebook.com/esharatelaarfeen
قناة اليوتيوب ١	https://www.youtube.com/c/fawzyabuzeid١
قناة اليوتيوب ٢	https://www.youtube.com/user/eadase

الفصل الأول

فضل النبي ﷺ على سائر المرسلين

جمع النبي لمعجزات الرسل السابقين

القرآن والكتب السابقة

بين نوح ونبينا

بين الحبيب والخليل

بين الكليم والحبيب

بين عيسى ومحمد

داود وسليمان

الفصل الأول

فضل النبي ﷺ على سائر المرسلين [1]

اعتاد سلفنا الصالح رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين أن يقوموا ومعهم المحبون والمريدون والسالكون بالاحتفاء بميلاد حضرة النبي ﷺ من اليوم الأول من شهر ربيع الأول، إلى ليلة الثاني عشر وهي ليلة الميلاد.

وكان احتفاؤهم في ذلك أن يقصُّوا على الأحباب قصة الميلاد، ولأن الناس كان معظمهم أميين فألَّف كل رجل من كبار الصالحين كتاباً عن ميلاد سيد الأولين والآخرين، وكان أحد القارئين يقرأه بصوت مسموع، والباقي يستمعون إليه بخشوع وخضوع، ويتخلل هذا الكتاب الذي يصف ميلاد النبي ﷺ قصائد نظمية يغنونها بأغاني جماعية ليُعلنوا الفرح والسرور بمولد النور الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ.

وكان كل إقليم من الأقاليم الإسلامية يشتهر فيه كتاب يقرأونه في المولد بحسب ما غلب عليهم في أحوالهم، فمثلاً في بلاد العراق والخليج العربي كان يغلب عليهم كتاب البرزنجي، وهو رجلٌ من الصالحين.

وكان يغلب على أهل مصر قراءة كتاب المولد للمناوي، والمناوي رجلٌ من الصالحين الأصفياء الأتقياء، وكان من أهل مصر فكانوا يقرأون كتابه، ويتغنون بالحكم النظمية الموجودة خلاله، ويفرحون بذلك صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، لأن الله قال في قرآنه ﷻ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (سورة يونس).

والإمام أبو العزائم رضي الله عنه لأنه وُجد في بداية القرن العشرين، وكانت الأمية ما زالت منتشرة في عصره، وضع كتاباً لأحبابه والسالكين على طريقه سمَّاه (بشائر الأخيار في مولد المختار) وكنا نقرأه جميعاً في هذه الليالي لأنه يقول لنا فيه: يتعيَّن على آل العزائم أن يحيوا الليالي الإثنى عشر جميعاً من شهر ربيع اكراماً لميلاد سيدنا رسول الله ﷺ.

---

١ الغربية– السنطة – الجميزة - ٧ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ١٤/١٠/٢٠٢١م

والإمام أبو العزائم ﵁ وأرضاه كما هو دأبه وعادته، يأتي لنا بالجديد الذي منه نستفيد، وليس عن غيره من السابقين، ولكن استنباطاً واستلهاماً من كتاب رب العالمين؛ القرآن الكريم، فبعد أن كتب مولده المبارك، جاء بعد المولد في ختام الكتاب بكلام عظيم في فضل النبي ﷺ، وتفضيل الله ﷻ له على سائر الأنبياء والمرسلين.

جمع النبي لمعجزات الرسل السابقين

وركَّز على شيء واحد وهو أن الله ﷻ جمع لرسول الله ﷺ كل معجزات الأنبياء والمرسلين السابقين، فما من معجزة أو معجزات ظهرت على أيدي نبي من أنبياء الله، أو رسول من رسل الله، إلا وأظهرها الله على يد حبيبه ومصطفاه ﷺ.

وقد جمعت كتب السيرة حوالي ثلاثة آلاف معجزة لحضرة النبي ﷺ، وهذا ما تيسر لهم جمعه عن طريق الروايات الصحيحة، وكلها تُثبت أنه ﷺ مُؤيدٌ من الله بالله ﷻ، وصدق الإمام البوصيري ﵁ إذ يقول عن حضرته في بردته:

وكلُّ آيٍ أتى الرسلُ الكرامُ بها فإنما اتصلت من نوره بهم

و"آيٍ" يعني معجزات، فكلُّ المعجزات إنما هي إشراقات لنور النُّبَوة الأعظم للحبيب المصطفى ﷺ.

ونظراً لأن هذه الكلمات التي كتبها الإمام ﵁ من الحكم النادرة التي لا تجدها في كتب الأولين، فقد رأيتُ أن أذكر بعضها بعد أن نسَّقتها تنسيقاً طيباً يلائم الأحبة.

القرآن والكتب السابقة

قال ﵁ مبيناً فضله على سائر الأنبياء والمرسلين: جعل الله ﷻ كتاب آدم كلمات، فقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ (٣٧البقرة)، كما كان كتاب إبراهيم ﵇ كلمات: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ (١٢٤البقرة)، وكتاب موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام صُحف: ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (١٩الأعلى).

وجاء كتاب نبي الختام وهو القرآن، مهميناً على جميع الكتب السابقة لأنبياء الله ورسل الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة) فهو هيمن على هذه الكتب السابقة.

وتحدّى الملائكة .. تحدَّى آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام الملائكة بالكلمات والأسماء؛ فقال: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (البقرة)، ولكن الله ﷻ أعجز الجنَّ والإنس جميعاً، وتحدَّاهم نبينا ﷺ أن يأتوا بمثل هذا الكلام أو بصورة منه، فعجزوا جميعاً عن الإتيان ولو بآية منه، لأنه كلام الله ﷻ.

وقال تعالى مخبراً عن آدم: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ (طه).. وأثنى على حبيبه ﷺ وقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (النجم).

فانظر الفرق بين الإثنين، تجد الفرق كالفرق بين المحبِّ والمحبوب، فكلُّ رسل الله محبون، ورسول الله ﷺ هو وحده المحبوب والمطلوب لربِّ العالمين ﷻ.

ونأخذ بعضاً من أنبياء الله ورسله على سبيل المثال، مقارناً بين ما أيَّدهم الله به من معجزات، وما أيَّد به رسولنا ﷺ في ذات المعجزات.

بين نوح ونبينا

فسيدنا نوحٌ عليه السلام: طلب الفتح من ربه، فقال كما قال الله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء)، طلب الفتح من الله، والحبيب ﷺ بشَّره الله بالفتح المبين بغير طلب، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح).

وأيَّد الله نوحًا عليه السلام عندما فار الطوفان بأن أمسك سفينته على الماء، وهذه المعجزة حدثت مع سيد الرسل والأنبياء، فقد كان ﷺ واقفاً على شط بُحيرة بين جبلين، وجاءه عِكرمة بن أبي جهل فدعاه إلى الإيمان، فقال: لئن كنت صادقاً فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق، فأشار الرسول إليه، فانقلع الحجر الذي أشار إليه من مكانه، وسبح حتى صار بين يدي الرسول عليه السلام، وسلَّم عليه، وشهد له بالرسالة، فقال النبي ﷺ: يكفيك هذا؟ قال: حتى يرجع إلى مكانه، فأمره النبي عليه

الصلاة والسلام، فرجع إلى مكانه[٢]

وقد أكرم الله ﷻ أتباع النبي بالسير على الماء في مرات كثيرة في الفتوحات الإسلامية، مرة في فتح البحرين، ومرة في فتح بلاد فارس، وكلها وقائع تاريخية ثابتة.

ونوحٌ عليه السلام طلب النصر من ربه، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ (٣٩المؤمنون) ولكن حبيب الله ﷻ وعده الله بالنصر قبل القبل، وقال لصحبه المباركين: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (٤٠التوبة) لم يقُل فقد ينصره الله، وإنما (فقد نصره الله) قبل تكوين الكائنات، ولذلك كان خاتم نبوته على ظهره من الناحية اليُسرى مقابل لقلبه، مكتوباً عليه بقلم القدرة الإلهية: ((تَوجَّه حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَنصُورٌ)) [٣].

بين الحبيب والخليل

فإذا انتقلنا إلى خليل الله وأبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، فقد قال لقومه: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ (٩٩الصافات) يعني يبحث عن الهداية، وقال الله ﷻ لحبيبه ﷺ بدون طلب: ﴿ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ (٢الفتح) ثم أمره أن يُعلن هذا للجميع، فقال له: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (١٦١الأنعام).

وإبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام يطلب من الله أن يغفر له يوم الدين، ويقول كما قال ربُّ العالمين: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾ (٨٢الشعراء) لكن حبيب ربّ العالمين ﷺ أعلن الله أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الدنيا فقال: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ (الفتح).

وإبراهيم عليه السلام طلب من الله ألا يخزيه، أي لا يفضحه بين الخلائق يوم البعث والنشور، فقال ولم يُشرك معه أحدٌ من قومه ولا بنيه: ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾ (٨٧الشعراء) لكن الله ﷻ طمأن النبي وأتباع النبي فقال:

---

٢ مختصر المواهب اللدنية للقسطلانى فى صحيح سيرة النبى ﷺ
٣ البداية والنهاية وسير أعلام النبلاء

﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ (٨التحريم).

جعل الله ﷻ النار لإبراهيم عندما أُلقي فيها برداً وسلاماً، فقال سبحانه: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٦٩الأنبياء) أي برداً خفيفاً لطيفاً منعشاً لا يُؤذي، ورسول الله ﷺ أتت إليه أم محمد بن حاطب ومعها ابنها محمد وقد احترق جلده، فأخذ ﷺ يتفل بريقه على يده، ويضعها على جسمه، ويقول:

{ أَذْهِبْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ }[٤]

فقام من بين يديه صحيحاً كأنه لم يمسّه حرقٌ قط.

وإبراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار، وجاءه الأمين جبريل، وقال: ألك حاجة؟ قال: حسبي ربي، ولكن الله ﷻ قال لحبيبه ﷺ بدون طلب في أشد المواقف صعوبة وشدة: ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾ (٦٤الأنفال) وفارقٌ كبيرٌ بين "حسبي ربي" في مقام الربوبية، وبين "حسبك الله" في مقام الألوهية، أي يكفيك الله في أي أمر، ولذلك كان يقول ﷺ:

{ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا }[٥]

وإبراهيم قال فيه الله في مقامه عند مولاه الذي صار فيه خليلاً لله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥الأنعام)

أما مقام حبيب الله، فاستمع فيه بأُذن القلب إلى قول الله:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (١٨النجم)

وقال أيضاً: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (٩النجم) انظر إلى هذا وهذا تعرف الفارق بين المقامين، وتعرف قدر نبيك الأعظم ﷺ.

وإبراهيم دعا الله أن يجعل له لسان صدق في أمة الحبيب، فقال:

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ (٨٤الشعراء) فصدقه الحبيب عندما أمرنا بأن نصلّي على حضرته في الصلاة، فقال قولوا:

---

٤ مسند أحمد والطبراني عن محمد بن حاطب ﷺ

٥ البخاري ومسلم عن سهل بن حنيف ﷺ

{ قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }[٦]

فأصبح الآخرون وهم أمة الختام يذكرونه في كل صلاة بأن يصلوا عليه كما أمرنا به حبيب الله ومصطفاه.

والله ﷻ لم يحرم حبيبه من ذلك بغير سؤال، لأنه عوَّده أن يُعطيه ويمنحه كل عطاء ونوال بلا طلب، لأنه حبيب الواحد المتعال.

وقال الله عن أهل بيته:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٣٣الأحزاب)

بين الكليم والحبيب

فإذا انتقلنا إلى سيدنا موسى كليم الله، وسيدنا موسى أكثر الأنبياء الذين تحدث عنهم كتاب الله، في أماكن عديدة من القرآن الكريم، لما لاقاه مع قومه من العنت والشدة، يقول سيدنا موسى عندما كلَّفه الله بالرسالة: ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ (٢٥طه) ولكن الله يقول للحبيب بغير طلب: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (١الشرح) فشرح الله صدره بلا طلب ولا سؤال.

وقال موسى يريد أن يؤيده الله بمن يعينه على إبلاغ دعوة الله:

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ٢٩ هَـٰرُونَ أَخِى ٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ (طه) والله ﷻ لا يريد أن يعين حبيبه أحدٌ غيره ﷻ، فقال عز شأنه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤الشرح) أي تُقرن بي في الشهادة والأذان، فلا تُقبل لا إله إلا الله إلا ومعها محمدٌ رسول الله، وهذا يعني أن لا أوازرك بغيري، لأنك من أهلي، فأنا ظهيرك ومعينك، لا أشد أزرك بغيري ﷻ.

---

٦ البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة ﷺ

وقال سبحانه لموسى عليه السلام بعد تمكينه في المقام، وإجابة ما طلبه من الله ﷻ وهو يكلمه ﷻ في ظل الغمام: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (٣٦طه) فحدِّد عطاءك أي لا تسأل شيئاً بعد ذلك، فجعل عطاءه محدوداً، وقال لحبيبه ﷺ بعد أن رفعه الله إليه، فتجاوز كل مقام: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤طه) لم يحدد له حدَّاً، وطلب منه أن يطلب المزيد من كل أمر من الحميد المجيد سبحانه وتعالى.

موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام قال: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ (١٤٣الأعراف) لن يراه وهو في محل العبودية، وإنما سيراه في الحياة الأُخروية عندما يكون في النشأة الثانية الأُخروية، لكن رسول الله ﷺ قال الله في شأنه: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (٩النجم) وقال: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (١٧النجم) أي رأى الله جلَّ الله في مقام الربوبية، وهو متدثر بأجمل ملابس العبدية، رأى الله جل الله ﷻ بلا كيف ولا كم ولا حد، ولكن بأنوار تعالت معنوية.

وموسى عندما ظهرت له بعض الأنوار الإلهية، خرَّ صعقا، ولم يثبت، ففاضت عليه الأنوار، لأن الله خصَّه بالكلام وإدراك المعاني، فمقامه مقام من سمع، ورأى ما رأى من الأنوار وهو فوق الجبل، لكن الحبيب ﷺ رأى ربه عند ربه في عُلوه فثبت له، وغابت فيه الأنوار لسعته، فرأى ﷺ ربه في حضرة الربوبية، ولكلامه سبحانه صغى، فمقامه مقام من شهد العين بالعين، فرأى ربه عند ربه في عُلوه، وبه سبحانه إليه وصل.

موسى رأى التجليات وأنوارها على قدر الجبل، لكن رسول الله ﷺ رأى بعدما دنى فتدلى ما يطيقه من أنوار الله ﷻ في هذا المقام الأجلّ، وثبت لرؤيته تبارك وتعالى.

اشتاق موسى إلى الله فعجل عليه شوقاً وقال: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ (٨٤طه) ولكن الحبيب ﷺ اشتاق إليه مولاه، وتقرب سبحانه وتعالى إليه وقرَّبه إلى حضرته وأعلن على الملأ جميعاً رضاه، وأنه هو المحبوب الأوحد لذات الله، وقال له في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى) يعني في المستقبل، يقول سيدنا حسانُ بن ثابت رضي الله عنه:

قرأنا في الضُحى ولسوف يُعطي ... فسرَّ قلوبنا ذاك العطاءُ
وحاشا يا رسول الله ترضى ... وفينا من يُعذَّب أو يُساءُ

وعملوا حفلاً عظيماً بنزول هذه الآية، بشرى بهذه العناية التي تفضل الله بها على حبيبه ومصطفاه ﷺ.

ويقول سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه: ((ولا يرضى ﷺ وواحدٌ من أمته في النار)) لأنه يشفع فيهم ويُكرر الشفاعة حتى يخرجوا جميعاً بشفاعته، قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[٧]

موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام اصطنعه الله ﷻ لنفسه، ولكنه جعل بينه وبينه لام الملك، يعني هناك فارق ليس مقام اتحاد، ولكن مقام تفرقة: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ (طه)، وأقام سيدنا محمد ﷺ مقامه في الملك، وجعل حبيبه ﷺ بدلاً من نفسه، تفضلاً وتعظيما فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ (الفتح)، لم يقُل كأنما يبايعون الله، فلم يفصل، وإنما وصل وقال: (إنما يبايعون الله).

وقال: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح) فلو قال: يد الله فوق أيديكم، لكان من جملة الأيدي يد رسول الله ﷺ، لكن اليد التي كانت فوق أيديهم هي يد رسول الله، التي قال فيها الله: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾، وقال عنه ﷺ حينما رمى في غزوة بدر: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال).

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام أخبره الله عندما جمَّله ببعض أوصافه فقال: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ (طه)، ولكن حبيب الله ومصطفاه ﷺ قال له الله: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور)؛ وفارقٌ كبيرٌ بين المقامين لمن فقه هذه الإشارات.

وقال الله لموسى عليه السلام: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف)، ولكنه قال لحبيبه ﷺ بدون فصل بينه وبينه: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ثم قال في وصف حبيبه: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ ثم قال: ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح) ... فوصل مدحه بمدح ذاته ﷻ إعلاءاً لقدره ورفعة لشأنه.

---

٧ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس رضي الله عنه

وقال لنا جماعة المؤمنين: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (التوبة) وكان المقتضى اللغوي أن يقول: والله ورسوله أحق أن يرضوهما، لأن الله والرسول اثنان، والضمير يعود على أقرب مذكور، لكنه قال (وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ) أي يرضوا رسوله لأن من يُرضي الرسول فقد أرضى الله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ (النساء).

سيدنا موسى كليم الله ومجتباه، وسيدنا محمد ﷺ محبوب الله ومصطفاه.

قال موسى عليه السلام عندما أوشك فرعون وقومه أن يدركوه هو وبني إسرائيل عند البحر الأحمر: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ (الشعراء)، فنال معيَّة الربوبية؛ لكن رسول الله ﷺ وهو في الغار قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ (التوبة) فنال معيَّة الألوهية.

وموسى قدَّم معيَّته على ربِّه، فقال: (إِنَّ مَعِيَ) أي معيته أولاً، لكن الحبيب للطف أدبه قال: (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ) فقدَّم الله على معيّته، وأشرك الأمة كلها في هذه المعيَّة غير نفسه، لكن موسى اقتصر في المعيّة على نفسه فقط، فخصَّ موسى نفسه بالمعية دون غيره، لكن الحبيب شمل الكلَّ وجمع الكلَّ كما كانت رحمته ﷺ لكلِّ العالمين.

فلق الله البحر لموسى عندما أدرك فرعون قومه فضرب بعصاه البحر فانشق، وفلق الله لحبيبه القمر في السماء عندما أشار إليه في ليلة النصف من شعبان بأصبعه، فانشق نصفين، نصفٌ على جبل الصفا، ونصفٌ على جبل المروة.

عندما تاه بنو إسرائيل في سيناء واحتاجوا إلى الماء، أمر الله موسى أن يحمل حجراً وأن يضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد قبائل بني إسرائيل، كلُّ قبيلة تشرب من عين من عيون الماء التي في الحجر؛ لكن الحبيب ﷺ في أكثر من واقعة يحتاج ومن معه في الغزوات إلى الماء، ولا يجدون ماءًا ... مرة يضع السهم من كنانته في البئر وهو جافٌ، فيتفجر منه الماء ويشرب الجميع، ومرة في صُلح الحُديبية يقول: أليس عندكم ماء فيأتونه بقدر قليل يضعوه في إناء فيضع فيه يده الشريفة، فتتفجر من أصابعه المياه والكلُّ يشرب، وكان عددهم حوالي ألفاً وأربعمائة، فتفجير الماء من الأصابع غير تفجير الماء من الحجر، فسبحان من يعتبر بهذه العبر لأن فيها مقامٌ كريم لنبينا العظيم.

موسى عندما تاه مع قومه وهو في سيناء، والجو كان شديد الحرارة، وهي صحراء جرداء: طلب من الله أن يظللهم بالغمام، فظللهم الله بالغمام طوال سيرهم أربعين عاماً،

وكان ذلك في زمن نبوته، لكن نبينا ﷺ عندما ذهب متاجراً للسيدة خديجة قبل بعثته، حكى غلامها لها عندما رجع أنه رأى غمامة تُظلله أينما حلَّ وأينما سار، وكان ذلك قبل نبوته.

موسى جعل الله عصاه تنقلب إلى ثعبان، وأبو جهل كان لرجل أجنبيٍّ عن مكة عنده قدرٌ من المال، وكان يماطل في أدائه، فأراد القوم وهم كفار قريش أن يستهزؤوا به، فأشاروا إلى النبي وقالوا له: هذا الذي يأتي لك بمالك، فذهب إليه النبي ﷺ ودقَّ الباب، فخرج وقال له النبي: { **أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ، فقال: نَعَمْ، لا تَبْرَحْ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ، قَالَ: فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، بعد أن ذهب رسول الله ومعه الرجل أسرع الكفار إلى أبي جهل وسألوه: وَيْلَكَ، مَا لَكَ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ، فَقَالَ: وَيْحَكُمْ، وَاللَّهِ إِنْ هُوَ إلا أَنْ ضَرَبَ الْبَابَ وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ فَمُلِئْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلا مِنَ الإِبِلِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ وَلا قَصَرَتِهِ وَلا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، وَاللَّهِ لَوْ أَبَيْتُ لأَكَلَنِي** }[٨]

بين عيسى ومحمد

وننتقل إلى سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

عيسى يقول لربه أنه شهيدٌ على أمته في حياته، طالما هو بينهم: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (١١٧المائدة). لكن رسول الله ﷺ سيدنا محمد شهيداً على كل الأمم قبل وبعد وأثناء حياته: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١النساء) فهو شاهدٌ على الأنبياء وأممهم أجمعين، وهو شاهدٌ على الخلق أجمعين، لأن الله قال له في خطاب التكليف: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤٥الأحزاب).

وعيسى يقول لربّه: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (١١٨المائدة)، والله ﷻ يقول لحبيبه رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (٣٣الأنفال).

أحيا عيسى الموتى بإذن الله: وأحيا الله ﷻ للحبيب الشاة المسمومة التي سمَّتها المرأة اليهودية في خيبر، وجاءوا له بالذراع وكان يحبُّها، وعندما أراد أن يضعها في فيه، قال:

---

٨ دلائل النبوة لأبي نعيم وللبيهقي

{ إنَّ عُضوًا من أعضائِها يخبِرُني أنَّها مسمومةٌ، فامتنعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وامتنعَ من معَهُ }[٩]

ورسول الله ﷺ ردَّ حدقة الصحابي بعد سقوطها يوم أُحد، فأبصر بإذن الله.

وكان سيدنا عيسى يُخبر الناس بما في بيوتهم من الأشياء الخفيَّات: ورسول الله ﷺ له في ذلك المجال قصصٌ جليَّات، أبرزها عندما طلب من العباس بن عبد المطلب أن يفدي نفسه وابن أخيه، قال: ليس عندي مال، قال له:

{ فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ، حَيْثُ خَرَجْتَ، عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ، وَلَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ غَيْرَكُمَا، فَقُلْتَ: إِنْ أُصِبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَلِلْفَضْلِ كَذَا، وَلِقُثَمَ كَذَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا؟ قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرُهَا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ }[١٠]

داود وسليمان

وإذا انتقلنا إلى سيدنا داود عليه السلام، وسيدنا داود كما قال الله عنه: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ (سبأ) أي سبحي، فسبحت الجبال معه، وسيدنا رسول الله سبَّحت الأحجار في يده الشريفة، وفي يد أصحابه بفصيح الكلام.

سيدنا داود لم يسمع تسبيح الجبال معه إلا هو، أي لا يسمع من حوله، لكن رسول الله وضع الحجر في كفه فسبَّح بصوت والكلُّ سمعه، ووضعها في كف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهي تسبّحُ والكلُّ يسمع تسبيحها.

ألان الله ﷻ لسيدنا داود الحديد، فكان يمسك الحديد فيلين في يده، ورسول الله ﷺ عندما كان في هجرته، ووصل إلى خيمة أم معبد سألها هو والصديق عن شيء يطعماه، فقالت: ليس عندي إلا شاةٌ عجماء تركها زوجي، يعني شاة ليست تُدر اللبن ولذلك تركها زوجي، فطلب منها النبي ﷺ أن تأتي بها، ووضع يده على ضرعها فدرَّت لبناً، وجاءت بإناء تلو إناء وهو يُنزل اللبن في هذه الآنية، لأن الله ﷻ جعل يده لا

---

٩ مسند البزار عن أنس ﷺ

١٠ مسند أحمد ودلائل النبوة لأبي نعيم عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما

تمسُّ شيئاً إلا وكان فيه بركة من الله ﷻ.

وداود حشر له الطير إكراماً، وسيدنا محمد ﷺ سخَّر الله له البراق إعظاما.

أما سيدنا سليمان، فقد ردَّ الله له الشمس مرة وهو يحارب الكافرين، وردَّها الله لنبينا عندما كان نائماً على حجر الإمام علي، وأوشكت الشمس على المغيب، ولم يكن عليّ قد صلَّى العصر، فقام النبي وقال:

{ اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ عَلِيًّا احْتَبَسَ بِنَفْسِهِ عَلَى نَبِيِّهِ فَرُدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ، قَالَتْ: فَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَتَّى رُفِعَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَعَلَى الْأَرْضِ، وَقَامَ عَلِيٌّ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ غَابَتْ }[11]

علَّم الله سيدنا سليمان منطق الطير: ورسول الله ﷺ تكلم فيما لا يُحصى، مرة مع الطائر الذي فُجع بولده، ومرة مع الضبُّ الذي كان يحمله الأعرابي وشهد لرسول الله ﷺ بالرسالة، ومرة مع الجمل الذي شكا صاحبه أنه يُجيعه ويُحمله ما لا يطيق، وغير ذلك.

أكرم الله سيدنا سليمان بأن سخَّر له الريح تحمله: ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ): لكن رسول الله ﷺ ذهب من مكة إلى بيت المقدس، ثم إلى السماوات العلا سماءً تلو سماء، ودخل الجنات ودخل إلى النار، ثم إلى العرش، ثم إلى الكرسي، ثم إلى قاب قوسين أو أدنى، ورجع وفراشه الذي كان ينام عليه ما زال ساخناً، أي لم يبرُد بعد.

فمعجزات رسول الله ﷺ كما قال الإمام البوصيري رضي الله عنه:

فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيُعرب عنه ناطقٌ بفم

أردت أن أشير إلى بعض المقامات التي ذكرها إمامنا لتعلموا أن:

شَرابَنا مِنْ غيرنا في عصرنا لا تُشْربن ... إلا لنَا وبنا بسرِّ الوالي

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١١ المعجم الكبير للطبراني عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها

الفصل الثاني

الاحتفال بميلاد النبي ﷺ

تذكر نعمة الله علينا

الفرح بفضل الله ورحمته

احتفاله ﷺ بمولده

الصلاة على النبي

فضل النبي على أمته يوم القيامة

الفصل الثانى
الاحتفال بميلاد النبي ﷺ[١٢]

الحمد لله رب العالمين، الذي اختار لنا الإسلام دينا، والقرآن كتاباً، وسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهٌ واحدٌ أحد، لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، اختاره الله ﷻ لرسالته، وأمره بإبلاغ دعوته، ووعده بأن من اتبع هُداه ومشى على هديه دخل جنته، ومن خالفه واتبع هواه وضلَّ باء في جهنم بشقوته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي هديتنا به بعد ضلالة، وعلَّمتنا به بعد جهالة، وجمعتنا به بعد فُرقة، وأعززتنا به بعد ذلة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين، في الدنيا والآخرة يا رب العالمين.

في أيام ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، ماذا يطالب الله ﷻ منا جماعة المسلمين نحو حضرته؟ يطلب منا أموراً نسمعها سوياً في كتاب الله.

تذكر نعمة الله علينا

أول أمر يطلبه منا جميعاً معشر المسلمين الله: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران) تذكروا واستحضروا نعمة الله العُظمى علينا التي هي أعظم من جميع النعم الحسية والكونية، أعظم من نعمة الشمس والأرض والقمر والنباتات والحيوانات وغيرها، لأنها سبب الهداية وسبب العناية، وعلى يديه نزَّل الله لنا خير كتاب، وبه نقلنا ﷻ من الضلالة والغواية، إلى الرُشد والهداية.

﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (آل عمران)

ما النعمة التي ألَّف الله بها بين القلوب المتنافرة؟

هي نعمة رسول الله ﷺ، فأصبحتم بنعمته ﷺ إخواناً متآلفين متحابين متوادين، يهب الأخ لأخيه في الدين ما يتصارع عليه الإخوة من الأم والأب، يقسم معه ماله

١٢ بركة السبع – المنوفية ٨ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ١٥/١٠/٢٠٢١م

وداره وكل شيء يملكه برضاء نفس وطيب خاطر لأن الله شرح صدره للإسلام، وملأ قلبه بنور الإيمان، بعد اتباعه للنبي العدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

كيف نتذكره؟

نتذكر سيرته، ونتذكر أخلاقه الكريمة التي هي الحل لجميع مشكلاتنا العظيمة، فلن تُحلُّ كل مشكلات المجتمع بين الأفراد وبين البيوت وبين الجماعات، إلا بالرجوع إلى أخلاق النبي ﷺ الكريمة؛ إلى عفوه، إلى صفحه، إلى كرمه، إلى أخلاقه التي مدحه بها الله، وقال لنا تحفيزاً لنا في التخلق بها:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم).

لم يقُل إنك لذو خُلُقٍ عظيم، وإنما أنت أعلى من الخُلُق العظيم، وفي قراءة أخرى للآية: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظِيم) خُلُقِ مضاف وعظيم مضاف إليه، والعظيم هو الله، يعني إنك على خُلُق الله ﷻ.

والله إذا أحب عبداً أكرمه وخلَّقه بأخلاقه العلية، ولذلك هو وحده من دون الأنبياء والمرسلين الذي قال فيه لنا رب العالمين: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة) والرؤوف هو الله، والرحيم هو الله، ولكنه منح هذين الاسمين لحبيبه ومصطفاه لنعلم علم اليقين أنه ﷺ كان على أخلاق الله ﷻ.

ما أحوجنا في هذه الأيام الكريمة أن نطالع أخلاقه العظيمة، ونُعلِّمها لأطفالنا، ونعلمها لنسائنا، ونعلمها لبناتنا، ونجعل جميع الأفراد في مجتمعنا يحاولون أن يطبقوها على قدرهم، فلو طُبقت هذه الأخلاق انتهى من بيننا كل شقاق ونفاق:

إنمـا الأمـم الأخـلاق مـا بقيـت فـإن همـو ذهبـت أخلاقهـم ذهبـوا

نطالع جهاده في ذات الله، وكيف كان يصبر على أذى المشركين ولا يجزع ولا ييأس، لأنه واثقٌ من نصر مولاه.

ونحن في هذه الأيام نتعرض لما لا يُحمد عقباه، ... تألَّب علينا الكافرون، ... وتجمَّع علينا الأحزاب الذين لا يؤمنون بدين الله!!، وأصبحنا كما قال فينا من قبل ألف وأربعمائة عام سيدنا رسول الله:

{ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ }[١٣]

فأصبحنا نحتاج إلى أن نمتثل لأوامر حضرته، ونمشي على منهاجه في دعوته، ونسعى مخلصين لنصر دين الله، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((ادعوا إلى الله بأخلاقكم، قبل ألسنتكم)) ندعو الناس إلى الله بأخلاقنا الكريمة، التي هي على سنن النهج النبوي، والقرآن الكريم الرباني، فإذا دعونا الناس إلى دين الله بهذه الأخلاق الكريمة، دخل الناس أجمعين في دين الله أفواجاً.

ما أحوجنا إلى أن نتأسى بحضرته، وندرس سيرته في معاملة الزوجات، وفي معاملة الأولاد، وفي معاملة الجيران، وحتى في معاملة الأعداء، فقد كان ﷺ نموذجاً قويماً، ومثلاً عظيماً في كل هذه الأخلاق الإلهية، لذلك نحتاج إلى مدارسة ذلك لنتذكر نعمة الله علينا بمجيء رسول الله إلينا.

الفرح بفضل الله ورحمته

ماذا يريد منا الله جماعة المؤمنين نحو رسول الله؟

اسمع إلى ربك وهو يقول لك ولي:

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨يونس)

وفي قراءة أخرى فيها الخطاب موجَّهٌ لنا مباشرة:

(قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ).

إذا عرفنا ما خصَّنا الله به بحضرة النبي في الدنيا، وما خصَّه الله به في الشفاعة

---

١٣ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان رضي الله عنه

العُظمى في الآخرة، وما يسَّر الله به لنا الأمور ببركته، وما أوجبه علينا من الصلاة والتسليم على حضرته، فإننا نفرح فرحاً لا يعدل فرحاً ...

وقد قال ﷺ:

{ مَا اخْتَلَطَ حُبِّي بِقَلْبِ عَبْدٍ فَأَحَبَّنِي إِلا حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ }[١٤]

وانظر معي إلى ما رواه الإمام البخاري في الكافر الذي فرح بحضرة النبي لحظة ميلاده، وهو عمه أبو لهب الذي ذُكر في القرآن، ووصفه الله بأبشع الصفات في الفرقان.

رُوي أن أخيه العباس بن عبد المطلب رآه في المنام، فقال: كيف حالك يا أخي؟ قال: في أشد النيران، إلا أن الله يخفف عني العذاب كل يوم اثنين، ويُنزل لي قطرات في نقطة أصبُعي هذا فأشربها، لا ترجع إليَّ أبداً، قال: ولِمَ؟ قال: لأن جاريتي ثُويبة عندما وُلد محمد بن أخي عبد الله، جاءتني وقالت لي: أبشر فقد وُلد لأخيك عبد الله غلام، قال: ففرحت وقلت لها: أنت حُرة، ولذلك يقول الإمام محمد بن ناصر الدمشقي رضي الله عنه:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمُّهُ ... وتبَّت يداه في الجحيم مُخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائماً ... يُخفَّف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي عاش عمره ... بأحمدَ مسروراً وماتَ موحدا

إذاً لا بد أن نفرح برسول الله ﷺ.

وهذا الفرح لا بد أن يكون له برهانٌ يدل عليه:

- وهو أن نقتدي بهديه.
- وأن نتبع سنته.
- وأن نحاول في هذه الأيام أن نصلح بين المتخاصمين حولنا من المسلمين.
- وأن نقضي على المشاكل التي يعاني منها مجتمع المؤمنين.

---

١٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

- وأن نجتمع على قلب رجل واحد تقي نقي:
  - لنقضي على جميع الخلافات.
  - ونصفي القلوب من النزاعات، ونجعل القلوب كما قال فيها الله لمن آمن بحبيبه ومصطفاه: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر).
- ومن يعبر عن فرحته بالنبي فيصنع طعاماً ليُطعم به الفقراء والمساكين، فهذا أمر يستوجب الشكر من رب العالمين.
- ومن يحتفل بحضرته ويفرح به فيصنع مسابقة للصغار ليعلِّمهم شيئاً من سيرة سيد الأولين والآخرين، ويعطيهم بعض الهدايا التي يتذكرون بها حضرته، ويطمعون جميعاً في شفاعته، كل هذه الأعمال وكل أعمال البر هي احتفاء بحضرة رسول الله ﷺ.

احتفاله ﷺ بمولده

وقد كان ﷺ يحتفل بذاته بمولده الشريف بطريقته:

فقد كان ﷺ يصوم كل يوم اثنين، فسُئل عن ذلك فقال:

{ ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيه }[١٥]

يصوم هذا اليوم شكراً لله على نعمة الإيجاد التي أوجده بها الله.

وهذا رسول الله ﷺ هاجر من مكة إلى المدينة فوجد اليهود يُعظمون يوم عاشوراء ويصومونه، فسألهم:

{ مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ }[١٦]

---

١٥ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ
١٦ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

صامه النبي وأمر بصيامه شكراً لله على نجاة موسى !

أفلا نصوم يوماً شكراً لله على ولادة سيدنا محمد ﷺ؟!

أفلا نصنع معروفاً أو خيراً أو براً شكراً لله على ميلاد رسول الله ﷺ؟!.

يتساءل البعض وما الحلوى؟

سلفنا الصالح كانوا قوماً عقلاء، يخاطبون كل حقيقة بما يناسبها:

والأطفال الصغار لا يحتاجون إلى خطاب، ولا إلى دروس للتعليم:

فكانوا يوزعون عليهم الحلوى، ويقولون لهم:

هذه الحلوى ذكرى ميلاد نبينا الرؤوف الرحيم ﷺ ..

ثم يقصُّون عليهم على قدرهم شيئاً من سيرته، وشيئاً من أحوال حضرته ليتعلقوا به، فإذا قاموا وشبُّوا ونشأوا على التوق اقتدوا به واستحضروا هيئته ومشوا على أخلاقه وسيرته وحالته صلوات ربي وتسليماته عليه.

رأينا قوماً يُحرمون الحلوى على الأطفال!!

وتركوا الأطفال ومَثَلهم الأعلى إما لاعب كرة، وإما ممثل، وإما مغني، وإما ساحر، وإما كذا وإما كذا!!، ونسوا الاقتداء بمن قال فيه لنا الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب).

الذي يُحسن تربية أولاده:

هو الذي يربط قلوبهم وأفئدتهم بحضرة النبي من البداية، ويجعلهم يتعلقون به وبكل أخلاقه إلى النهاية، ويمشون به ليكون لهم في الدنيا غاية، ويكون لهم شفيعاً يوم لقاء الله ﷻ.

لذلك علينا جميعاً معشر المسلمين في هذه الأيام: أن نتذكر الحبيب الأعظم، والشفيع الأكرم الذي ليس لنا منه مفرٌ في الختام، فهو وحده الذي به نجاتنا من النار، والذي به نجاتنا من أهوال يوم الحساب، والذي به دخولنا الجنة مع الصالحين والأبرار.

قال ﷺ:

{ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ }[17]

وفي رواية أخرى:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي }[18]

كيف نشكر الله ﷻ على نعمة الحبيب المصطفى ﷺ؟ لا شك أننا جميعاً عاجزون عن معرفة ذلك، إلا إذا علَّمنا الله رب العالمين.

الصلاة على النبي

كيف نشكرك يا ربنا على بعثة هذا النبي؟

قال الله ﷻ معلماً:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (٥٦الأحزاب)

وما دام الله والملائكة يصلون على النبي، فهل النبي ﷺ بحاجةٍ إلى صلاتنا؟

حاشا لله !!

نحن المحتاجون إلى هذه الصلاة ..

ولكن الله تعطفاً منه وإكراماً لنا قال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب).

- تُصلي على حضرة النبي.
- وتسلم على حضرة النبي.

---

١٧ جامع الترمذي والدارمي عن أنس ﷺ

١٨ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

- قال سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لكَ مِن صَلاتِي؟ قال: مَا شِئْتَ، قُلْتُ الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قالَ: مَا شِئْتَ، فإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لكَ، قُلْتُ: فَالثلثَينِ؟ قالَ: مَا شِئْتَ، فإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لكَ صَلاتِي كُلَّها؟ قَالَ: إذاً تُكْفي هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لكَ ذَنْبُكَ }[19]

الصلاة على النبي:

- **تكفي الإنسان كل الهموم.**
- **وتغفر له جميع الذنوب عند الحي القيوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم.**
- **ناهيك عن أننا جميعاً في حضرته محتاجون إلى شفاعته يوم القيامة !!!**
  - **ما رسوم الشفاعة التي ندفعها لننال هذه البضاعة؟**
    - **قال ﷺ:**

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا؛ أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[20]

ما أكرمك وما أحلمك يا سيدي يا رسول الله؟!!

عشر صلوات فقط بعد المغرب، وعشر صلوات بعد صلاة الصبح، تُنيلُني الشفاعة يوم القيامة!! هذا ما قاله الذي لا ينطق عن الهوى، والمهم المواظبة على ذلك.

ولذلك رأينا في صِغرنا آباءنا الذين كانوا أُميين، ولكنهم كانوا بنيتهم صالحين:

كانوا لا يقومون من المسجد بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب إلا إذا صلوا على حضرة النبي عشر مرات.

---

١٩ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه

٢٠ معجم الطبراني والصلاة على النبي لابن أبي عاصم عن أبي الرداء رضي الله عنه

فضل النبي على أمته يوم القيامة

فجاءهم من يُبدِّعهم ومن يُفسِّقهم ويأمرهم أن يخرجوا من المسجد، فإذا خرج الإنسان منا قابل فلان وتكلم مع فلان فنسي هذا العمل الذي به يكون النبي ﷺ شفيعاً له يوم لقاء حضرة الرحمن، مع قوله ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[٢١]

وفي رواية أخرى:

{ إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[٢٢]

العمل الذي نعمله جميعاً جماعة المؤمنين الآن، لو وُزن بميزان الإخلاص، كم يتبقى لنا فيه عند الله؟!، ولو وُزن بميزان الخشوع، كم يكون لنا فيه من الأجر عند الله؟!، ولو وُزن بميزان الصدق، كم يتقبل الله ﷻ منا؟!، ولكن الله ﷻ تغمَّد هذه الأمة ببركة سيد الأمة بفضله وبرحمته فقال لنا أجمعين مُهنئاً:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (١٦الأحقاف).

ولذلك من أجله ﷺ جعل الله حساب الأمم كلها جهاراً، والفضيحة على رؤوس الأشهاد، أما أنتم يا أمة الحبيب فجعل الحساب بينكم وبينه فقط، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }[٢٣]

---

٢١ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٢٢ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

٢٣ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

جاءت الأمة المحمدية في آخر الأمم !!

فكان يقتضي ذلك أن تكون آخر الأمم في طابور الحساب !!

ولكن الله يبدأ الحساب بنا جماعة المؤمنين حتى لا يطول مُكثنا يوم النشور، وندخل الجنة، وما مفتاح الجنة؟

مفتاح الجنة هو رسول الله ﷺ.

قال ﷺ:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }[٢٤]

ويقول له الله يوم القيامة:

{ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الأَبْوَاب }[٢٥]

فندخل الجنة قبل سائر الأمم بسرِّ شفاعة صاحب القدم ﷺ، وصاحب الحوض المورود، وصاحب الكوثر المشهود، وصاحب المقام المحمود يوم الدين.

والنبي ﷺ من رحمته بنا ... جعل الشفاعة أجراً لشيء هين نقوله عند سماع الآذان، ... فقال ﷺ:

{ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ }[٢٦]

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٢٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

٢٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٢٦ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الفصل الثالث

التمسك بأخلاق وأوصاف النبي ﷺ

عفوه وصفحه ﷺ

حلمه ﷺ

صفات العرب النبيلة قبل الإسلام

كمال الذوق الإسلامي

جمال صوته وهدوءه ﷺ

مجلسه ﷺ

الفصل الثالث

التمسك بأخلاق وأوصاف النبي ﷺ[٢٧]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

أعظم النواحي التي ينبغي علينا استحضارها ومعايشتها ومحاولة التخلق بها على الدوام هي أخلاق النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهذا شيء يغفل عنه كثيرٌ من المريدين والسالكين، يظن أن الوصول إلى الله بالعبادات كالأذكار وتلاوة القرآن وغير ذلك، وهذه كلها أمورٌ تعبدية لها أجرٌ عند رب البرية، من يعمل يأخذ أجره.

لكننا لسنا طلاب أجر، نحن طلاب الفضل، وهذا الفضل ليس هناك في الدين عملٌ يؤدي إليه، ما العمل في دين الله الذي يجعل بصيرة المرء مُضيَّة؟ لا يوجد إلا إذا ذَكَر الله بطريقة معينة على يد مرشد واصل إلى الله ﷻ، فلا يذكر الله للحسنات أو للدرجات في الجنات، ولكن لفتح البصيرة المنيرة.

وهكذا كل المنح الإلهية والعطاءات الربانية، فهي فضلٌ من الله وإكرامٌ من الله ببركة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

كيف نتعرض لها؟ التعرض يكون بالتخلق بأخلاق الحبيب ﷺ، فإن الله ﷻ إذا نظرنا إلى القرآن مدح أنبياءه ورسله أجمعين بالأخلاق الكريمة التي ذكرها الله تعالى لهم في القرآن: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (النجم) ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ (التوبة) ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم) كان قبل الرسالة والنبوة صادق الوعد، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص) ، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء).

كلها ثناءٌ من الله على أنبياء الله ورسل الله بالأخلاق الكريمة التي خَلَّقهم بها الله ﷻ، وهذا جهاد العارفين للوصول إلى مراتب الفضل من رب العالمين ﷻ، أي يجاهد في تحسين أخلاقه على النموذج القويم الذي وضعه الله ﷻ للخلق أجمعين من بدء البدء

---

٢٧ المقطم – مجمع الفائزين ١٣ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٢٠/١٠/٢٠٢١م

إلى نهاية النهايات، وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

والرسول ﷺ يقول الله تعالى له ليُنبئ عن نفسه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (٨١الزخرف) لن يصل أحدٌ إلى درجته في عبادة الله، ولن يصل أحد إلى درجته في ذكر الله، ولن يصل أحد إلى درجته في خشيته لله ﷻ، لكن عندما مدحه الله وأثنى عليه لم يمدحه بالعبادة ولا بالذكر، وإنما قال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم).

وكأن من يريد أن يكون له شيءٌ عظيم عند حضرة العظيم فعليه بجهاد نفسه في التخلق بكل خُلُقٍ كريم، وهذا الحال الذي عاشرنا وسمعنا وقرأنا فيه عن الصالحين أجمعين، بم نالوا أرقى الدرجات؟ وبم أعطاهم الله ﷻ أعظم العطاءات؟ بالخُلُق الكريم على منهج سيدنا رسول الله ﷺ.

ولو جاهد الأحباب أنفسهم في هذا الباب، لكان كل واحد منهم بلسماً شافياً لكل من حوله، لا تأتي منه مشكلة، ولا يتسبب في معضلة.

وللأسف الأخ إذا أحسن ينسب الناس الإحسان إليه، وإذا أساء ينسبون الإساءة لشيخه، وكأن الناس يمتحنون الصالحين.

عفوه وصفحه ﷺ

هو نفس الإمتحان الذي أُجري لسيد الأولين والآخرين ﷺ من الرجل اليهودي الذي أصَّر على النبي أن يأخذ تمراً من عنده لضيوفه سلفاً إلى حين، ووضعوا وقتاً للسداد، لكن الرجل جاء قبل ميعاد السداد، وكان سيدنا رسول الله ﷺ في وسط أصحابه، فأمسك به من ملابسه وشدَّه وقال له: إنكم يا بني عبد المطلب قومٌ مُطل، يعني مماطلين ولا تردون الحقوق لأصحابها.

فسيدنا عمر رضي الله عنه غار لسيدنا رسول الله ﷺ، وهذا واجب أن يغير لنبيه، أو يغير لشيخه، لكن لا يصنع شيئاً إلا بأمره، فلا يغير ويصنع ما يريد في حضوره، فيكون قد أساء إليه، فقال ائذن لي يا رسول الله أن أضرب عُنق هذا الكافر، فقال ﷺ له ولنا مؤدباً:

{ إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ }[٢٨]

انظر الأدب النبوي، سوَّى نفسه بينه وبين هذا الرجل، وهذا أدب الحوار الذي علَّمه لنا سيدنا رسول الله، يقول هذا الرجل وهو زيد بن سعنة رضي الله عنه:

{ فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ، فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلامَاتَ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدْ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا.}[٢٩]

حلمه ﷺ

لا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلماً، لو جاهل رفع صوته عليك، وأنت أيضاً رفعت صوتك، فأصبحت مثله، والقرآن هو الذي قال ذلك: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ (الشورى) مثلها تماماً، فأجزي السيئة بالسيئة.

لكن ماذا نكون في مثل ذلك؟ ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ (الفرقان) فرسول الله ﷺ وُصف في التوراة كما ذكر سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عندما سُئل عن صفة رسول الله في التوراة، وكان قد ملأ زاملين – يعني خُرجين – من كتب أهل الكتاب، فقال رضي الله عنه:

---

٢٨ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

٢٩ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[٣٠]

كل هذا نتيجة الخُلُق الكريم الذي كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك أحد السفهاء ذات مرة جاء إلى النبي كما ذكر سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه وقال:

{ كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا قَامَ قُمْنَا، فَقَامَ يَوْمًا وَقُمْنَا مَعَهُ حَتَّى لَمَّا بَلَغَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ مِنْ وَرَائِهِ وَكَانَ رِدَاؤُهُ خَشِنًا فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِمَّا جَبَذْتَ بِرَقَبَتِي، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ، فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الْأَعْرَابِيِّ أَقْبَلْنَا إِلَيْهِ سِرَاعًا فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلَامِي أَنْ لَا يَبْرَحَ مَقَامَهُ حَتَّى آذَنَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنْ الْقَوْمِ: يَا فُلَانُ احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى بَعِيرٍ تَمْرًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: انْصَرِفُوا }[٣١]

لا يجزي بالسيئة السيئة، ولكنه يعفو ويصفح، ولذلك قال الحكيم:

شيمة الأكرمين عفوٌ وصفحٌ كل ذنب عندكم مغفورٌ

وشيمة يعني صفات الكرام، وسيدنا رسول الله كأنه بُعث ليعلِّمنا هذه الأخلاق

٣٠ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٣١ سنن النسائي وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

الكريمة، وخاصة العفو والصفح، فهو لما كان في إحدى الغزوات، ونزل عليهم المطر في ساعة الظهيرة حتى ابتلت ثيابه ﷺ، وقرر أن يستريح بالجيش، فذهبوا إلى واد، وهو مكان بين جبلين، والوادي دائماً يكون فيه بعض النباتات والأشجار، لأن المياه تنزل فيه، وأمر النبي ﷺ أصحابه أن يستريحوا، ولم يُبق معه حارس ولا غيره، وعلَّق النبي سيفه في فرع من شجرة، وخلع رداءه الذي ابتلَّ بالماء ونشره على أغصان الشجرة ليجف، واستراح تحت الشجرة.

أحد جبابرة العرب نظر من فوق الجبل فوجد رسول الله ﷺ نائماً تحت الشجرة وحده، وليس حوله أحد، فقال في نفسه: هذه فرصة أنزل وأقتله وأريح العرب كلهم منه، لكن رسول الله كما قال الله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق) وحسبه يعني كافيه.

فتسلل الرجل ووصل إلى مكان حضرة النبي، وأخذ سيف حضرة النبي، وكان من صفاتهم النبيلة عدم الغدر، فأيقظ حضرة النبي أولاً، وقال له كما ورد:

{ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللَّهُ، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ }[٣٢]

صفات العرب النبيلة قبل الإسلام

العرب مع صفات الجاهلية التي كانت فيهم، لكن فيهم صفات نبيلة ليتها ترجع هذه الأيام، ولذلك بُعث فيهم الإسلام وبُعث فيهم النبي لهذه الصفات

١- عدم القتل غدراً

من هذه الصفات النبيلة أنهم إذا أراد واحد منهم أن ينتقم من شخص لا ينتقم منه غيلة، يعني بدون أن يعرف، كأن يأتيه من الخلف ويضربه، أو يكون نائماً ويقتله،

٣٢ مسند أحمد والحاكم في المستدرك

فكان هذا عيب عندهم ويعايرون بعضهم به، وماذا يفعل لكي يقتله؟ لا بد أن يقابله وجهاً لوجه، فيظهر الفارس الكبير من الفارس الصغير في هذا اللقاء.

فلا أحد منهم – كما يحدث الآن – يشكو أحداً بدون علمه شكوى كيدية، فليست هذه شجاعة أدبية، ولكن الشجاعة أن يقول: ... يا فلان أنا سأشكوك في المكان الفلاني.

٢– الحفاظ على حرمة النساء

وكان من أخلاقهم الكريمة أيضاً أنهم كانوا يحافظون على حُرمة النساء ولو أجنبيات، ولذلك عندما أحاطوا بمنزل حضرة النبي ﷺ في يوم الهجرة، وكانوا سبعين رجلاً حول البيت مجهزين بالسيوف، ومستعدين أن يدخلوا في منتصف الليل ليضربوه بسيوفهم ضربة واحدة ليتفرق دمه بين القبائل، فلا يعرفون من الذي قتله، فكلما نظروا يجدوا نساء البيت، السيدة فاطمة بنت النبي، وزوجة النبي في هذا الحين السيدة سَوْدَة بنت زمعة التي تزوجها بعد السيدة خديجة، فيقولون: كيف ندخل البيت وبه نساء؟! وماذا يقول عنا العرب؟! فكانت سُبة في جبينهم أن يدخلوا بيتاً وفيه نساء.

٣– الصدق

وكان من الأخلاق الكريمة التي يعتزُّون بها الصدق وعدم الكذب، حتى أن أبو سفيان عندما ذهب لهرقل عظيم الروم، وهرقل كان في الأصل حبر من أحبار المسيحية، وكان دارساً ويعرف صفات رسول الله، فقال له: سأسألك عن أمور، من أتباعه؟ قال: الفقراء، قال: هكذا عندنا أتباع الرسل من الفقراء، قال: هل يزيدون أم ينقصون؟ قال: بل يزيدون، قال: كذلك أتباع الرسل يزيدون ولا ينقصون، قال: ما نسبه فيكم؟ قال: من أوسطنا نسباً، قال: هكذا الرسل يُبعثون في أوسط أنساب عائلاتهم، قال: هل كان لأحد أجداده مُلكاً؟ قال: لا، قال: لو كان لأحد من أجداده مُلكاً، لقلنا يطالب بملك جده، لكن ليس له ملك، قال: هل جربتم عليه كذباً، قال: لا، وبعد ذلك قال له: ونحن منه في مدة – صُلح الحديبية – ونحن نخاف أن يغدر فيها، وأبو سفيان قال بعدها: لم أجد إلا هذه التي أستطيع أن أضعها، ولولا أن ينشر العرب عني كذباً لكذبتُ في ذلك اليوم.

فكان الرجل يخشى أن يكون كاذباً، وهذه من أوصافهم الغريبة العجيبة.

السيدة أم سلمة ﷺ وأرضاها حدث لها ما لم يحدث لأحد هي وابنها وزوجها أبو سلمة في الجهاد في سبيل الله، خرج زوجها مهاجراً إلى المدينة، وأخو زوجها أخذها وحملها في هودج فوق جمل تجلس فيه ويسترها ولا تظهر منه، ومعها ابنها وأخذها ومشى نهاراً، فخرج سفهاء مكة وخرجت عائلتها وعائلة زوجها، وسألوها: أين تذهبين؟ فقال لهم: إنها ذاهبة لزوجها، وأخرج النبل التي معه ويريد أن يضرب به، فأبو سفيان كان عاقلاً فقال له: هوِّن عليك وكفَّ عنا نبلك، إنك خرجت بالمرأة في وسط النهار – ومعناها أنك تتحدى هؤلاء – ولو كنت تريد الخروج لكنت خرجت مستتراً في الليل أو في آخر الليل.

فأهل زوجها قالوا: نأخذ ابنها لا يذهب معها، وأهلها قالوا: لا تترك ابنها، وأخذ هؤلاء وهؤلاء يشدوا الولد، فخلعوا له ذراعيه الاثنين، وفي النهاية أهل زوجها أخذوا الولد وأهلها أخذوها ورجعت مرة ثانية.

فظلوا حتى هدأت الأمور وأحد العقلاء توسَّط وقال: لماذا تركتم هذه المسكينة هنا وابنها هنا وزوجها هناك؟ ردُّوا لها ابنها واتركوها ترجع لزوجها، فأركبوها جَملاً ومعها ابنها ومشت إلى المدينة وليس معها أحد، وفي الطريق رآها رجلٌ، لم يكن مسلماً في وقتها، ولكنه أسلم بعد ذلك وهو سيدنا عثمان بن مظعون ﷺ، وكان يعرفها، فسألها: أين أنت ذاهبة؟ قالت: إلى زوجي في المدينة، قال: هل معك أحد؟ قالت له: لا، فقال لها: مالك من مَترك، يعني لا يصِّح أن أتركك تمشي في هذه الصحراء وحدك.

وانظر إلى الرجولة والشهامة والمروء، أين هذه الأمور الآن في زماننا هذا؟ فأغلب الشباب تحولوا إلى ذئاب ويريدون أن يخطفوا البنات.

تحكي وتقول: صحبتُ عثمان بن مظعون فما رأيتُ رجلاً أفضل منه، كنا إذا أردنا أن نستريح نخَّ بالجمل ومشى بعيداً، وأدار ظهره لي حتى أنزل من فوقه، وإذا أردتُ أن أركب هيأ الجمل وذهب بعيداً وأدار ظهره لي حتى أركب، ويأتي ويأخذ بزمام الجمل ويمشي.

أين هذه الأخلاق الآن؟! وانتبهوا فهذه أخلاقهم في الجاهلية قبل الإسلام، وهذه الأخلاق هي السبب في ظهور الإسلام في هذه البقاع، لكن البقاع الأخرى كالدولة الرومانية والدولة الفارسية، كانت كلها ظلم وفساد وغيره.

قالت: حتى وصلنا إلى قُباء، وكان زوجي في قُباء وقال: يا فلانة زوجك في هذه القرية، وتركني ورجع إلى مكة.

كمال الذوق الإسلامي

انظر إلى الأخلاق الكريمة التي كان عليها أهل الجاهلية، فجاء الإسلام، فهل زاد في هذه الأخلاق أم هدمها؟ بل زاد، زاد في الجمال، وزاد في الكمال في الأخلاق الإلهية، إن كان في الأدب مع رب البرية، أو في الأدب مع الحضرة النبوية، أو في تعامل الناس بعضهم مع بعض.

فكانت التعاملات بينهم جمال في جمال، حتى أن الإنسان يعجب عندما يقرأ الذوق العالي لهؤلاء، ويعجب للزمن الذي نحن فيه، وقد بلغ الحاصلون فيه على الدكتوراه والرسالات العلمية العظيمة مبلغاً كبيراً، لكنهم تراهم في الكلام أجلاف وغلاظ وشداد، لكن الآخرين مع أنهم كانوا أميين إلا أنهم كان معهم الأدب الرفيع والذوق البديع في خطاب الآخرين.

وهذه رسالة الصالحين:

تهذيب المريدين حتى يكونوا على أخلاق سيد الأولين والآخرين، أو على الأقل على أخلاق الصحابة المباركين، أو على أخلاق الصالحين.

ولذلك أنا أتعب جداً عندما أسمع مَن يكلم أخاً له في الله بلفظ غليظ، وبطريقة عنيفة، ما هذا؟! ولماذا؟!

فنحن الذين يقول فينا حضرة النبي:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لا تَأْكُلُ إِلا طَيِّبًا، وَلا تَضَعُ إِلا طَيِّبًا }[٣٣]

المؤمن كالنحلة !!!

لا يقف إلا على طيب، ولا يخرج منه إلا طيب، ولو وقف على عود هشٍّ لم يكسره من جماله ومن كماله.

---

٣٣ صحيح ابن حبان والنسائي عن لقيط بن عامر ﷺ

جماليات الكلام بين الصحابة وبعضهم تحتاج إلى رسالة دكتوراة حتى يتعلم الناس منهم الأدب العالي والذوق الرفيع في الحديث مع بعضهم بعضاً.

كثير من الأحباب يقف أمام شيخه، ويضع رأسه في الأرض، أو يجلس على ركبتيه، كأنه مثال الأدب والخشوع، وعندما يبعد قليلاً عن الشيخ ويتكلم مع آخر تجد الغلظة والسب والشتم، ما هذا وما ذاك؟!

لا يصح هذا، فالمؤمن دائماً له نصيب في تركة:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم).

جهادنا في (ليس بفظ) كيف للواحد منا أن يمسك مبرد الإيمان ويبرد كلمات الفظاظة ويمسحها من قاموسه؟ فلا يكون عنده كلمة فظَّة أبداً، ولا يكون غليظ في التعامل، بل رقّة ومشاعر عالية راقية.

كان ﷺ إذا صافح أحداً لم يسحب يده من يده حتى يكون الآخر هو الذي يسحب يده، فانظروا إلى رقة سيدنا رسول الله ﷺ، وقالوا: كان يأتيه الطفل أو الجارية – يعني البنت الصغيرة – فيأخذ بيده ويقول له: تعالى عندنا يا رسول الله، ... فلا يسأله أين أنت ذاهب؟ ولا أين تذهب بي؟ فيمشي مع الطفل حتى يأخذه للمكان الذي يذهب إليه.

وانظر للآخرين أصحاب الذوق الرفيع، يُلقي عليهم سيدنا رسول الله السلام، فلا يردون، وبعد المرة الثالثة يردون، ويقولون: أردنا أن نستكثر من سلامك علينا يا رسول الله!!، أين تعلموا ذلك؟ الفطرة التقية النقية.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه:

{ أَنَّ جَارًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَارِسِيًّا كَانَ طَيِّبَ الْمَرَقِ فَصَنَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ: وَهَذِهِ؟ لِعَائِشَةَ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا، فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَذِهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا، ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَذِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ فِي الثَّالِثَةِ،

فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّى أَتَيَا مَنْزِلَهُ }[٣٤]

ولما كان يدعوه أحد كان لا يتركه يخرج حتى يُصلي ركعتين، ولذلك رأينا ذلك مع مولانا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ وأرضاه، كان عندما يدعونا أحدٌ لغداء أو ما شابه يقول له: سنصلي العصر هنا يا بني، لأنه ينفذ سُنَّة رسول الله ﷺ، فلا يخرج من البيت إلا إذا بارك المكان بأن يصلي فيه ركعتين لله ﷻ.

وهم عندما كان يصلي سيدنا رسول الله ركعتين عندهم، في المكان الذي يرغبون أن يصلي فيه، يحيطون هذا المكان ويجعلوه مصلاهم في البيت، وكل من يريد الصلاة أو يختلي بنفسه قليلاً يكون في هذا المكان الذي صلى فيه النبي العدنان ﷺ.

جمال صوته وهدوءه ﷺ

ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب:

يعني لا يتكلم بصوت عال، وأظن أننا لم نسمع أحداً من الصالحين يتكلم بصوت عال أبداً، بل بصوت هادئ حتى في الخطب والدروس، فالذين يتباهون بصوتهم العالي في الخطب والدروس ليس هذا من شأن سيدنا رسول الله.

ويقولون:

كان في صوته ﷺ صهل، يعني بحَّة بسيطة، ومع ذلك كان يُسمع كل من حوله، فكان إذا خطب على منبره في المدينة، قيل: كان يسمع العواتق – يعني البنات الأبكار – في خدورهن أي وهن في بيوتهن، فلم يكن هناك ميكروفونات ولا غيره، مع أن الصوت هادئ، لكن من الذي يبلغ؟ الله ﷻ، ..

عليك الأذان وعلينا البلاغ، وليس الأذان بالصوت العالي، فالبلاغ للقلوب، ولا يوصل الصوت إلى القلوب إلا علام الغيوب.

لكن الصوت من اللسان لا يتجاوز الآذان، لكن هل يدخل إلى القلوب؟ !!

لا ...!!

---

٣٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

مجلسه ﷺ

لم يكن النبي صخاب في الأسواق، وكان مجلسه مجلس علم ووقار، وليس له مجلس إلا بالعلم، إن كان حديث عن آية في القرآن، أو شرح لحكم من أحكام العبادات، أو أحكام المعاملات، أو من الأحكام الشرعية التي يحتاجون إليها في كل الأوقات، أو سؤال يسأله مرء في أمور يحتاجها في أخراه، أو في أمور تقربه إلى مولاه، فهذه الأشياء التي كانت في مجلس رسول الله.

وكذلك لا تُؤبَّن فيه الحُرمات، ليس فيه غيبة ولا نميمة أبداً، ولا القيل ولا القال، وهذا ما يجب أن تكون فيه مجالس أحباب الصالحين على الدوام.

لماذا الصالحون جاءوا لنا بالأعمال التي تشغل الوقت؟ حتى إذا فرغنا لا تنقلب النفوس إلى القيل والقال، فبمجرد أن نقرأ الصلوات نذكر الله ونسمع كتاب الله، ونسمع بعض المدائح النبوية والحكم الإرشادية من الأحباب في الله، وبعد ذلك إذا كان هناك مصلحة نناقشها معاً، أو كان أخ لنا مهموم بأمر نبحثه سوياً بلطف ورفق، ونقوم من هذا المجلس المبارك ولم نرتكب فيه شيئاً يُغضب الله ﷻ، فمجالسهم جنة:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[٣٥]

والجنة: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ (٢٥الواقعة)

ليس عندنا وقت للكلام في السياسة، ولا الكلام في الاقتصاد، ولا الكلام في الانتقاد لأي أمر من الأمور.

فسياسة نفوسنا التي نريد أن نضبطها مع بعضنا، حتى نتعاون في الوصول إلى مراضي الله، وفي الوصول إلى معية حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

هذا باختصار شديد جهاد العارفين، ولذلك أنا دائماً أقول أن الكتاب الخاص بالمقربين للمجاهدة هو كتابنا (الجمال المحمدي)، وهو كتاب لا يحتاج إلى قراءة، ولكن

---

٣٥ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

يحتاج إلى هضم وتنفيذ على مسرح نفسك، فيكون الإنسان فينا صورة صغيرة لسيدنا رسول الله ﷺ.

فعندما نرى ولد صغير من صغارنا ماهر في الكرة مثلاً ويُقلد لاعبًا مشهورًا، فنقول: هذا الولد يُذكرنا باللاعب فلان لأنه مثله تماماً، أو منشدٌ يقلد منشدًا مشهورًا، نقول: أن فلان هذا يذكرنا بالشيخ فلان، أو قاريء للقرآن يقلد الشيخ عبد الباسط، أو الشيخ البنا وغيره ...

فمن نقلِّد في الأخلاق؟

سيدنا رسول الله ﷺ ..

حتى يصل الواحد منا إلى أن يكون صورة على قدره من رسول الله ﷺ.

وحتى يكون صورة من رسول الله:

- فلا يجهل إذا جهل الجاهلون، ولا يغفل عن ذكر الله إذا غفل الغافلون، ولا ينسى طاعة الله لحظة إذا نسي الساهون !!!
- بل دائماً في طاعة لله، وفي ذكر لمولاه، وفي تأسي واقتداء بحبيب الله ومصطفاه، وله في الصالحين أُسوة وقدوة.

وإذا قالت له نفسه:

أنت في زمان صفته كذا وكذا، وكيف ستعيش مع الناس؟ ولن تعرف أن تعيش في وسطهم بأخلاقك هذه!!! فلا بد أن تكون على أخلاق السوء حتى تعيش مع أهل السوء، يقول لها:

نحن على أخلاق سيدنا رسول الله!

ومن كان على أخلاق رسول الله فمولاه يتولاه

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ (الطلاق).

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الفصل الرابع

الأفق المبين والأفق الأعلى

الأفق المبين

أوصاف رسول الله في القرآن

عبوديته ﷺ

مقام الأفق الأعلى

الفصل الرابع
الأفق المبين والأفق الأعلى[٣٦]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي شرح صدورنا بالإيمان، وملأ بفضله قلوبنا بمحبة النبي العدنان، ونسأله ﷻ أن يُرقينا ويُعلي شأننا بهذه المحبة، حتى نرى وجه حضرته ﷺ عين عيان، ونكون تحت لواء شفاعته في القيامة، ونكون من أهل جوار حضرته أجمعين في الجنان، آمين يا رب العالمين، اللهم صل وسلم وبارك على سرك الجامع لجميع الأسرار، ونورك المفاض منه جميع الأنوار، ونبيك الأصل الذي تفرعت منه كل أصول الأخيار والأطهار، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا يا ربنا به مقتدين، ولسنته متبعين، وبه سعداء وفائزين في الدنيا ويوم الدين أجمعين، آمين آمين يا رب العالمين.

لا يوجد بيان لأي عالِم أو متحدث أو واعظ يستطيع أن يصف ولو ذرة من فضل الله علينا بنبينا الأعظم ﷺ، بعد أن تحدث عنه مولاه ووضح لنا ظاهره وخفاياه، وبيَّنه بحديث شيق عذب جميل في كتاب الله، لا نحتاج بعده لأي حديث لأي أحد من خلق الله.

ولذلك يُروى عن سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه، وكان من عشاق الحضرة الإلهية، حتى أنهم سموه سلطان العاشقين، ومدح وأثنى وناجى الله ﷻ بكلام جميل، نحن جميعاً نشتاق إلى سماعه، وخاصة إن كان من صاحب صوت جميل.

رُوي عنه أنه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى رآه أحد أصحابه في المنام، فقال: يا سيدي لِمَ لم تصف رسول الله ﷺ في حديثك؟ فأجابه مناماً من عالم البرزخ:

أرى كـــل مـــدحٍ في النـــبي مقصـــراً وإن بـــالغ المُثـــني عليـــه وأكـــثرا
إذا الله أثـــنى بالـــذي هـــو أهلـــه عليـــه فمـــا مقـــدار مـــا يمـــدح الـــورى

استوقفني هذا الكلام وأنا أتصفَّح في كتاب الله، وأبحث في ثناياه عن حديث الله عن حبيبه ومصطفاه، فقد استوقفني آيتين في كتاب الله تبين لنا الملامح الإلهية التي

---

٣٦ المقطم – مجمع الفائزين ١٤ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٠/٢١م

وضحها لنا الله في حبيبه ومصطفاه، الآية الأولى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (التكوير)، والآية الأُخرى في سورة النجم في حالة قرب القرب من القريب ﷻ جل شأنه عن الزمان والمكان، بلا كمٍّ ولا كيف ولكن بأنوار تعالت معنوية: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النجم).

مرة يقول عليه الأفق المبين، ومرة يقول عليه الأفق الأعلى، ما هذا؟ وما ذاك؟ والإثنين في وصف حبيب الله ومصطفاه.

الأفق المبين

فرسول الله ﷺ هو الأُفق المبين الذي يُبين لنا كمالات هذا الدين بقوله وعمله وحاله صلوات الله وسلامه عليه، والذي اختاره ربه ﷻ ليبلغ عنه شرعه الذي اكتمل على يد حضرته، العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات.

ولم تجتمع هذه الأربع إلا في ديننا القويم؛ دين الإسلام على يد الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

فهو الذي يبين لنا شرائع الله، ولذلك قال لنا الله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر).

هو معه الميزان الذي حفظه الرحمن فقال: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم).

ماذا نفعل؟ ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ (النور) فإذاً كما قال الإمام مالك رضي الله عنه صاحب المذهب: ((كل أحد يُؤخذ من قوله ويُرد، إلا صاحب هذه الروضة الشريفة)) فهو الذي يُؤخذ منه القول الذي لا يُرد، وهو الذي وضَّح وبين أركان وشرائع الإسلام لجميع الأنام، وظهر على حضرته العبودية التامة التي يتخلق بها من يريد القرب من الملك العلام.

هذه غير هذه، فالشريعة للكل، ولكن أهل خاصة الخاصة الذين يريدون القرب من القريب، فعليهم بالتخلق بعبودية الحبيب لله، فإنه ﷺ أكمل عبد جمَّله الله بما يحبه

ويرضاه، والذي يريد أن يرضى عنه الله ويحبه الله فليتخلق بالعبودية التي كان عليها سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كان ﷺ لا يتفاخر ولا يتباهى إلا إذا أُمر ولذلك قال:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ }[٣٧]

ليس لي فخرٌ بالسيادة، ولكن الفخر بالعبودية، لأنها التي مدحه الله بها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الكهف) ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (الفرقان) ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (الإسراء) ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ (الجن).

فكل الثناء في كتاب الله على حبيب الله ومصطفاه للعبودية التي تخلَّق بها وجمَّله بها مولاه، فكان ﷺ يقول لأصحابه:

{ لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى }[٣٨]

يعني لا تفضلوني على أي نبيٍّ من الأنبياء، مع أنه يعلم يقيناً حقاً أنه إمام الرسل وسيد الرسل والأنبياء، لكن كان غاية في التواضع، وهذه التي نحتاج أن نتبعه فيها.

وكان ﷺ عندما يأتي سعد بن معاذ زعيم الأنصار، والأنصار جلوسٌ بين يدي حضرته، يقول لهم:

{ قُومُوا إِلَى خَيْرِكُمْ أَوْ سَيِّدِكُمْ }[٣٩]

لأنه يحثُّنا على الأدب الجمّ مع بعضنا ومع كبرائنا ومع علمائنا ومع عظمائنا، قمة الأدب الجم، فإذا قاموا لحضرته يقول لهم:

{ لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا }[٤٠]

بعض القوم لم يفقه هذا الحديث، فقال: إن النبي نهى عن القيام لحضرته، لكنه قال: كما تقوم الأعاجم، والأعاجم كانوا يقومون للملوك خوفاً ورهبة من بطشهم

---

٣٧ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٣٨ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما
٣٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٤٠ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي إمامة ﷺ

وفتكهم، فلا بد أن يقوموا، والنبي لا يريد هذا، بل يريد أن يقوموا محبة واحتراماً.

الرسول ﷺ كانت أحاديثه لا تحتاج إلى محدِّثٍ صحيح، ولكن تحتاج في فقهها إلى قلب صحيح، لأنه كان يتكلم كلاماً عالياً لا يفقهه إلا الكُمَّل.

فكيف يأمرهم بالقيام لسيدهم وينهاهم عن القيام لحضرته؟!! الأمر واضح، فلم يقل: لا تقوموا لي، وسكت، ولكن قال: (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم لملوكها) يعني إياكم أن تقوموا خوفاً، لأن الأعاجم كانوا يقومون لملوكهم خوفاً من بطشهم وفتكهم وسفك دمائهم، ولكن نقوم محبة ومودة، وهذه التي عبَّر عنها شاعر الأنصار فقال:

قيـــامي للحبيـــب عـــلي فـــرضٌ وتـرك الفـرض مـا هـو مسـتقيم
عجبـتُ لمـن لـه عقـلٌ وفهـمٌ يـرى هـذا الجمـال ولا يقـوم

كيف لا يقوم لجمال الله الذي أشرق به في حبيبه ومصطفاه ﷺ، فكان ﷺ هو العبد الأكمل لمن أراد القرب من مولاه في عبوديته، في خشيته، في خوفه من الله، ولذلك قال:

{ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً }[٤١]

أنا أخوفكم من الله، وأتقاكم لله، وأشدكم له قرباً، فعرف أن سبيل القرب إلى الله، الخشية والتقوى لحضرة الله جل في عُلاه.

أوصاف رسول الله في القرآن

أوصاف رسول الله في القرآن تحتاج إلى استجلاء القلوب، وكشف الران عن القلوب، ليُعَلِّم الله ﷻ من باب إلهامه هذه القلوب ما هو شأن ومنزلة هذا الحبيب المحبوب ﷺ.

والآيتين اللتين ذكرناهما فيهما خلاصة أوصاف حضرة الله لسيدنا رسول الله، فمبنى جسم رسول الله هو أكمل صورة خلقها الله لتبين للناس قولاً وعملاً وحالاً شرع الله ﷻ، ولذلك قال الله تعالى له قل لهم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (١١٠الكهف) ..

٤١ صحيح البخاري

مع أنني بشرٌ واحد، لكنني مثلكم كلكم، لماذا؟ لأنه ﷺ حالته البشرية هي التي نقتدي بها في الشريعة الإلهية.

مثلاً: كان ﷺ يصوم حتى يقولوا لا يفطر، ويفطر حتى يقولوا لا يصوم، وكان يصوم صيام الوصال، يعني كان يصوم الأيام المتتالية بدون شراب ولا غذاء، فيريدون متابعته فيها فقال لهم: لا:

{ إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }[٤٢]

لا يُطعمه الله ويسقيه الطعام الذي نأكله، بل يأكل شيئاً آخر يقول فيه الإمام أبو العزائم:

جعنا فأطعمنا الحقائق ربنا واسق الجميع محبة الغفار

أطعمنا الحقائق الإلهية التي عندك، واسقنا كأس المحبة.

ولماذا كان يأكل ويشرب؟

سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه كان يقول:

((والله ما أكل إلا ليُعلِّمنا كيف نأكل، وما شرب إلا ليُعلِّمنا كيف نشرب))

وهو ﷺ كان يقول:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[٤٣]

لاينام، ولكن كان يتظاهر بالنوم ليُعلِّمنا آداب ما قبل النوم، وآداب ما بعد القيام من النوم، وآداب وضعنا كيف يكون عند النوم، فهذه الحالة البشرية لنتعلم منها وتبين لنا الشريعة الربانية، والكمال الذي يحبه منا رب البرية ﷻ.

فالأفق المبين يعني الذي يبين: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (﴿النحل﴾) يعني الذي نزل من الله وهو القرآن يحتاج إلى بيان، أين بيانه؟ النبي العدنان هو بيان القرآن في

٤٢ سنن البيهقي ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة رضي الله عنه
٤٣ صحيح البخاري ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

أحواله وأقواله وأفعاله وأعماله صلوات ربي وتسليماته عليه، وهذا وجه.

عبوديته ﷺ

وهناك وجه آخر:

فالناس الذين يريدون القرب من الله، ويريدون أن يكونوا في منزلة عالية عند الله:

عليهم أن يقتدوا به في ثياب العبودية التي تحلت بها بشريته في هذه الحياة.

لأنه العبد الأكمل لحضرة الله ﷻ في تواضعه، وفي انكساره، وفي خشوعه، وفي إخباته، وفي إقباله على الله ﷻ، وفي تخلصه من الزهو والفخر والخيلاء وكل ما يسعى إليه مَن فيه الصفات البشرية والمنازعات النفسية !!

يتخلَّص من كل هذه الأمور، ولذلك قال فيه رب البرية:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم).

سيدي أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه رأى الله ﷻ في المنام فقال:

يا رب بم يتقرب إليك المتقربون؟

قال: بما ليس فيَّ! قال: وما الذي ليس فيك يا رب؟ قال: الذل والانكسار والفقر والجهل.

لا يدخل أحد على الله إلا بهذه الأوصاف!

فأنت داخل على الله عالم، فماذا يعلمك؟!! هل يصح أن تدخل على الغني وأنت ترى نفسك أنك أنت الغني؟!! فأنت تحتاج إليه في كل أنفاسك، وفي كل حاجياتك.

فصفة العبودية هي التي بها تمام القرب من رب البرية، ولا تظهر إلا في الحضرة المحمدية، ولذلك دائماً أقول للأحباب الذين يطمعون في الوصال:

منهجكم ووردكم كتابنا (الجمال المحمدي) انظر بماذا كان يُجمَّل رسول الله، وجمِّل نفسك بهذا الجمال، في لحظة وأقل ترتقي إلى مقامات أهل الكمال على الفور لأنك تجملت بالجمال المحمدي.

مقام الأفق الأعلى

أما قول الله:

﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النجم)

هذه الآية تتكلم عن رسول الله عندما كان في مقام قاب قوسين أو أدنى، وترك جبريل واقفاً ...

وجبريل قال له كما ورد ببعض الأثر:

يا رسول الله إلى هاهنا انتهي مقامي.

فقال: يا أخي يا جبريل أها هنا يترك الخليل خليله؟!

قال: لو تقدمت أنا قدر أنملة – يعني طرف الإصبع – لاحترقتُ، وأنت لو تقدمتَ لاخترقت.

وهذا الأمر يبين عدة أمور:

أن جبريل من النور الملكوتي، والنور الملكوتي نهايته سدرة المنتهى ولا يستطيع الصعود بعد ذلك !!

وحضرة النبي من النور الذاتي، والنور الذاتي هو المسموح له باختراق هذه الحُجب النورانية الإلهية.

لماذا اخترق هذه الحجب؟

ليحظى بعطاءات وهبات وإكرامات قال عنها البرية:

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (النجم).

الذي يريد أن يتمتع بهذه العطاءات وهذه الإكرامات عليه أن يتشبَّه في باطنه في قلبه وبروحه بروحانية الحبيب الأعظم ﷺ، لا يميل إلى كرامات، ولا يحب الظهور، ولا يريد أن يكون شيخاً والناس تشير إليه وتقبل يديه، ويسارعوا إليه، كل هذه الأمور لا تطرف عينه من قليل أو كثير، لأنه لا يريد إلا الله ﷻ:

والعـــارف الفـــرد محبـــوبٌ لخالقـــه فـــات المقامـــات تحقيقـــاً وتمكينـــاً
في كـــل نَفَـــسٍ لـــه نـــورٌ يشـــاهده مـــن حضـــرة الحـــق تلويحـــاً وتعيينـــاً
يمشـــي عـــلى الأرض في ذلٍّ ومســـكنةٍ هـــام الملائـــك شـــوقاً فيـــه وحنينـــا
معنـــاه غيـــبٌ ومبنـــاه مشـــاهدةٌ والفـــرد معـــنى ولـــيس الفـــرد تكوينـــا

الذي يريد الآفاق العُليا، ويريد أن يراها:

فهذا يحتاج إلى طهارة السر، وصفاء القلب، وهيام الروح، وتجلي نفخة القُدُس من حضرة القدوس الأعظم ﷻ.

هذا باختصارٍ شديد شرح مبسط لبعض منزلة رسول الله التي بينها القرآن في قول الله ﷻ:

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (التكوير) وقوله: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النجم).

الأفق المبين هو الذي يبين رسالة السماء إلى أهل الأرض بلسانه وعلمه وحاله في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، وهذا كان سيدنا رسول الله ﷺ.

وهو كذلك الأفق المبين للمقربين:

ليبين لهم أن حقيقة القرب من الله لا تكون إلا بثياب العبودية؛ أن يكون عبداً يتخلق بأخلاق العبيد كسيده ﷺ، فيدخل على حضرة الله.

أما بالأفق الأعلى:

فهذه كانت في حضرة القرب والمناجاة، ففيها العطاءات، وفيها الإكرامات، وفيها الهبات، من أرادها فليعلو بروحانيته، وليزيد في شفافية قلبه وفؤاده، وليصل سره بسر الحبيب المصطفى ليأخذه بيده، فهو صاحب القسمة:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }[٤٤]

فيعطيه نصيبه من العطاءات الإلهية الربانية، نسأل الله ﷻ أن يكرمنا بذلك أجمعين، وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٤٤ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

الفصل الخامس

المعاملة بالحكمة والموعظة الحسنة

حكمته العالية ﷺ

النبي ﷺ معلماً

المؤمن والحكمة

الحذر من اتباع الهوى

كيفية تعلم الحكمة

ترك الفضول

حفظ الأسرار

مال الله

الفصل الخامس
المعاملة بالحكمة والموعظة الحسنة[٤٥]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، ونشكر الله ﷻ على ما منَّ به علينا أجمعين من نعمة الإسلام ونعمة خير المرسلين وسيد النبيين ﷺ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد واعطنا الخير وادفع عنا الشر ونجنا واشفنا وانصرنا على أعدائنا يا رب العالمين.

خلق الله ﷻ الأكوان كلها وهو أعلم بما يُصلحها ويُصلح أهلها ويُصلح كل شؤونها، واختار الله ﷻ نموذجاً قويماً ومثالاً أعلى جمَّله الله بما يحبه ويرضاه، ليكون الخلق إذا تأسوا بحضرته في الدنيا في أرغد عيش وأسعد حال وأهنأ بال، ويكونون في الآخرة في الأمان الأعظم من هول الفزع وهول جهنم، ويكونون من السعداء في الجنة بجوار النبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين.

فلو أننا جميعاً تأسينا بالنبي ﷺ فيما كان عليه في حياته في كل شأن من شئونه، ليس في العبادات فقط، ولكن في المعاملات وفي الأخلاق وفي العلاقات بين جميع من حوله، لو مشينا على هديه ما وُجدت مشكلة قط، لا في بيت، ولا في شارع، ولا في مجتمع، ولا بين جيران، ولا بين دول.

حكمته العالية ﷺ

وآخذ مثالاً واحداً لعلنا جميعاً نقتدي به ونمشي على أثره في حياتنا أجمعين، فكثيرٌ منا يجد بعض الناس قد يكون في المسجد أو خارج المسجد يفعل فعلاً خاطئاً فينفعل عليه، ويكلمه بشدة وعنف، ويظن أنه يعلم الصحيح ولا يفعله ويتعمد الخطأ، وهذا يؤدي إلى الصدام وإلى النزاع وإلى الشقاق.

لكن النبي ﷺ علَّمنا بفعله قبل قوله؛ أن نكون حكماء في التصرفات كلها، ولا نتسرع في الحُكم على أمر فعله إنسان إلا إذا ناقشناه بهدوء ورزانة لنعلم نيته وما ينوي أن يفعله، فإذا اتضح لنا أنه لا يعلم علَّمناه الصحيح بأسلوب صحيح.

---

٤٥ المقطم – مجمع الفائزين ١٦ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٠/٢٢م

انظروا معي إلى ما حصل في مجلس النبي، كان مسجده ليس فيه فرش، وكانوا يصلون على التراب، وجاء رجلٌ أعرابي فذهب في ناحية من نواحي المسجد وبال، ونحن جميعاً نعلم أن البول نجاسة، ولا يجوز أن يُصلَّى في مكان هذا البول، فهاج الصحابة وأراد بعضهم أن يبطش به، فهدأ حضرة النبي من روعهم، وأمرهم أن يتركوه حتى ينتهي، ثم قال له بكل عطف وحنان:

{ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ }[٤٦]

وأمر أصحابه أن يأتوا بدلو من الماء ويُفرغوه عليه ليطهر، وحُسمت القضية، ولكنهم لو تُركوا على سجيتهم لحصلت منازعة، وحصلت مشكلة، مع أن الرجل في الحقيقة يجهل هذا الأمر، وما فعله إلا نتيجة جهله، وكانوا حديثي عهد بدين الله.

وعذراً في هذا القول، فما أكثر الجهلاء بيننا جماعة المسلمين في دقائق شرع الله، وأنت تحاسبه على أنه عالمٌ في الشريعة، ويعلم دقائق الموضوعات، وهو لا يعلم إلا هوامشها لأنه لم يلتفت إلى ذلك، وإذا أردت أن تعلمه بشدة نفَّرته، وربما حدث شجارٌ أو نزاعٌ أو خلافٌ بينك وبينه، وربما يترك هذا الشجار والنزاع عداوة بينك وبينه، ولا ينبغي لمسلم أن يعادي مسلماً أبداً إلا إذا ارتكب كبيرة من كبائر الله، ونصحته ورفض أن يرتد عنها.

كما ورد في بعض الأثر أن النبي ﷺ جاءته جاريةٌ صغيرةٌ في السن وأمسكت بثيابه وقالت: أغثني يا رسول الله، كنت أحمل طبقاً لأهلي فانكسر مني، ويريدون أن ينتقموا مني، فذهب إليهم الرسول ﷺ بتواضعه الجمّ، ولم يدْعُهم إليه، فقال: يا قوم إن لها أعمارٌ كأعماركم، هذا الطبق قد انتهى عمره فلم تحاسبوها عليه، فلو ألقت الطبق بنفسها متعمدة تُؤاخذ لأنها عامدة متعمدة، لكنه وقع رغماً عنها ولا تريد ذلك.

إذاً يجب أن نلاحظ النيات والنوايا عند العلاقات التي بيننا وبين الخلق، والنوايا لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، لذلك يجب أن نُحسن الظن فيمن نتعامل معهم، ونفترض لهم حُسن النوايا، وإن كانوا لا يريدون ذلك، فإن الله ﷻ يُثيبنا على ذلك لأننا نؤلف بين جماعة المؤمنين.

---

٤٦ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

النبي ﷺ معلماً

كان ﷺ معلماً للأطفال، ومعلماً للرجال، ومعلماً للنساء، ومعلماً للجيران، ومعلماً للأعداء في كيفية التصرف السديد في كل أمر يحدث بينهم، لأنه كان أهم حرصه ألا يقع خلاف بين مسلم ومسلم، وألا يقع كُره وعداوة بين مؤمن ومؤمن، ولذلك يقول ﷺ عن المؤمنين في زمنه ومن بعده إلى يوم الدين:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[٤٧]

ما أحوجنا إلى العمل بقول الله أجمعين: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (١٢٥النحل) لم يقُل بالموعظة الحسنة أولاً، ولكن الحكمة أولاً، فهي التي تحل المشاكل، وهي التي تزيل الخلافات، وهي التي توثق الروابط بين الأفراد والمجتمعات.

والرسول ﷺ كان حكيماً في كل تصرفاته، وكان له في ذلك الشأن العجيب، ويا ليتنا في هذه الأيام نطالع بعض سيرة حضرته في التعامل بالحكمة بين الخلق أجمعين.

كان له ﷺ جارٌ يهودي وكان إذا أصبح صباح كل يوم يحمل ما يخرج منه من روث ويضعه على باب بيت النبي ﷺ، فلا يعاتبه ولا يحاسبه ولا يُخبر أصحابه حتى يغاروا له فيقومون بإيذائه.

وفي يوم من الأيام لم يجد هذا الذي يجده كل يوم، فسأل عن جاره اليهودي، فقالوا: إنه مريضٌ يا رسول الله، فذهب لعيادته، فما كان من الرجل إلا أن أُخذ بهذه الأخلاق الكريمة، وأسلم في الوقت والحين لما رآه من جمال حكمة وأخلاق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

نحن في هذه الأيام تقوم حملةٌ شديدة من النساء لعدم تعدد الزوجات !!!

مع أنه لا حل لمشكلات العنوسة في مجتمعنا إلا بتعدد الزوجات، فأين يذهب

---

٤٧ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير ﷺ

هؤلاء البنات اللائي لم يتزوجن؟! والذي يتزوج اثنتين يظل طول عمره في عناء لما يحدث بينهما، ولا يستطيع مهما بذل أن يحل الخلافات التي تحدث بينهما، لكن النبي كان له تسع نساء وكان يعدل بينهن وهن عنده في العدل سواء.

وردفي بعض الأثر أن النبي ﷺ مر في يوم على كل زوجاته وأعطى لكل واحدة منهن تمرة، ثم جمعهن فقالت إحداهن: يا رسول الله من أحب نساءك إليك؟ قال: صاحبة التمرة، وكلهن صاحبات التمرة، وهذه هي الحكمة البالغة التي علَّمها لنا، ولذلك قال لنا بين أبنائنا:

{ سَوُّوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ }[٤٨]

سووا بين أبنائكم حتى في القُبَل !!!

فإذا قبَّلت أحدهم فلا بد أن تقبِّل الآخر أمامه، والحب الذي في قلبك لأحدهم لا تُظهره واجعله بينك وبين الله ﷻ، لكن لا بد أن يكونوا جميعاً في البر سواء، لأن أهم ما تورثهم هو محبة بعضهم لبعض، حتى يكونوا بعد أن يكبروا أحباء، ويكونوا أودَّاء، ويكونوا حريصين على الصلات الطيبة فيما بينهم، .. وعلى القيام بالحقوق المرعية لأحبابهم وإخوانهم.

لا تفرق بينهم فينقلبون من إخوة إلى أعداء كما نرى الآن في بعض البيئات وبعض الأسر، لأن هذا بسبب عدم حكمة الأب أو عدم حكمة الأم، وعدم اقتدائهم بالرسول ﷺ في هديه.

والله يا أحبة لو درسنا أو سمعنا سيرة النبي في كل شيء، ولا نعمل شيئاً إلا نستحضر حضرته كيف كان يتعامل في هذه المسألة، ما وُجدت خلافات في المجتمع كله، ولغُلِّقت المحاكم ولم يحدث فيها نزاع، وقد كان ذلك في عصره ﷺ.

فعندما تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد النبي ﷺ، عيَّن للمسلمين أجمعين قاضياً واحداً هو عمر بن الخطاب، وهو قاضي لكل الدرجات، ليس هناك استئناف، ولا هناك نقض، ولا هناك محكمة إبتدائية ومحكمة شرعية، وكان الراتب يُصرف كل عام، وليس كل شهر كما هو الآن.

---

٤٨ سنن البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وبعد انقضاء فترة عمله لمدة عام استدعاه خليفة رسول الله ليعطيه راتبه، فقال عمر لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

لا أستحق هذا الراتب، لأني طوال هذا العام لم تُعرض عليَّ قضية واحدة!.

لم تعرض عليه قضية واحدة بين هؤلاء القوم أجمعين، وتعلمون أنهم كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وحدِّث ما شئت عما بينهم من العصبية القبلية والفخر بالآباء والأجداد وغيرها من الصفات، لكن هذَّبهم النبي الكريم ورباهم الرؤوف الرحيم، وجعلهم إخوة متحابين، يحلون كل مشاكلهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا يحتاجون إلى الذهاب للقاضي، ولا إلى مرافعات، ولا إلى منازعات، بل عاشوا جميعاً إخوة متحابين متآلفين.

وأنتم تعلمون أنهم لم يدخلوا مدارس أو جامعات، فما بالنا نحن وقد حصل أغلبنا على أعلى الدرجات العلمية؟! ولكنك تجده في التعامل مع غيره في أدنى الدرجات الدنيوية، ما هذا؟! وما ذاك؟! أليس لنا قدوة في هؤلاء الصحابة الكرام!؟ ونقتدي بهم في التعلم من سيد الأنام، ونمشي على هديه في التعامل مع زوجاتنا.

ما الذي يجعل الأمة المصرية يكثر الطلاق بين شبابها وفتياتها إلا لجهلهم بدين الله، وعدم تأسِّيهم واقتدائهم بسيدنا رسول الله، وزوجاته أمهات المؤمنين، وصحابته الهادين المهديين، مع أن العروسين ربما يكونا معاً من حملة الدكتوراة، ولكن نجد الآن كما قيل في الإحصاءات الرسمية ٦٠ % من حوادث الطلاق في مصر تحدث في السنة الأولى من الزواج، لأنهم لم يجدوا ناصحاً أميناً ينصحهم، ولم يجدوا من الأهل التوجيه السديد، بل إن الأهل وللأسف يثيرون هذه النزاعات، ويشعلون هذه الشقاقات، ويقولون له: طلقها وسنزوجك غيرها، ولها: اتركيه وستتزوجي خيرٌ منه.

ليس بهذا تُعالج الأمور، إن آبائنا وأمهاتنا – وكانوا أميين – لم يكن عندهم هذا الكم من المشكلات في الطلاق، لأنهم لم يكونوا يتعاملوا مع أبنائهم وبناتهم بما نتعامل به الآن.

كانوا حريصين على المودة والرحمة بين الزوجين، وعلى المعيشة السديدة، وعلى أن بيتاً أُقيم في الإسلام لا نسعى إلى هدمه، بل نسعى إلى تثبيت أركانه وتوطيد بنيانه، وكل المشكلات على اختلاف أنواعها لها حلول، على أن يتنازل هذا، أو تتنازل هذه، ويظل الوفاق بين الطرفين.

المؤمن والحكمة

أول ما ينبغي أن يتحلى به المريد والسالك في طريق الله هي الحكمة.

فنحن في كثير من الأحيان نتصرف تصرفات العوام في التعامل مع بعضنا، بنفس الألفاظ التي يرددها العوام، مع أننا يجب ألا ننطق لفظاً قبل أن نعرضه على الفكر، حتى أوجهه بطريقة حكيمة لغيري.

سيدنا الحسن والحسين:

اللذان تربيا في بيت الحكمة:

وكان أطفال المسلمين حكماء، لأن الآباء والأمهات كانوا حكماء:

رأيا رجلاً يتوضأ ولا يعرف كيف يتوضأ، فلو قالوا له: أنت رجل جاهل وتعالَ حتى نعلمك كيف تتوضأ، فسيقول لهما: لا شأن لكما بي، وهذا ما يحدث الآن.

فماذا يفعلان؟

قال أحدهما: يا عماه أنا أتوضأ أحسن من أخي، وأخي يقول: أنا أتوضأ أحسن منك، فنحن سنتوضأ أمامك وأنت تحكم بيننا، فتوضأ أحدهما واحسن الوضوء، ثم توضأ الآخر وأحسن الوضوء، فأدرك الرجل خطأه، فقال لهما: أنا الذي أخطأت.

هل أولادنا يعالجون الأمور بمثل هذه الطريقة؟!

لا، .... لماذا؟

لأننا لا نعالج الأمور مع بعضنا كأبٍ وأمٍّ بهذه الطريقة.

فالرجل لكي يُظهر أنه رجل لا بد أمام الأولاد أن يرفع صوته، ويمد يده، ويُسمع الجيران حتى يُظهر أنه رجلٌ قوي، ونفسه تقول له ذلك على حسب هوى نفسه، وليس على حسب مفهوم دينه !!!!!

ولو أن الأولاد رأوا الحكمة من الأبوين في التعامل ...!!!

لأصبح هذا الجيل حكماء.

الحذر من اتباع الهوى

ونحن شهدنا الصالحين السابقين وأحبابهم الذين مشوا على نهجهم كلهم كانوا حكماء، أما المريدين العصريين فيريد أحدهم أن يكون مريداً، ويكون مع النبي السعيد في المعية، ولكن له شرط أن يمشي على هواه، فلا أحد يقول له: اعمل هذه، ولا أترك هذه، ولا هذا خطأ، ويريد أن يمشي على هواه، ويُؤوِّل لأن التأويل سهل:.... ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ (٥٤الكهف) ويقول: أنا أقصد كذا ونيتي كذا.

وكان أصحاب رسول الله وقَّافين، سيدنا عمر بن الخطاب كان شديداً، وقال: أنا أريد أن أجعل حداً لمهور النساء، فردَّت واحدة من صفوف النساء وقالت له: وأين أنت من قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ (٢٠النساء) ففي الحال وقف وهو على المنبر ولم يخش في الحق لومة لائم وقال: أخطأ عمر وأصابت امرأة، حتى لا يأخذ الناس منه الخطأ على أنه كلام مسلَّم ويمشون عليه.

وكان يقول: (رحم الله أُمرءاً أهدى إليَّ عيوب نفسي) يدعو بالرحمة لمن يقول لي أنت عيبك كذا أو كذا حتى أصلحه، المهم أن يبغي بقوله الإصلاح وليس للإنتقاد أو للإعتراض، بل يبغي الإصلاح، فكانوا كلهم على هذ الكيفية لأنهم تعلموا من الحضرة النبوية.

لما أراد الله ﷻ أن يعلِّمنا كيف نعالج السهو في الصلاة، ... سها رسول الله ﷺ في الصلاة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: { صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعَشِيِّ، فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، فَانْطَلَقَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ بِيَدِهِ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانُ، وَخَرَجَتْ السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: قُصِرَتْ الصَّلَاةُ، وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما فَهَابَاهُ أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ قَالَ كَانَ يُسَمَّى ذَا الْيَدَيْنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَسِيتَ أَمْ قُصِرَتْ الصَّلَاةُ؟ قَالَ لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ الصَّلَاةُ، قَالَ: وَقَالَ أَكَمَا

قَالَ ذُو الْيَدَيْنِ قَالُوا: نَعَمْ، فَجَاءَ فَصَلَّى الَّذِي كَانَ تَرَكَهُ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ ثُمَّ كَبَّرَ ثُمَّ سَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ كَبَّرَ }[٤٩]

الصف الذي خلف الإمام مباشرة يجب أن يكون للعلماء الحفاظ، حتى لو سها الإمام في الإمامة يفتحوا عليه، لأنه يحتاج لكلمة واحدة فقط فيفتح عليه وهو يكمل، فإذا فتحوا عليه مرة والثانية ولم يُكمل يتركوه حتى لا يرتبك، فلا بد أن يكون عندهم حكمة، كيف يفتحه؟ يعني يقرأ الآية، فإذا لم يتداركها يتركوه حتى لا يرتبك الرجل في الصلاة.

ويكونوا علماء حتى لو حدث له حدثٌ في الصلاة يخرج من الصلاة ويشد آخر ممن في الصلاة ليكمل الصلاة بالناس، فمن يشده للصلاة يجب أن يكون عالماً، على الأقل عالم بأحكام الصلاة.

وهذا الكلام لم يعد مطبقاً في القرى والمدن الآن، أصبح بالباع والذراع الوقوف في الصف الأول، وتحاول سحبه منه وتقول له: هنا مكان الشيخ فلان، فليس له شأنٌ بهذا، لماذا؟ لأنه لم يعلمه أحد.

كيفية تعلم الحكمة

يجب أن نتعلم الحكمة، وتعلُّم الحكمة ليس له إلا سبيل وحيد، ومنهجٌ واحدٌ رشيد، وهو أن أقتدي برسول الله قبل أي عمل أنوي فعله، حتى إذا أردتُ أن آكل، ففي كل مرة أستحضر في نفسي كيف كان يأكل رسول الله حتى أفعل مثله.

فإذا نسيت، فإنه توجد صورٌ في الأكوان يوجدها الله ﷻ ويجملها بجمال النبي العدنان، حتى تكون موجودة معنا عيان بيان، حتى تكون لله الحجة البالغة، هذا الرجل أشبه الناس برسول الله ﷺ.

لذلك لو أردت أن أشرب، أو أن أتكلم، يكون نفس الأمر، هل أحدٌ منكم سمع

---

٤٩ صحيح البخاري والنسائي عن أبي هريرة ﷺ

أن رسول الله ﷺ عندما كان يتكلم كان يرفع صوته؟ أبداً، حتى في الخطبة لا يكون ذلك، بل كانوا يقولون: (وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ)[٥٠] وصهل يعني بحَّة ولكنها بحة جميلة.

بعض القراء وبعض المغنيين يكون عندهم بحَّة في الصوت تجعله أكثر جمالاً، فكان ﷺ عنده هذه البحة، وصوته لم يكن عالياً مع أنه كان يُسمع الآفاق، يخطب في مِنى والناس كان معظمهم على الجبال المحيطة بمنى، فسيدنا عبد الرحمن بن معاذ رضي الله عنه يقول:

{ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا }[٥١]

من الذي يوصل الصوت؟ الهواء، والهواء يوصل بأمر من يقول للشيء كن فيكون، يأخذ صوت من هذا ويوصله هنا وهناك، لكن سيدنا رسول الله كان لا يعلو صوته أبداً.

فلو حدث بيني وبين أحد أمر وأريد أن أرفع صوتي، أتذكر هل رفع رسول الله صوته؟ فلا أرفع صوتي، أو أدخل في الإثارة وأريد أن أتحدث بكلام يُؤلم، فهل كان رسول الله يتكلم بكلام يُؤلم؟ لا، هل سبَّ أحداً أو شتم أحداً أو استثار أحداً بكلام يثيره؟ لم يحدث أبداً، بل كان هيناً ليناً في كل كلماته، إن كان في بيته، أو في المسجد، أو خارج المسجد، أو حتى في ميدان الحرب الذي هو أدعى لرفع الصوت.

وكان عندما يحب أن يدعو الجيش أو الجماعة الذين معه وهم كثير، كان يختار أحداً من أصحابه جهوري الصوت، فهو يقول والرجل يكرر بصوته ألفاظ حضرة الرسول، حتى لا يرفع صوته، وحتى يعرفنا أن الأحسن والأجمل والأكرم الصوت الهاديء: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة) اختاروا الصوت الحسن الذي تخاطبون به الناس، واختاروا الكلام والألفاظ الحسنة التي يجب أن تقولوها للناس.

والكلمات الأخرى ليست في قاموسنا !!!

فقاموس ألفاظ المسلمين ليس فيه ألفاظ السب والشتم والهجر التي نسمعها:

---

٥٠ الحاكم في المستدرك

٥١ سنن أبي داود والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ رضي الله عنه

{ لَيْسَ الْمُسْلِمُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ }[٥٢]

ليس عنده هذا الكلام نهائياً لأنها غير موجودة في قاموس الإسلام، لأنها أشياء ليست من الإسلام، ونحن كلنا رمز للإسلام، وكل واحد منا حريص مهما تعصب أن لا يخرج منه إلا قول الحق والصدق، ولا يخرج من هدوءه قط إلا في حالة واحدة، وسيدنا رسول الله صرَّح بها، تقول فيها السيدة عائشة:

{ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ }[٥٣]

كان لا يغضب لنفسه قط، ولا يغضب إلا إذا انتُهكت حرمات الله ﷻ، فإذا انتهكت حرمات الله فهي كبيرة من الكبائر، فهل يجوز أن أسكت عنها؟ لا، وإلا أكون شريكاً في الجريمة.

وقد ذكرنا عن التعامل مع الجيران مثلاً صغيراً مما حدث مع النبي العدنان، وهذا حجة علينا جماعة المسلمين، فهل يوجد أحدٌ من المسلمين يعمل مثلما فعل النبي مع اليهودي؟! مهما بلغ إيذاء الجار فهل يبلغ ما حدث مع حضرة النبي؟ لا، وماذا أفعل؟ تحمَّل كما قالوا في الحكمة: (الجار ولو جار).

يعني الجار لو ظلمك فعليك بالصبر، وستحل كل المشاكل، وسيأتيك حقك ولو بعد شهر أو سنة أو أكثر، وسيعترف بخطأه، ما دمت لم تخرج عن الشعور، ولم تقُل ألفاظاً فيها هجر ولا فحش ولا غيره.

لكننا لا نصبر ومتعجلين الأمور دائماً، كيف أترك حقي؟ وماذا يقول الناس عني؟ هنا النفس، حضرة النبي يقول:

{ مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا }[٥٤]

ونحن نقول: إن لم آخذ حقي سيقولون عني أني رجلٌ ضعيف ورجلٌ كذا، لكن ما الكلام الأصدق؟ هل كلامنا أم كلام حضرة النبي؟!!.

---

٥٢ معجم ابن الأعرابي عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٥٣ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها
٥٤ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

ترك الفضول

على سبيل المثال ما يحدث مع معشر السيدات:

امرأة لم تتزوج وكبرت في السن، فإذا حضرت اجتماع مثل هذا، تقول لها احداهن: لماذا لم تتزوجي إلى الآن؟! والأخرى تقول لها: ألا تستطيعي أن تبحثي لكي عن زوج وتتزوجيه؟! فيزيد القلق النفسي الذي عندها، وتقول: هذا المكان لن أذهب إليه أبداً لما أسمعه من هؤلاء الناس، فهل هذه ألفاظ؟!.

وماذا نقول لها؟ نقول: ربنا يفتح عليك يا بنيتي بابن الحلال، ربنا يرزقك برجل صالح يعفُّك، ربنا أخَّر لك هذا حتى يرزقك بالأحسن والأفضل، هذا ما نقوله، فيجب أن نصبرها ولا ننفرها.

نحتاج كلنا أن نتعلم الحكمة في الألفاظ التي تخرج منا حتى تكون بهدي سيد الأنام ﷺ، وهذا الباب الذي لا بد منه قبل الدخول في الرحاب.

حفظ الأسرار

لا بد للمريد أن يتجمل أولاً بالحكمة العالية: وأول الحكمة حفظ الأسرار الغالية.

وهذا هو أول دليل على أنه تحلَّى بالحكمة، فنحن كلنا عندما يحدث لأحدنا مشكلة لا يستريح حتى يبوح بها، حتى يُزيل الهم عنه ويستريح، فإلى من أحمل همي؟

إلى أخ أعتقد أنه من الصالحين، فأجد بعد يوم أو أكثر من يوم نشرة موجودة بين الأحباب أجمعين بأنني عملت كذا وكذا وقلت لفلان كذا، فهل أنا بُحت لشيطان ليفضحني بين الناس أم بُحت لأخ لي في الله يكتم سري ولا يفشيه لعباد الله؟!!، إذا كان حضرة النبي يقول:

{ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ }[٥٥]

إذا حدثك أخاك بحديث ثم التفت وهو يكلمك كأن سمع صوت قادم فالتفت

٥٥ جامع الترمذي وأبي داود عن جابر ﷺ

ونظر وسكت، أو ينظر هل سيأتي أحدٌ أم لا، فتعرف أن هذا الكلام أمانة، فلا يصح أن تقوله لأحد.

لماذا؟ لأن أي مجتمع في أي زمان ومكان لا يخلو من المنافقين، والمنافقين وظيفتهم إيقاع الفتنة والفرقة والانقسام بين صفوف المؤمنين، فلن ينقل الكلمة كما هي، ولكن لا بد أن يعمل لها إخراج، فيضيف لها جزئية من هنا وجزئية من هنا ليثير النفوس، ولكي يصنع فُرقة بين القلوب، من الذي سمح له بذلك؟ نحن، ولذلك قال ﷺ:

{ الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَاتِ }[٥٦]

نفرض أني سمعت من أحد الأحباب كلمة وأريد أن أفهم معناها لأني لم أفهم جيداً، فأرجع لصاحب الشأن ولا أذهب لآخر وأقول له: فلان قال كذا، فما معنى ذلك؟، لأن هذا سيفسرها على هواه وليس كما يريد الأول الذي حكاها لي.

لكن أرجع لفلان الأول وأقول له: قلت لي كذا فما معنى ذلك؟ فيفسرها لي كما يريد هو، ولن أسمعها بهوى واحد آخر، يريد أن يفصل بيني وبين أخي، أو يزيد النزاع بيني وبين أخي، فهذا لا يجوز في طريق الله ﷻ.

ولذلك كان السلف الصالح يقولون:

(نحن قومٌ نجلس مع الله، فإذا قمنا من المجلس، فكأننا لم نجلس) حفظاً للسر!

فأنت مثلاًحضرت مؤتمراً عاماً، ويأتي واحد أو اثنين أو أكثر ويسألك: ماذا قلتم؟ وماذا سمعتم؟ فأقول له ما يحتمله حتى لا يستطيع أن يتلاعب بالكلام، ويصنع لي مشكلة بين الناس، فلا أحكي له كل التفصيلات، لأن التفصيلات لم يكن حاضراً فيها، فيأخذها على حسب هواه إن كان حاقداً أو حاسداً أو منافقاً، لأنه سيقول: فلان الذي قال لي هذا، وينشر ما يريد وينسبه في النهاية لي أنا.

كتمان الأسرار هذا أول مؤشر على أن الإنسان دخل دائرة الأخيار الأطهار، وأصبح حكيماً عند النبي المختار ﷺ.

حتى الأولاد الصغار كانوا يعلمونهم هذه الحكمة، وابحث في صحائف أصحاب

---

٥٦ اعتلال القلوب للخرائطي ومسند الشهاب بصيغة (المجالس بالأمانة) عن علي بن أبي طالب ﷺ

حضرة النبي تجد العجب، سيدنا أنس بن مالك ﷺ وأرضاه، أمه السيدة أم سليم كانت من الصالحات، وكانت لا تُنجب، ونذرت إن رزقها الله بولد أن تهبه لخدمة البيت الحرام، فرزقها الله بأنس، وهي طبعاً لن ترسله للبيت الحرام إلا بعد أن يكبر حتى يعتمد على نفسه.

وسيدنا رسول هاجر للمدينة وأنس كان عنده عشر سنوات، فأمه جاءته وقالت: يا رسول الله إني كنت قد نذرتُ إن رزقني الله بولد أن أهبه لخدمة الكعبة، فرزقني الله بأنس وأنا أهبه لخدمتك، فقال:

{ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ }[٥٧]

وفي رواية أخرى:

{ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مالَهُ و ولدَهُ و أطلْ عمرَهُ و اغفرْ ذنبَهُ }[٥٨]

فكثر ماله حتى كانت حدائقه في البصرة تنتج في العام مرتين، بدون هندسة وراثية ولا غيره، ولم يمت إلا وأخرج الله من صُلبه وأولاده وأحفاده أكثر من مائة رجل، وعاش حتى تجاوز المائة، لأن دعوة رسول الله مُجابة فوراً.

سيدنا أنس وهو عنده عشر سنين، كان لا يزال تفكيره في اللعب، لكنه تربى في بيت الحكمة:

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾ (٣٤الأحزاب)

والحكمة هنا في أصح الأقوال:

هي أحاديث حضرة النبي، لأن كلها حكم ربانية عالية.

فبعثه سيدنا النبي ﷺ في طلب، فوجد بعض الأطفال يلعبون فجلس معهم، فرأته أمه وكانت تمر، فسألته: ماذا تصنع هنا يا أنس؟ فقال لها: أرسلني النبي في طلب له، قالت: أين أرسلك؟

---

٥٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٥٨ البخاري في الأدب المفرد عن أنس ﷺ

فقال لها: لا أبيح سر حضرة النبي، فاحتضنته وقالت له: هكذا فكن.

لم تلمه وتقول له: كيف تقول ذلك؟!! كما يحدث من الكثير الآن، يذهب الرجل ليزور أحد أقاربه، فتُرسل الزوجة معه أحد الأولاد، حتى تعرف ما يحدث هناك، وعندما يعود تقول للولد: ماذا أكلتم؟ وماذا شربتم؟ وماذا فعلوا معكم؟ فإن لم يقُل، تقول له: أنت لست ابني ولا أعرفك، وقد تعاقبه.

أين نحن وأين التربية المحمدية؟!

فلم تغضب منه ولم تقُل له: كيف تخفي هذا على أمك، ولكن قالت له: كن كما أنت هكذا تحافظ على أسرار حضرة النبي.

لماذا؟ الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه يقول للسالكين في مذكرة المرشدين والمسترشدين:

(قد يبوح لك المرشد ببعض أسراره الخاصة ليختبرك، فإن بُحت بها، كنت لست أهلاً لتحمل الأسرار العلية)

لا تصلح لهذا الطريق، تحضر معنا خمسين سنة أو مائة سنة أو أكثر، وتجلس تأكل وتشرب وتقوم، لكن العطايا القلبية محروم منها تحريماً أبدياً لأنك لست حافظاً للأسرار، وإن حفظتها ولم تُبح بها كنت أهلاً لحفظ الأسرار العلية.

ولذلك الصالحون في الدرجات العُلى اسمهم الأمناء، لأنه أمين على ما يراه ويطلع عليه من حضرة الله، وأمين على ما يسمعه في رؤيته لحبيب الله ومصطفاه.

بعض المتطفلين يسألون: كم مرة رأيت حضرة النبي؟ وكيف رأيته؟ لكن ما شأنك أنت وشأن هذا الأمور؟! إنها أسرار، وهل الإنسان يحكي أسراره لكل الناس؟! فإذا حكى ذات مرة شيئاً فيكون بإذن من صاحب الإذن، ويكون لضرورة في هذا الأمر، ولكن ليس لنفسه.

ولكنه ماذا رأى؟ وما لقاءاته مع حضرة النبي؟ فهل يحكي كل هذه الأمور؟ لا، سيدنا موسى عندما أراه الله ما أراه من آيات الله في الملأ الأعلى، قال:

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ من كثرة ما نزل فيه من العطاءات الإلهية ..

﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ (الشعراء) لن أستطيع أن أنطق بهذه الأمور، ولا أستطيع أن أُظهر شيئاً منها لأنها أمانات إلهية، وقد لا تحتملها عقول البرية، ومن أظهر ما لا يُطاق، أوقع غيره في النفاق.

سيدنا موسى قال لن أستطيع أن أنطق بهذه الأمور، وطلب من الله أن يوازره بهارون، لأن سيدنا هارون لم يتربَّى في بيت فرعون، فعندما كان سيدنا موسى يخاطب فرعون قال له فرعون: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (الشعراء) يعني بعد أن ربيناك هذه التربية، فهل تكون أول من ينقد ألوهيتنا!!!، لأنه جعل نفسه إلهاً.

لذلك طلب سيدنا موسى من الله وقال: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (القصص) يعني الكلام مع هؤلاء القوم، لأنهم ليس لهم عليه حُجة.

ففرعون كان يقتل كل مواليد بني إسرائيل، ولما وُلد موسى وضعته أمه في صندوق وألقت به في البحر، وبعد فترة خفَّف فرعون الأحكام، فقال: سنة نقتل الأولاد، وسنة نتركهم، فوُلد هارون في السنة التي ليس فيها قتل الأولاد، فنجا، وليس لفرعون عليه جميل، والأنبياء أحسن الناس احتراماً لمن أدَّى إليهم جميل، وشكراً لمن صنع فيهم جميل.

فقال موسى: لن أستطيع أن أكلم فرعون مرة ثانية لأنه يعايرني بالتربية التي تربيتُ فيها عندهم، وقال موسى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ (طه) العقدة هنا هي عقدة الحياء، ولم يكن ألدغ كما تقول الروايات المدسوسة في كتب التفسير، يقولون: أن سيدنا موسى لما أراد فرعون أن يقتله، فامرأته قالت له: إنه لا يعرف التمرة من الجمرة، فأتوا له بتمرة وجمرة فأمسك بالجمرة ووضعها على لسانه فأصبح ألدغاً.

كلام غير صحيح، لأنه بالمنطق لو أمسك بالجمرة ولسعت يده، فهل يضعها على لسانه؟!! لا، حتى لو وضع الجمرة على لسانه فإنها ستلسع الجزء العلوي من لسانه فهل يصبح ألدغاً؟ لا، وهل يصلح أن يكون نبياً ألدغاً؟! لا، فشرط النبي الفصاحة.

وهذا أيضاً الشرط الذي نقوله لأحبابنا، إذا كنت تريد معرفة الأولياء الورثة، فلا بد أن يكون مرشد، لكن فلان رجلٌ صالح وفيه كذا وكذا وله كرامات، ولكنه لا يتكلم، لأنه غير مأذون، فهو ليس وارث كلي وليس ولي مرشد، وهذا قد يكون ولي لنفسه،

لكن الولي المرشد لا بد أن يرشد:

﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف).

الولي إذا كان لا يتكلم فهذا دليل على أنه ليس صاحب الشأن في هذا الأمر، فإذا كان أبوه ولي مرشد فهو صاحب الشأن، وليس الشرط أن ينتقل من الأب لابنه في الجسم، لكن قد ينتقل لأحد أبنائه في الروح، وكثير من الناس من غفلتهم يتبعون ابن الجسم، ويقولون: هو الوارث وهو الذي معه كل شيء.

لكن هناك مواصفات قرآنية وضحها الله ﷻ للجميع في آياته القرآنية، فعندما قال سيدنا موسى: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴾ (طه) فهي عقدة الحياء، لأنه كان حياً، وهؤلاء هم الذين ربوه، وهم الذين أنشأوه، وهم الذين قاموا له بكل ما ينبغي إلى أن وصل إلى سن الرشد، لكن هارون لم يتربَّ في هذا المكان.

فحادثة الجمرة والتمرة ليس لها أساس في صحيح القرآن، ولا ورد عنها حديث عن النبي العدنان، ولا وردت عن الصادقين من أصحاب النبي الأمين، ولكن هي رواية مدسوسة من الروايات اليهودية، وما أكثر الروايات اليهودية المدسوسة، وهذا يحرُم على أي مسلم واعظ أو عالم أو مسلم عادي أن يحكيها لغيره على أنها قصةٌ صحيحة.

لأنه من الجائز أن يكون هناك من يعتقد فيك، فيقول أن الشيخ فلان قال لي كذا وكذا، وهي قصة ليست صحيحة، وعندنا القصص الحق فيه الكفاية:

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ (آل عمران) وهو القرآن الكريم.

إذاً ينبغي على الإنسان في بدايته أن يتجه إلى الحكمة العلية ليتعلمها، ومن أين يتعلمها؟ أن لا يصنع شيئاً إلا ويستحضر حضرة النبي كيف كان يفعله؟ وكيف كان يعالجه؟ فإذا لم يعرف يسأل:

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل).

على سبيل المثال:

الناس الذين يخصون بعض أبناءهم في الميراث بدون حق، فيوزع التركة كما يريد، لكن لو رجعوا كلهم للعلماء الأتقياء، فهل يحدث هذا الأمر؟ لن يحدث، لكن عندما

يصنع ذلك من نفسه ويقول: هذا مالي وأنا حر فيه، فإذا كان مالك وأنت حرٌ فيه، فلِمَ يحاسبك عليه الله؟!! بل إنه سيحاسبك عليه مرتين: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟.

ولذلك عندما يُنفق بعض الناس في سفه في أي أمر من الأمور، ويقول: هذا مالي وأنا حر فيه، فأنت لست حراً، لأن معك بند المصروفات في كتاب الله، وتوضحه المذكرة التفسيرية لسيدنا رسول الله، حتى في الضرورات، أنا أريد أن آكل، لا مانع ولكن:

﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ (١٤١الأنعام)

الشرط أن لا تسرف، فلا تأكل وتلقي الباقي في المخلفات، لكن تأكل على قدر ما تحتاج، حضرة النبي زاد الأمر ووضحه أكثر، فقال:

{ كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ، وَلَا سَرَفٍ }[٥٩]

ومخيلة يعني تباهي أو خُيلاء، كأن تدعو للطعام اثنين فقط، فتصنع وليمة كبيرة تكفي خمسين، وذلك حتى تتباهى أمامهم ويقولون عنك: أنت شيخ عرب، وأنت رجلٌ كريم، وأنت كذا وكذا، وهذا لا يجوز.

لا بد لأي أمر أنفقه أن يكون موجود في كتاب الله، وتفسيره في سُنَّة رسول الله، ولذلك كما ورد بالأثر: ((لا خير في السرف ولا سرف في الخير)) وماذا يعني ذلك؟ يعني لو مالي كله صرفته في الخير، فإن اللائحة تسمح، لأن سيدنا أبو بكر أتى بما عنده كله للنبي، فقال له:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ هَذَا مَالٌ كَثِيرٌ، فَمَا تَرَكْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: اللَّهَ وَرَسُولَهُ }[٦٠]

هل قال له: خذ نصفهم؟ أو هل اعترض على ذلك؟ لا، فاللائحة موافقة على ذلك لأنه في الخير.

ولو أنفقت جزءاً قليلاً في الشر، فقد أسرفت، لأنه سيُكتب في صحيفة السيئات، ويتحرر لك محضراً فيما أنفقت، لأنه في السيئات، البعض كل ماله ينفقه على

---

٥٩ مسند أحمد والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
٦٠ فضائل الصحابة لابن حنبل، وتاريخ دمشق لابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

المخدرات والمسكرات ويقول: مالي وأنا حر فيه، لكن هل يوجد أحدٌ منا حر؟ نحن كلنا عبيد لله، فماذا نفعل؟ نفعل ما أمرنا به الله في كتاب الله، وما وضحه لنا سيدنا رسول الله ﷺ، والمال الذي معك قال فيه الله:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ ﴾ (٧الحديد).

مال الله

فهذا مال الله أعطاه لك لفترة، ولو أنه مالك لسمح لك قبل أن تموت أن توزعه كما تحب، لكن هل يجوز أن توزعه كما تريد؟ لا، ولكن تتركه للورثة يوزعوه كما قال شرع الله، لأنه ليس ملكك، ولكنه ملكٌ لله ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ ﴾ (١٢٨الأعراف).

إذا كنت أنا أمين على مال نفر أو جماعة من المسلمين، فالأمانة هنا أكبر، ولا يجوز أن أتصرف في هذا المال كما أريد، بل كما يريد هو، لكن أنفقه كما أريد وأقول أنني أعمل لله، وهذا مال الله، وأنا أتألف به قلوب عباد الله، لا، فإنك لم تصل لهذه المرحلة، لكن تنفق كما بيَّن الله في كتاب الله، وكما بيَّن رسول الله ﷺ ووضح ما خفي علينا من البيان في كتاب الله ﷻ.

ومن المعضلات العُظمى في هذا الزمان في المجتمع، أن كثير من القائمين على الأعمال الخيرية يتصرف كما يريد في هذه الأموال الأهلية، لأنه يستطيع إخفاء جزء كبير عن الأجهزة الرقابية ويتصرف فيه كما يشاء، ونفسه تأول له أنه يفعل ذلك في الخير، ونفسه توهمه أنه عمله لله، ولكن ما كان لأجل الله يحتاج لبحث قويٍّ متين عتيد في كتاب الله، واستشارة رجل رشيد أقامه الله في كون الله بالنيابة عن حبيبه ومصطفاه ﷺ.

ولذلك قيل: إن بني فلان ألف حكيم!!

قالوا: كيف؟ قال: إن فيهم ألف رجل، وفيهم حكيمٌ واحد، ولكنهم لا يصدرون إلا عن أمره، فهم ألف حكيم.

لكن لو كل إنسان تصرَّف على هواه، فقد ضاعت الدنيا، وهذا الذي ضيَّع

أحوال مجتمعنا في هذه الأيام، لأن الناس الذين معهم المشاريع الخيرية ينفقونها كما يريدون لمآربهم ولأقاربهم ولأغراضهم الشخصية، وهذا لا يرضى رب البرية ﷻ.

العبد المؤمن لا ينفق ماله إلا إذا علم علم اليقين أنه وُضع في كفة حسناته، وصار له عند الله يربيه له وينميه له.

فحتى الأشياء التي لا نشدد فيها، يعني بعض المتشددين يأخذون بفتوى المفتي السابق الدكتور نصر فريد واصل بأن التدخين حرام، ونحن نقول لم يصل لدرجة الحرام لأنه لا يُسكر، لكن فيه تبذيرٌ وإسراف.

يعني سأقول شيء عن نفسي ليس على سبيل الفخر، ... ولكن على سبيل توفيق الله ﷻ لي:

ففي بداية حياتي في الدعوة إلى الله كنت أتنقل في البلاد، وكنت عاهدتُ نفسي أني في شهر رجب أمر على جميع الإخوان في الوجه البحري والمنيا، وفي شهر شعبان مرة أخرى، وفي شهر رمضان مرة أخرى، فالشيخ قال لي: يا بني هذا السفر وهذه الرحلات تحتاج إلى مصاريف، فقلت له: يا مولانا أنا اعتبرت نفسي أني أدخن، وقلت هذا الدخان أنفقه لمرضاة الرحمن ﷻ، فأنفقه في السفر لزيارة الإخوان ورؤية الإخوان!.

فأنت عندما تحسبها ستجد أن السيجارة تضر الرئتين، وهذه الأيام الضرر أعظم في الرئتين، في ظل وباء كورونا المنتشر الذي إذا أصاب الرئتين فليس له علاج، ويحتاج لمناعة شديدة، ما الذي يساعد على تقوية المناعة؟ عدم شرب الدخان، فأي شخص يشرب الدخان معرض بسرعة للهلاك والعياذ بالله ﷻ إذا نزل الوباء إلى الرئتين.

وكذلك الشيشة أضَّر وأشد، لأنها تنتقل بين أكثر من شخص عن طريق الفم، فهذه مصيبة عُظمى.

فأنا لو حالياً أشرب دخان، كل يوم علبة بخمسة وعشرين جنيهاً مثلاً، فيكون في الشهر بسبعمائة وخمسين جنيهاً، ماذا أقول لربي عندما يسألني: أنت أنفقت سبعمائة وخمسين جنيهاً كل شهر في سبيل الإضرار بصحتك!!

لو أنا غير محتاج لهم، أنفقهم في وجه من وجوه الخير، أو وجه من وجوه البر،

والنبي قال لنا:

{ تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }[٦١]

واعتبرها بثمن نصف سيجارة، قال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ }[٦٢]

وفي رواية: { حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ، فَتَصَدَّقُوا }[٦٣]

لا توجد نسبة ربح في الكون تساوي النسبة التي يعطيها رب الكون:

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة).

جعل نسبة الأرباح سبعمائة في المائة!!!

فماذا يكون قدرها؟

تزيد، والنسبة لا تزال مستمرة، ويوم القيامة يكون لك أجرٌ لا يعلم مداه ولا قدره إلا حضرة الله ﷻ.

فالمؤمن عندما يقتدي برسول الله وبكتاب الله، ويعلم أنه عبدٌ لله، وما دام ارتضى بالعبودية لله:

فلا يتصرف في نفسه، ولا في صحته، ولا في بيته، ولا في ماله إلا بشيء يرضي ربه، فيمشي على المنهاج القويم، والطريق المستقيم، ويكون رجلاً من كُمَّل الصالحين، نسأل الله ﷻ أن يُلحقنا بهم أجمعين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٦١ السير لأبي إسحاق الفزاري
٦٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٦٣ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

الفصل السادس

شموس الأنوار المحمدية

الشمس الذاتية

الصورة الربانية

الصورة النورانية

صورته المحمدية

صورته المعنوية

الصورة المحمودية

شموس القلوب

الفصل السادس
شموس الأنوار المحمدية[٦٤]

أول شمس أشرقت كانت شمس الحبيب الذاتية، أو شمس الذات القدسية، وهي الشمس التي أشرقت قبل خلق الأكوان، وقبل خلق الأعيان، وكانت نوراً من نور حضرة الرحمن سر نفخة الله ﷻ القدسية:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر).

الشمس الذاتية

وهذه الشمس الذاتية كانت تدور حول العرش بمفردها قبل وجود أي مَلَك أو فلك أو إنس أو جان أو غيرها، وفيها يقول الله ﷻ في القرآن:

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (الزخرف).

فكانت عبادةٌ خاصة ذاتية أُقيم فيها حضرة الحبيب المصطفى بذاته القدسية، يطوف حول الذات العلية، يقول في ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

أشرقت شمسه قبيل التجلي ... سدرةً وُوجهت من المتجلي
كنت يا سيدي ولم يكُ عرشٌ ... فوق ماء تضيئ نورك أصلي
للعلي العظيم كنت مراداً ... فرد ربي ونور وجهك مجلي

فكان ﷺ يطوف حول الذات العلية ولا فلكٌ ولا ملكٌ ولا أرواحٌ ولا أشباح، معيةٌ ذاتية خصوصية للحضرة المحمدية؛ حضرة محمد رسول الله ﷺ بروحانيته القدسية.

ويُروى في هذا أثرٌ رواه أحد الصالحين، أن سيدنا رسول الله ﷺ سأل الأمين جبريل وقال: منذ كم أنت يا أخي يا جبريل؟ قال: لا أدري، غير أن هناك كوكباً يطوف حول العرش كل سبعين ألف سنة مرة، وقد رأيته سبعين ألف مرة، فقال ﷺ: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب.

---

٦٤ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٢ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٠/٢٨م

وفي هذه الحضرة القدسية كان الله ﷻ يتولَّى بذاته تربية حبيبه ﷺ تربية ذاتية، ويلقنه ما خصَّه به دون سواه من العلوم الإلهامية، والأحوال النبوية، ويكاشفه بما لا يستطيع أحدٌ سواه أن يراه من التجليات الربانية والأنوار الذاتية القدسية.

والتي إليها الإشارة بأن مقام الأمين جبريل عليه السلام وقف عند سدرة المنتهى في رحلة المعراج لأنه نورٌ ملكوتي وقال: إلى ها هنا انتهى مقامي.

فقال سيدنا رسول الله ﷺ: يا أخي يا جبريل أهاهنا يترك الخليل خليله؟! قال: يا رسول الله أنا لو تقدمت قدر أنمُلة – يعني طرف الإصبع – لاحترقت، وأنت لو تقدمت لاخترقت، لأنه جبريل نورٌ ملكوتي، ولا يجوز له أن يتجاوز إلى الأنوار الذاتية، وهذا خاصٌ بالحضرة المحمدية الذاتية دون سواه من الأولين أو الآخرين.

جبريـــلٌ وهـــو عظـــيمٌ في مكانتـــه لـم يسـتطع أن يلـج الأنـوار بـالهمم
والمصـــطفى ســـبق الأرواح أجمعهـــا بالجسم والروح فافهم زهرة الحكم

ولأنه نورٌ ذاتي ولج في هذه الأنوار، وتدلى له الرفرف الأخضر حتى وصل إلى مقامٍ ألمح إليه الله في كتاب الله فقال:

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم).

وهناك خُصَّ بما خُصَّ به دون سواه في قول الله: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (١٠النجم) ولا نستطيع الإباحة بأكثر من ذلك في هذا المقام العلي الجلي، لأنه مقامٌ خاص بحضرة النبي، وللأفراد من الورثة شميمٌ من هذا المقام، لهم في ذاتهم لا يُلمحون به لغيرهم حفظاً على أسرار الحضرة الإلهية.

الصورة الربانية

أما الصورة الربانية، فهي الصورة التي أشرق الله بها على حضرة النبيين في ميثاق النبيين، وهي صورة الحضرة النبوية الربانية التي منها انبلجت أنوار النبيين، وبها قام النبيون بما كلَّفهم بها رب العالمين من الرسالات الإلهية، فكان ﷺ شمساً كلية خاصة لا يراها إلا هؤلاء الخاصة من النبيين والمرسلين، وهذا يظهر في قول الله في هذا العهد والميثاق:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ﴾ وأظهر لهم الشمس الربانية منبلجة في مرآة الحضرة المحمدية فشهدوا: ﴿ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (آل عمران)، هذه الصورة الربانية كانت خاصة للنبيين والمرسلين وهم أرواحٌ نورانية قبل ملامسة هذه الأرواح للأشباح، لأنهم كانوا قبل القبل، والأشباح كانت لم تُخلق بعد.

الصورة النورانية

أما الصورة النورانية، فهي الصورة التي أشرق الله ﷻ بها بنوره ونور حبيبه في هيكل آدم، عندما أراد أن يأخذ له العهد على الملائكة أجمعين أن يكونوا له ساجدين، فإن الله ﷻ عندما أمر الملائكة الكرام أن يأتوا بطينة آدم من الأرض، وعجنها رب العزة ﷻ بماء التسنيم، وخلق منها هيكل آدم، ثم أظهر فيه الروح المحمدية النورانية التي يستطيع أن يراها ملائكة السماوات وأهل عالين وأهل عليين، ويراها في الدنيا المقربين من الصالحين في كل زمان إلى يوم الدين.

هذه الصورة النورانية هي التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه:

أبرزتـــه يـــد العنايـــة كونـــاً وهـــو نـــورٌ في صـــورةٍ آدميـــة

ويقول عن السجود:

فلـو أن السـجود كـان يقينـاً لأبيـه لـــم يهـــبطن مـــن عليـــة

ويوضح هذه الصورة بصورة أجلى وأوضح سيدي علي وفا رضي الله عنه عندما قال:

لـو أبصـر الشـيطان طلعـة نـوره في وجـه آدم كـان أول مـن سـجد
أو رأى النُمـــروذ نـــور جمالـــه عَبَد الجليل مع الخليل وما عند
لكـــن نـــور الله جـــلَّ فـــلا يُـــرى إلا بتخصـــيصٍ مـــن الله الصـــمد

إذاً ما ظهر من النور في وجه آدم وسجدت له الملائكة كان نور الحضرة المحمدية، شمسه النورانية التي أضاءت آفاق عالم الملكوت، وتضيئ عالم الجنات، وتضيئ كل

الآفاق العلويات، وتضيئة في قلوب المقربين في الدنيا إلى يوم الدين.

شمسنا طه الحبيب المصطفى لم تغب يا طالب الحق اليقين
من يقُل غابت فذاك لحجبه كيف يخفى نور خير المرسلين
نَوَّرتنا الشمس أصبح نورها مشرقاً في كل فردٍ في أمين
لا يغيب النور عن أهل اليقين كيف ذا والنور في الأُفق المبين

فرآها الملائكة في شاشة آدم، ويراها المقربون عند صفاء قلوبهم في الشاشة النورانية التي جهَّزها لهم ربهم، فلا يغيبون عن نور حضرته، ولا حضرته النورانية طرفة عين ولا أقل.

صورته المحمدية

وعندما أشرقت شمسه ﷺ في الحياة الدنيوية مع الإشراق الكلي للشريعة الإسلامية، فإن الإسلام كان يظهر على يد الأنبياء والمرسلين على قدرهم، فكانوا كالبدر في أول طلوعه هلال، ثم بعد أن ينمو ويزيد على حسب ما يهب الله لهم من العطاء والمزيد في تشريعات السماء التي تنزل عليهم وتتقبلها أممهم.

فلما اكتملت الأمم، واكتملت القلوب في محبة علام الغيوب أشرقت شمس الإسلام كبدر التمام في الليالي القمرية التامة فكان بدراً أضاء على الجميع، وكان ﷺ صورته الحسية شمسٌ تضيئ الشريعة، وصورته المعنوية شمسٌ تضيئ الطريق لمن يريد اللحاق بالقوم المقربين وبالعِلّية من أهل عالين وهم في الدنيا، فكانت صورته الحسية الظاهرة مع أنها خُلقت من عناصر الأرض، إلا أنها نور، لأنه كان لا يُرى له ظل، وجعله الله ﷻ هيكلاً آدمياً لنتعلم منه أحكام شرع الله، ونقتدي به في كل عمل نعمله لله في هذه الحياة، ولذا قال ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[٦٥]

وقال ﷺ في الحج: { خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ }[٦٦]

٦٥ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

فنقتدي به وبهديه في العمل بما أمرنا به الله في كتاب الله في أحكام شرع الله ﷻ، فجسمه كان شمساً تضيئ الآفاق ناشرة لشريعة الكريم الخلاق، ولأنه شمسٌ منيرة قال الله ﷻ في حقه: ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٤٦الأحزاب) ينير للناس شريعة الله ﷻ أجمعين، بينما قال الله تعالى عن شمس الأكوان: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ (١٣النبأ) أي شمساً لها حرارة، ولكن شمس رسول الله لها نورٌ وليس لها حرارة، وإنما منها أنوارٌ يزداد بها من عمل بها من الله ﷻ، ومن حبيبه ومصطفاه ﷺ، ولذا كان ﷺ إذا مشى في شمس أو قمر أو ظهر في مصباح لا يُرى له ظلٌ، لأن ظاهره نور وباطنه نور، نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء ... ولعل بعض الجُهال يقول كما قال أمثالهم في القرآن: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (١٥٤الشعراء) والحبيب ﷺ عندما رآه سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه في المنام، وكان قد نام وقد عكَّر فؤاده ما سمعه من المعترضين على مقام النبي الأمين، فقال له ﷺ مناماً: هلا قلت لهم:

محمـدٌ بشــر لـيس كسـائر البشــر كالياقوت حجر ليس كسائر الحجر

فإذا كانت الأحجار منها الذهب ومنها الفضة ومنها الماس ومنها الياقوت، فإن نبينا ﷺ وإن كان ظاهره أنه من طين، لكنه تحوَّل بأمر رب العالمين إلى طين شفاف نوراني، كما تتحول ذرات الرمال إذا وُضعت في الفرن الحراري إلى بلُّور أو زجاج شفاف، مع أنها في الأصل من الطين، ولكن بالمجاهدة تحولت إلى بلُّورٍ أو زجاج شفاف.

الحبيب ﷺ بمنة الله وبفضل الله وبإكرام الله وبخالص عطاء الله، جعل الله ﷻ ظاهره نور وباطنه نور: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (٣٥النور).

صورته المعنوية

أما الصورة التي يتعلق بها المقربون والتي يحتذون حذوها ويحاولون أن يتشبهوا بها ليصلوا إلى رضوان الله الأعظم، وإلى أعلى مقامات القرب من الله، فهي صورته المعنوية، في أخلاقه وصفاته التي اصطنعه ورباه عليها رب البرية، والتي يقول فيها الصديق رضي الله عنه لحضرته: يا رسول الله لقد طُفت قبائل العرب فلم أرى مثل أدبك، فمن أدَّبك؟

---

٦٦ سنن البيهقي عن جابر رضي الله عنه

فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي }[٦٧]

لم نجد له مثيلاً في الأولين ولا الآخرين في عفوه، وفي صفحه، وفي تواضعه في كل أحواله المعنوية، التي هي مكان الجهاد الأعظم للمقربين أن يتخلقوا بأخلاق حضرته، ويكونون في كل أحوالهم على هيئته، فإنهم بذلك يقفون في طابور المدح الإلهي:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم).

فهي هنا سر النجاح، وسر الفلاح، وسر القرب من المنعم الفتاح، وسر العطاءات والأرباح:

هي الأخـــــلاق أسرار المعـــــالي تُفاض على أولي الهمم العوالي

يقول سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه: ((التصوف خُلُق، فكل من زاد عنك في الخُلق، فقد زاد عليك في الصفاء)) وهذا ما يتفق عليه جميع أهل الوصول إلى الله ﷻ، فإنما وصلوا إلى الله بالتخلي عن الأخلاق الإبليسية، والتخلي عن الطباع الحيوانية، والتخلي عن الرذائل النفسانية، والتشبه في الأخلاق الكاملة للحضرة المحمدية.

وكان ﷺ يلحظ في ذلك كبار أحبابه !!

فقد كان ﷺ جالساً معهم وجاء رجلٌ وأخذ يكيل السُباب للصِديق رضي الله عنه، فلما زاد عن الحد أراد الصديق أن يرد عن نفسه، فما كان من الحبيب ﷺ وهو نعم المؤدب إلا أن قام من المجلس، فلحقه الصديق وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟! قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ }[٦٨]

---

٦٧ الفوائد الجلية في مسلسلات ابن عقيلةعن علي بن أبي طالب ﷺ

٦٨ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة ﷺ

بل إن الله ﷻ أعلمنا في القرآن أنه يرعى الصديقين، ويؤدبهم بآداب خير المرسلين، كما أدبه ﷺ، فهذا الصديق رضي الله عنه، كان من ضمن الذين أشاعوا الفاحشة عن ابنته التقية النقية أم المؤمنين السيدة عائشة ابن خالته مسطح، وكان أبو بكر يقوم بكفالته، فيُهيئ له كل ما يحتاجه من طعام وكساء وغيره طلباً لمرضاة الله، فلما علم أنه هو الذي قام بهذه الفعلة الشنعاء في حق ابنته ظُلماً وجوراً ولم يُحسن بل أساء إلى من أحسن إليه، قرر أن يقطع عنه معونته، فعاتبه الله ﷻ واسمع إلى نصيحة الله له: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٢٢النور).

فقال رضي الله عنه: (بلى يا رب) ورد ما كان يعطيه إياه، وقيل زاده ضعفين.

وهذا خُلُق النبوة، فلا يستطيع أن يقوم بذلك إلا نبيٌّ معصوم، أو صِديقٌ رباه على عينه الحي القيوم ﷻ، فهو يتأسى هنا برسول الله عندما دخل مكة فاتحاً واجتمع أهل مكة وكانوا حوالي ثلاثة آلاف رجل في ساحة الكعبة فقال لهم النبي ﷺ وقد وقف على باب الكعبة:

{ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَيَا أَهْلَ مَكَّةَ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ }[٦٩]، وفي رواية أخرى قال: { فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: "لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" }[٧٠]

وإلى هذا النموذج القويم في سيرة سيد الرسل والأنبياء ما لا يُحصى ولا يُعد من الآداب العلية في الأخلاق الإلهية التي كان عليها خير البرية، وهذه هي الصورة المعنوية التي يتعلق بها الصادقون ليرتقوا إلى معية سيد الأولين والآخرين.

الكل يستنير بشمس الحبيب المصطفى، أهل اليمين يستنيرون بشمس شريعته ليكونوا في الجنة يوم الدين، ويحفظهم الله من أهوال القيامة ومن النظر حتى إلى الجحيم وفروعها ... أما أهل النعيم الأعظم؛ نعيم القرب من حضرة الله، فهم الذي يستضيئون بشمسه المعنوية، وهي أخلاقه الربانية، وكمالاته المحمدية التي مدحها الله وأثنى عليها الله،

---

٦٩ تاريخ الطبري عن قتادة بن ملحان ﷺ

٧٠ سنن النسائي والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

وقال في أكثر من موضعٍ في كتاب الله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩الأعراف)، وغيرها من الآيات التي وجَّهه إليها مولاه، فلما أتم هذا المنهاج أخذ الوسام الأعظم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم).

الصورة المحمودية

أما الشمس المحمودية، فهي التي تظهر يوم القيامة لجميع الخلائق إذا حشرهم الله ﷻ في أرض المحشر، ويتمنى الجميع الخروج من هذا الموقف ولو إلى النار، والكل يقول: يا رب سلم سلم، حتى الأنبياء، فينظرون فلا يجدون إلا شمساً تضيئ كل الأنحاء، وتضيئ كل الأرجاء، وهي وحدها التي هي مقبولة الشفاعة عند خالق الأرض والسماء، وهو سيدنا رسول الله ﷺ.

فيذهبون إلى الأنبياء نبياً تلو نبي فيتبين عجزهم، لتظهر مكانته، ويبين الله رفيع درجته عنده، فإذا وصلوا إليه قال: أنا لها، أنا لها.

فإذا شفع عند الله ﷻ يبدأ الحساب فيحمده جميع من في أرض المحشر من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين، وأهل اليمين، حتى الكافرين والجاحدين يحمدونه ﷺ، ولذلك يقول الله في ذلك له: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩الإسراء).

شموس القلوب

أما الشموس التي تتجلى في قلوب العارفين من حضرة سيد الأولين والآخرين فلا عد لها ولا حد لها بحسب ترقياتهم وشفافياتهم ونورانياتهم، منهم من يُشرق عليه بشمس العلوم، ومنهم من يُشرق عليه بشمس الفهوم، ومنهم من يُشرق على قلبه بنور اليقين، ومنهم من يُشرق على روحه بتجليات رب العالمين، ومنهم من يُشرق على وجهه بسره ﷺ المبين .. شموسٌ كثيرة يراها أهل الإشراقات، نسأل الله ﷻ أن يجمِّلنا بهذه الحالات، وأن نتمتع بهذه الشموس البينات.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الفصل السابع

من جوانب العظمة المحمدية

جمال هيئته ﷺ

طهارة قلبه ﷺ

غناه ﷺ بربه

سخاؤه ﷺ

خيرات الله في أرض المسلمين

الحياة الطيبة

فقه اقتداء الصالحين بالنبي الأمين

الشكر لله

سُنَّته ﷺ في المرض

الفصل السابع
من جوانب العظمة المحمدية[٧١]

الحمد لله رب العالمين الكامل في عُلوه ونزاهته، المنزَّه في كبريائه وقدرته، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله، المثل الأعلى لجميع الأنام في أخلاقه وفي عباداته لربه، وفي معاملاته لزوجاته وجيرانه وكل من حوله، وفي هيئته ونظافته ولبسه، فهو المثل الأعلى في كل شيء لنا جماعة المسلمين.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وارزقنا حُسن اتباعه، واجعلنا جميعاً من الصادقين في العمل بما جاءنا به من عند ربه يا أرحم الراحمين.

في أيام ذكرى ميلاد سيد الأولين والآخرين ﷺ :

ما أحرانا أن نتلمَّس جوانب عظمة هذا النبي:

لنحتذي به في حياتنا، ونتأسى به في أحوالنا، فنفوز في الدنيا بأن نكون في خير حال، وأرغد عيش، وأهنأ بال، ونكون في الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وآخذ جانباً – باختصار شديد – من جوانب عظمة حضرته ﷺ، وهو في نفس الوقت ردٌّ على كلام بعض المستشرقين وبعض المتواكلين من إخواننا المسلمين الذين لا يفقهون حقيقة الدين.

زعموا أن النبي ﷺ كان فقيراً، وكان لا يملك مالاً قليلاً ولا كثيراً، وكان يعيش في شظف من العيش، وادَّعُوا أن ذلك لزهده عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

كذلك ادَّعوا أنه كان لا يهتم بمكان جلوسه !، ولا بهيئة لباسه، ولا بمظهره وشكله، وهذا واضحٌ الكذب فيه كله !!!

لأن النبي كان على غير ذلك صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٧١ مسجد جمعية الدعوة إلى الله – الزقازيق ٢٣ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٠/٢٩م

جمال هيئته ﷺ

فقد كان ﷺ يهتم بنفسه غاية الإهتمام، لأنه قدوة لجميع الأنام، فكان ﷺ يستخدم العطر والمسك منه على الدوام، ولذا يُحكى عنه أنه كانت تُشم رائحته في الطريق الذي مر فيه، فإذا أراد أحدٌ أن يعرف مكان النبي يتتبع رائحة النبي في الطرق التي مر بها النبي، حتى يجد النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وكان إذا سلَّم على رجل وصافحه بيده يبقى أثر المسك في يد هذا الرجل ثلاثة أيام من جودة المسك الذي كان يستخدمه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وكان ﷺ وهو في بيته إذا جاءه أضياف واستأذنوا في الدخول عليه:

يجعلهم ينتظرون، فينظر في المرآة حتى يُصلح شأنه ثم يخرج عليهم.

وإذا سُئل عن ذلك يقول ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ }[٧٢]

ولما كثُر الوفود من العرب في الإتيان إليه، طلب من أحبابه من التجار أن يشتروا له ثوباً يضاهي أثواب الملوك، على ألا يخالف شريعة الله، فلا يكون من الحرير ولا من الذهب، لأنهما ممنوعان عن رجال هذه الأمة.

فاشتروا له ثوباً ثمنه خمسة وعشرين جملاً، فانظر إلى حدود هذا الثمن في عصرنا هذا؟!! يقابل فيه الوفود، ويُصلي فيه الجمعة والأعياد، ليُظهر جمال هذا الدين، فإنه سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وكان ﷺ إذا سافر يحمل معه خمسة أشياء، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

{ خَمْسٌ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُهُنَّ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ: الْمِرْآةُ، وَالْمُكْحُلَةُ، وَالْمُشْطُ، وَالْمِدْرَى، وَالسِّوَاكُ }[٧٣]

يحمل معه مشطه الذي يُسرح به شعره، والمرآة التي ينظر فيها فيُصلح فيها شأنه،

---

٧٢ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٧٣ المعجم الأوسط للطبراني عن عائشة رضي الله عنها

وقارورة الزيت الذي يضعه على شعره، حتى يظل ناعم الملمس، وزجاجة من الكُحل يُكحل بها عينيه، لأنه كان يُدمن السهر في طاعة الله، فيداوي العينين بهذا الكحل حتى إذا أصبح لا يظهر على عينيه تورمٌ ولا شيء بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

والسواك .. وهو الذي سنَّ لنا ﷺ في يوم الجمعة ألا يذهب الإنسان إلى المسجد لصلاة الجمعة إلا إذا اغتسل غُسل الجمعة، ويكون قبل الجمعة مباشرة، لأنه يغتسل ويتوضأ ويضع العطر ويستاك ثم يذهب للقاء رب العالمين وإخوانه المسلمين، فيشمون من فمه رائحة طيبة، ومن جسمه رائحة حسنة، ويكون كما قال ﷺ لنا ولأصحابه أجمعين:

{ إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ }[٧٤]

من أين أتى هؤلاء المشعوذين الذي يلبسون الثياب المرقعة، والأحذية الممزقة، وشعورهم طويلة بغير ترتيب ولا تهذيب بذلك؟!!، ويقولون وهم كاذبون: إن هذه سُنَّة النبي، هل هذه سُنَّة النبي ﷺ؟ كلا والله.

إن النبي ﷺ كان مثالاً في كل شيء، فقد كان ﷺ يستخدم السواك في كل وضوء، ويقول لأصحابه:

{ صَلاةٌ بِسِوَاكٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ صَلاةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ }[٧٥]

وعندما دخل بعضهم على حضرته وكانت أسنانه صفراء فقال:

{ مَالِي أَرَاكُمْ تَدْخُلُونَ عَلَيَّ قُلْحًا؟! اسْتَاكُوا، فَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَسْتَاكُوا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، أَوْ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ }[٧٦]

والسواك ومعجون الأسنان شيء واحد، تستطيع أن تستخدم هذا أو تستخدم هذا، المهم نظافة الفم والأسنان حتى لا يشم منك مَن حولك عندما تتكلم إلا رائحة طيبة ،كما أمر النبي العدنان ﷺ.

---

٧٤ سنن أبي داود عن أبي الدرداء ﷺ

٧٥ سنن البيهقي ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها

٧٦ مسند أحمد والحاكم عن تمام بن العباس رضي الله عنهما

وكان ﷺ إذا أراد الدخول من الغزوات يقف بالجيش خارج المدينة ويأمر أصحابه بتنظيف أنفسهم وتسوية هيئتهم، لأن النساء تحب من الرجال ما يحبه الرجال منهن.

أي أن المرأة كما أن الرجل يريد أن يراها دائماً في صورة حسناء، هي كذلك تريد أن ترى زوجها في صورة حسناء، وهم قادمون من الصحراء، وما أدراك ما الصحراء وحرها وعرقها وترابها ورملها؟! فيقفون خارج المدينة يتشذبون ويتهذبون ويستحمون، ثم يدخلون بيوتهم في الصباح وهم على أكمل نضرة كما أمر سيد الرسل والأنبياء ﷺ.

بل إن النبي ﷺ وجَّه الأمر والنصيحة إلى كل مسلم ألا يذهب إلى صلاة الجمعة، والجمعة عيد المؤمنين كل أسبوع، ولا إلى صلاة العيد، إلا بعد أن يلبس أبهى ما عنده من الثياب، فلا يجوز لمصلي أن يذهب إلى المسجد ليُصلي الجمعة بثياب مهلهلة، أو ثياب غير نظيفة، أو ثياب ممزقة وعنده خيرٌ منها، بل يلبس خير ما عنده حتى نُظهر جمال الإسلام للمسلمين وغير المسلمين، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ }[٧٧]

طهارة قلبه ﷺ

وكما كان ﷺ حريصاً على هيئته الظاهرة، كان حريصاً تمام الحرص على صفاء قلبه وباطنه لله.

فحرص كل الحرص على أن يطهر قلبه مما لا يحبه الله، فليس فيه حقدٌ ولا حسدٌ ولا كُرهٌ ولا بُغضٌ ولا غلٌ لأي أحد حتى من غير المسلمين، ولذلك كان ﷺ يتمنى الهداية للخلق أجمعين.

وكان يحزن إذا وجد كافراً مصراً على الكفر بعد أن يدعوه إلى الهدى وإلى دين الحق وهو الإسلام، ويدعو الله ﷻ لهم أن يهديهم إلى الحق، ولذلك قال الله ﷻ في شأن مثل هذه القلوب: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

فكان نظيف الظاهر، سليم الباطن، ظاهره نور، وباطنه نور:

---

٧٧ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٣٥النور).

ولذلك من يظهر أمام المسلمين بأحسن الرياش واللباس والملابس، ولكن قلبه غير نظيف من جهتهم، ويحمل حقداً على هذا، ويُظهر حسداً لهذا، ويتمنى الشر لهذا، فهذا يخالف نهج النبي الأمين، لأن نهجه الأكمل نظافة الظاهر وسلامة الباطن لله رب العالمين، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[٧٨]

فالمؤمن الحق في هذا الزمان وفي كل زمان، من يستحضر حضرة النبي العدنان في كل وقت وآن، فيقتدي بحضرته في ظاهره، ويقتدي بحضرته في باطنه، فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

غناه ﷺ بربه

هؤلاء الذين يقولون عن رسول الله ﷺ أنه كان فقيرًا، كيف يكون ذلك وقد كان في مكة هو وزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها من أغنى أغنياء مكة؟! فقد تبرعت له بكل أموالها ليُنفق منها في دعوة الله ورسوله.

فالسيدة خديجة كانت من أغنى أغنياء مكة في التجارة، وكانت تؤجِّر من يقوم لها بتجارتها إلى الشام، وكان من جملة ذلك سيدنا رسول الله، وكان هذا سر الزواج بها، لما أرسلته في تجارة إلى الشام وبعثت معه خادمها ميسرة، ورجع وحكى لها أنه بمجرد ما وصلنا إلى السوق طاف التجار على التجارة واشتروها بأغلى الأثمان.

وقال لها: أثناء سيرنا كلما اشتد الحر وجدنا سحابةً تُظلله من الحر، وهذا ما جعلها هي التي تطلب يده للزواج وليس هو الذي طلب يدها، طلبت أن تتزوج منه ﷺ لما رأت عليه من علامات تعلم علم اليقين أنها لا تكون إلا لمن اصطفاهم الله ﷻ، وأنه من المصطفين الأخيار.

---

٧٨ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

أيضاً لما هاجر إلى المدينة وسعه الأنصار بأموالهم وضيافاتهم، كان كل واحدٍ من الأنصار يلتمس البركة في إعطاء النبي المختار من عنده شيئاً، فمن يحلب يُرسل له شيء من الحليب، ومن يذبح شاة يُرسل له جزءاً من هذه الشاه.

وكان سيدنا سعد بن معاذ من أغنى أغنياء الأنصار، وعرف أن حضرة النبي يأتيه ضيوف كثيرين ليدخلوا في دين الله، فخصَّص لحضرة النبي إطعام مائة ضيف كل يوم على نفقته الشخصية، فكان يصنع الطعام ويسويه ويُرسله جاهزاً لآكليه، ما هذا؟ تسخير الله.

ولا ننسى كلنا أنه وهو لا يزال في مكة عرض عليه الله أن يجعل له جبال مكة ذهباً، فأبى، قال ﷺ:

{ عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي ﷻ أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ }[٧٩]

وراودتــه الجبــال الشُــمُّ مــن ذهــب عــن نفســه فأراهــا أيَّمــا شــمم

رفض أن تتحول الجبال له ذهباً، مع أن الذي عرض عليه هو أكرم الأكرمين ﷻ!

وكون الله يعرض عليه أن تكون الجبال له ذهباً يعني لن يحاسبه على ذلك!!

لأن هذا عطاء من الله فليس عليه حساب ولا عتاب، لأنه يعلم أنه لا ينفق إلا فيما يحب الله ويرضاه.

جاءت غزوة بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة، يعني في بداية عصره بالمدينة، وأغنى رجل في اليهود كان اسمه مُخيرق، ذهب لليهود وهم مجتمعين وقال لهم: تعلمون يا قوم أن هذا هو النبي الذي بشرنا به موسى، فهيا اخرجوا معه وانصروه، فقالوا: لا، قال: فإذا أبيتم سأخرج إلى القتال معه، وأشهدكم أني إذا متُّ فكل أموالي لمحمد.

---

٧٩ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي إمامة ﷺ

خرج وذهب للغزوة واستشهد، فورث رسول الله ﷺ كل أمواله، لأن الرجل وهبها له، والهبة أحل الحلال، فهل كان فقيراً أم غنياً؟ غنياً.

والله ﷻ فرض له في كل غنيمة الخمس: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ (الأنفال) الخُمس للرسول ينفقه كيف يشاء لأن دعوة الله تحتاج إلى المال.

لما فُتحت خيبر كان سهمه الخُمس، فكان يأخذ تمرهُ يوزعه على نسائه التسعة، وكل واحدة تأخذ تمراً يكيفها السنة كلها، وهذا كان خمس غنيمة خيبر فقط، وكان أحياناً لا يكفي لأن الضيفان كانوا كثير، وكان ﷺ يأمر بإكرامهم ويقول:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ }[٨٠]

سخاؤه ﷺ

لما ذهب إلى غزوة حُنين وكان أهل الطائف قد خرجوا بكل ما لهم، بنسائهم وأطفالهم وإبلهم وأغنامهم وأبقارهم، لماذا؟ إما قاتلين وإما مقتولين، فاستولى النبي ﷺ في هذه الغزوة على غنيمة مقدارها ستين ألف جمل، وثمانين ألف شاة، وأربعين ألف بقرة، ووزعهم جميعاً في ساعة من النهار، ولم يُبق له ولا للصادقين ممن كان معه شيء.

كان صفوان بن أمية من أقسى الكفار على حضرته، وكان النبي يريد يتألفه لأن الله أمره بالمؤلفة قلوبهم، فبأي شيء يتألفه وهمه كله في الدنيا؟ أعطاه ثلاثمائة من النعم،حتى قال صفوان: ((وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))[٨١]

وعن أَنَس رضي الله عنه قَالَ: **{ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ }**[٨٢]

---

٨٠ البخاري ومسلم عن خويلد بن شريح ﷺ

٨١ صحيح مسلم

٨٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

يعني لا يخاف الفقر لأن الله أعطاه الخزائن كلها فلا يخاف على شيء أبداً، وكان مع كثرة هذا العطاء أحياناً يُنفق كل ما عنده، ويأتيه سائل، فيسأل أمهات المؤمنين: هل عندكم شيء؟ فيقُلن: ليس عندنا إلا الماء، فيسأل الصادقين كأبي بكر وعمر وغيرهم: هل عندكم شيء؟ فيقولون: لا، فيقول للسائل:

{ مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ }[٨٣]

يعني أُمرت أن أُنفق بغير حساب، والله ﷻ يتولى ذلك كله!!! فهل كان رسول الله ﷺ بعد ذلك فقيراً؟ لا، بل كان أغنى الأغنياء بالله، وأغنى الأغنياء لو رضي بتسخير الجبال له ذهباً حضرة الله، وأغنى الأغنياء بالسهم الذي فرضه له الله وهو الخُمس، وأغنى الأغنياء بما كان يعطيه له الخيِّرين من عباد الله، لكنه كان كما يقول الرجل الحكيم:

تعـوَّد بسـط الكـف حـتى لـو أنـه طواهـا لقـبض لـم تطعـه أناملـه

يعني يده تعودت على البسط على الدوام، فلو أراد أن يُثنيها لن تطيعه، لأنها تعودت على البسط والعطاء، فقد قال الله تعالى:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ }[٨٤]

فهذا أمر رسول الله ﷺ بالنسبة للغنى والفقر، والذي يدعيه جماعة المستشرقين، وكان هذا بإيعاز من المستعمرين عندما كانوا مستعمرين بلاد المسلمين، يقولون أن النبي عاش فقيراً وأنتم يجب أن تعيشوا فقراء، ولا تبحثوا عن عمل يغنيكم، ولا تجارة تغنيكم، ولا على أي شيء يغنيكم، وتعيشوا فقراء كحضرة النبي، فكانت حُجة خبيثة لإضعاف المسلمين وإذلالهم لهؤلاء الكافرين لعنة الله ﷻ عليهم أجمعين.

---

٨٣ الأحاديث المختارة لضياء المقدسي والشمائل المحمدية للترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

٨٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

خيرات الله في أرض المسلمين

ومع ذلك أذلهم الله ﷻ للمؤمنين !!!

فوجدوا أن بلاد المسلمين هي خزانة الأرض !!

وكل الطاقة التي يحتاجونها في الوجود، موجودة في أرض المسلمين !!

فلم نزرعها ولم نصنعها !!!

ولكن جاءت من عند من يقول للشيء كن فيكون.

كل الخيرات العظيمة التي تخطر على البال موجودة في بلاد المسلمين وهم يتحسرون عليها، هل يستطيعون أن يزرعوا شيئاً مما عندنا في بلادهم؟ لا !!

حتى الأشياء التي نأكلها في شهر رمضان ويأكلها السعداء والأغنياء في غير رمضان كالمكسرات، هل تُزرع في أوربا؟ لا، كلها في بلاد الشام وفي إيران وفي العراق وفي بلاد المسلمين في أفغانستان.

كل الثمرات والخيرات موجودة في بلاد المسلمين ...

والجزء الأعظم من هذه الثروات موجود في أم الدنيا بلدنا مصر، ولذلك أعلمنا الله وأسمعنا سيدنا يوسف حين قال:

﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ (يوسف)

لم يقل خزائن مصر، بل خزائن الأرض كلها موجودة في مصر، ولكنها لا تزال كما هي محفوظة إلى أن يُخرجها لنا الله ﷻ ونتمتع بها، ويُزيح عنا الفقر الذي جلبه لنا الإستعمار بسببها إن شاء الله ﷻ.

فليس حضرة النبي هو الغني وحده، بل كل المسلمين الذي آمنوا به داخلين في قول الله ﷻ:

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (النحل).

الحياة الطيبة

ولماذا لم نلحق بالحياة الطيبة؟

لأن النوايا غير طيبة، نريد أن نغش، ونريد أن نسرق، ونريد أن نأخذ رشاوي، ونريد أن نكذب، ونريد أن نأخذ الأرزاق الحرام، والله نهانا عن ذلك وقال لنا:

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ (المائدة)

فالخبيث كثير ويُعجب، لكن الحلال فيه النفع في الدنيا وفيه الفوز والفلاح يوم لقاء الله ﷻ.

وأعطانا مثالاً بأصحاب رسول الله، فقد كانوا أفقر الفقراء في الأرض، فلم يكن أفقر منهم في سكان الجزيرة العربية، كانوا حُفاة عُراة، ولم يكن معهم شيء أبداً، وفي سنين قلائل أصبحوا ملوك الدنيا، وهم الأمراء في العالم، وهم الوجهاء في كل الوجود، وسكنوا القصور التي كان يسكنها الملوك من قبلهم.

ولذلك سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما دخل قصور كسرى في المدائن في بلاد فارس قرأ قول الله: ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ ﴾ (الدخان).

من الذي ورثها؟ هؤلاء الحفاة العراة، وصاروا أمراء، الأمير فلان، والقائد فلان، والوجيه فلان، لماذا؟ لأنهم مشوا كما يحب الله ويرضى، فمشوا بالحلال الطيب، ولم يلجأوا إلى أي وسيلة يبغضها الله، فتولاهم الله بوعده الذي وعده لنا، وإن شاء الله نسأل الله أن يجعلنا من أهل هذا الوعد: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ (النور).

وهذا الوعد على وشك التحقيق، ولكنه يحتاج منا أن نمشي على نمط الفاروق وأبو عبيدة والصديق في الأمانة والصدق والمروءة وتحري الحلال الطيب، فلو مشى شعبنا على ذلك إن شاء الله ففي طرفة عين وأقل يمحو الله ما يشاء ويثبت، وسيُملكنا

خِزننا وخيراتنا التي في باطن أرضنا والتي في باطن بحرنا والتي في جونا وسمائنا، وكلها خيراتٌ لا عد لها ولا حد لها.

حتى الشمس التي تُشرق عندنا إذا كان الخير الذي يعود علينا منها عندما نحولها إلى طاقة كهربائية يساوي جميع سدود العالم الموجودة على المجاري المائية، فماذا ندفع للشمس؟! هل ندفع لها إيجار أو نُعطي لها نصيباً!؟ لا فهي موجودة، ومن الذي أوجدها؟ الواجد ﷻ واجد الوجود ﷻ.

فالحبيب وأمته جعل الله لهم الغنى ولكن بطاعته، والإستقامة على شريعته، والأخلاق الطيبة والنوايا الصادقة في قلوبهم نحو بعضهم.

فما بال من يقول بحاله وقاله غير ذلك؟ هذا يخالف رسول الله، والله يقول:

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦٣النور).

فقه اقتداء الصالحين بالنبي الأمين

ونشاهد بعض الناس يمشون في البلاد، منهم من يلبس خيش، ومنهم من يلبس الحديد، ومنهم من يمشي حافياً، ومنهم من يقول: أنا لا آكل غير الشطة، وغير ذلك، وهذه أعمال مخالفة، ويقولون: هذه سُنَّة الرسول، وهذه سُنَّة العُبَّاد والزُهاد، فمن أين أتوا بذلك؟!.

نسأل الأئمة السابقين والمعاصرين، ذهب رجل ليزور سيدنا الحسن رضي الله عنه وأرضاه، فقدم له تفاح، فقال له: أنا حرمت على نفسي أكل التفاح، فقال له: نعمة الله عليك في الماء البارد أكبر من نعمته عليك في التفاح، إذا كنت تريد أن تُحرّم فحرّم الماء البارد، لكن التفاح قد تستغني عنه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (٣٢الأعراف).

فما دمت قد أتيت بها من مال حلال، وشكرت الله عليها بعد أكلها أو استخدامها، فليس عليك شيء، شرط ألا يكون في ذلك إسراف، يعني يكون على قدر قول الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧الفرقان).

ذهب رجل يدَّعي الزهد ويلبس ثياباً رثَّة لسيدنا جعفر الصادق ابن سيدنا محمد الباقر ابن سيدنا علي زين العابدين ابن الإمام الحُسين رضي الله عنهم، يعني من آل البيت، فوجده لابساً عباءة فخمة، فقال الرجل: ما هذا الذي تلبسه؟ فقال له: هات يدك، فأخذ يده ووضعها على الملابس الداخلية فوجدها خشنة، ثم قال له: ما كان لله أخفيناه – وهو الداخلي – وماكان لخلق الله أبديناه، ليعرفوا قول حبيب الله ومصطفاه:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ }[٨٥]

وعَنْ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي عَلْقَمَةَ الضُّبَعِيِّ ﷺ قَالَ:

{ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ سَيِّءُ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ: أَلَكَ مَالٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الْمَالِ، قَالَ: فَلْيُرَ عَلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَهُ عَلَى عَبْدِهِ حَسَنًا وَلَا يُحِبُّ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ }[٨٦]

الشكر لله

الشكر لله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى) فكيف تُحدِّث؟ أي تُظهر على هيئتك من نعم الله ﷻ التي أعطاها لك، فهذا شكر لله على نعمه يظهر لخلق الله ويظهر لله ﷻ في عُلاه.

الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ وأرضاه، كان في الصيف يجعلهم يبردون له المياه، وسبحان الله الجضارة تقدمت، وكلما تقدمت تجد كل ما وصلت إليه الحضارة كان يصل إليه أجدادنا بطريقة ما بدائية، نحن الآن نبرد المياه في المبرد، الذي يعمل بالكهرباء، فكيف كانوا يبردونها؟ كان يبردونها في الزير أو القُلَّة، وكان من يسافر يحضر جركن ويلفه بخيش ويبلل الخيش بالمياه، فتكون المياه التي في الجركن باردة كالمياه التي في الثلاجة.

أحد الذين يظنون أنهم زُهَّاد، قال له: لم تُبرد المياه؟ فقال: يا أخي أنا لو شربتُ الماء البارد حمدتُ الله بكل جوارحي، ولو شربتُ الماء الساخن أحمد الله بكزازة – يعني وأنا متضايق – فما الأفضل لي؟!!.

---

٨٥ مسند أحمد والترمذي عن أبي هريرة ﷺ
٨٦ المعجم الكبير للطبراني

وهذا كان فقه الصالحين، وهو أننا لا نحرّم نعم الله ﷻ التي أحلها لنا، بل نُظهرها، لماذا كل المسلمين لا يجعلون يوم الجمعة عيداً كما أمر ربنا، ويذهبون للمسجد وهم يلبسون أحسن ما عندهم، ويغسلون أسنانهم ويغتسلون، ويضعون الطيب عليهم حتى يشعر من حولنا بأن هذا عيد المسلمين.

فهو كالفرح، هل يوجد منكم من يذهب لأي فرح بملابسه العادية؟ قد يكون، ولكن هذا يُتهم من الناس بقلة الذوق.

فأنت لو كنت ذاهب للجمعة، أو احتفال عام مع جماعة المسلمين، أو مناسبة للإحتفال بسيد الأولين والآخرين، أو أي مناسبة لهذا الدين، لا بد أن تكون ثيابك كمن ذهب على الأقل لفرح العامة لجموع المسلمين، لماذا؟ إظهاراً لجمال هذا الدين.

سُنَّته ﷺ في المرض

بقي أمر بسيط، فحضرة النبي ﷺ كان في آخر حياته يمرض كثيراً، فقالوا له: يا رسول الله إنك توعك – تمرض – كثيراً، قال:

{ أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ }[٨٧]

السيدة عائشة رضي الله عنها لم تذهب إلى مدرسة تمريض ولا كلية تمريض ولا كلية طب، لكنها تعلمت الطب، فسألوها: كيف تعلمت الطب؟ قالت: كان النبي ﷺ يسقم كثيراً، وكانوا يدعون له حكماء العرب فيصفون له الدواء، فحفظت ذلك منهم.

وظهرت ظاهرة مستجدة في هذه الأيام، وأعجب من أن هذه الظاهرة تظهر على أناس ذوي مستويات عُليا في العلم الدنيوي، منهم من معه دكتوراة، ومنهم من معه بكالوريوس، ومنهم من معه ليسانس، يأتيه مرض، فيرفض الذهاب للأطباء ويرفض العلاج ويقول: خليها على الله، وهذه الكلمة نسمعها كثيراً، وهذا الأمر مخالف لنهج النبي ﷺ.

لأن حضرة النبي كان في المسجد يُعطي درساً، وجاء رجل وترك ناقته ولم يربطها،

---

٨٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ورباط الناقة كان عقالاً، والعقال يعني تُثني الرجلين وتربطهما حتى لا تستطيع الناقة القيام ولا الحركة.

فلما أنهى النبي الدرس خرج الرجل فلم يجد الناقة، فقال: يا رسول الله أترك ناقتي وأتوكل أو أعقلها وأتوكل؟ قال

{ بَل اعْقِلْهَا وَتَوَكَّل }[٨٨]

فلو أصبت بمرض تذهب للطبيب وتأخذ الدواء، وتدعو الله أن يشفيك لأنه ﷻ هو السبب في الشفاء، فلو دعوت الله واعتمدت على الدعاء ولم تذهب إلى الطبيب، فإن هذا لا يوافق السُنَّة، قال ﷺ:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }[٨٩]

الشفاء موجود في عالم الأرض علمه من علمه، وجهله من جهله، فلا بد أن أبحث عن الشفاء، وهل يوجد طبيب يشفي أحداً؟ إنه يكتب أسباب الشفاء في ورقة، ومن يأخذ بهذه الأسباب ويستخدمها قد يشفى.

لكن إذا أخذت بهذه الأسباب وألقيت الورقة، ولم آخذ الدواء، فمن أين يأتي الشفاء؟!، وقد ألوم الطبيب، وأقول: أنا ذهبت للطبيب فلان ولم أُشفى، وما ذنب الطبيب؟ فقد وصف العلاج وكتبه لك.

أو آخذ العلاج يوم أو يومين وأتركه، ويقول له من حوله: خذ العلاج، فيقول: اتركوها على الله، فلو أراد الله أن يشفيني سيشفيني بغير دواء.

فهذه ليست سُنَّة النبي المختار، ولا منهج الصالحين والأبرار، المنهج أن أذهب إلى الطبيب وآخذ الدواء، وأحرص على استعماله بدقة، وأدعو الله لأني أعلم أن الله هو وحده الذي بيده الشفاء.

ولماذا أقول هذا الكلام؟ لأن كثير من الأحباب يكون عنده مثلاً مرض السكر، وهو مهمل في نفسه، فيعطيه الطبيب حبوب أو أنسولين ويأمره بعدم أكل الحلوى

---

٨٨ جامع الترمذي عن أنس ﷺ

٨٩ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك ﷺ

فيقول: أنا لا أستطيع أن أفطم نفسي عن الحلوى أبداً، فأنا آكل الحلوى ببركة رسول الله!!، وهذا كلام غير مقبول، فليست بركة رسول الله أن تأكل الحلوى، وتترك الأنسولين أو العلاج.

وهذه ظاهرة انتشرت، وعيب أن تنتشر بين المثقفين، وعيبٌ أعظم أن تنتشر بين المنتسبين للصالحين، لأن هؤلاء أكمل الناس في التأسي بسيد الأولين والآخرين ﷺ.

أنت طبيب نفسك، فتستخدم روشتة الطبيب بدقة وبعناية، وتدعو الله، وسيأتي الشفاء من الله ﷻ، وتكون هنا قد نلتَ الحُسنيين، لأنك اتبعت سُنَّة رسول الله ﷺ.

لكن تترك الدواء وتتهم الطبيب لأنك ذهبت إلى أشهر طبيب في المدينة ولم يأت الشفاء، فماذا يصنع الطبيب؟ وما ذنبه؟!.

واحدة تذهب لطبيب سمنة على سبيل المثال، وتقول له: أنا لي معك عدة سنوات ولم يتغير حالي، فيقول لها: وهل أنا معك في البيت لأُطعمك؟! لأن السبب في الأكل، أنت تذهبي للطبيب ولكن تأكلي ما تريدين، ولست ملتزمة بالورقة التي كتبها لك، فماذا يفعل الطبيب؟!.

هذه ظاهرة أراها قد انتشرت في مجتمعنا ولا تليق بنا جماعة المسلمين أجمعين، ناهيك عن المنتسبين للصالحين، فنحن نعمل بقول رسول الله ﷺ:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }[٩٠]

أما ترك الأسباب في هذا الباب، فهو اختبار لحضرة الرحمن، ولا يجوز أن أختبر الله ﷻ، كمن يقول: أنا لن آخذ هذا الدواء وأنظر هل سيشفيني الله أم لا؟ هل يجوز أن أمتحن الله ﷻ؟!!.

إبليس ذهب لسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وهو على قمة جبل، يعني فوق الجبل من أعلى، فقال له: ألست مؤمناً بالله وواثقاً في الله؟ قال: نعم، قال له: الق نفسك من هذا الجبل، قال: يا عدو الله أأختبر الله ﷻ.

يعني أقول له: إن كنت تحبني فاحمني من الكسور وغيرها، وهذا اختبار لله، لكن

---

٩٠ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك ﷺ

ما دام الأمر قرره شرع الله، ومشى على هُداه سيدنا رسول الله، فيكون أمراً منتهياً، وعليَّ أن أعمل بقول الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١الأحزاب) وهذا في كل الأمور.

هل إحساس الشبع يكون من الطعام أم من الله؟

من الله، لكن الله أمرني أن آكل الطعام، فهل يجوز أن أمتحن الله وأمتنع عن الطعام وأقول: أن الله سيتكفَّل بي؟!! فهذا انتحار.

كما لا يجوز أن أُضرب عن الطعام وأترك أمر الشبع لله، فكذلك لا يجوز أن أترك الدواء وأقول: الشفاء من الله ﷻ، لأن الشفاء من الله يكون عن طريق الأسباب.

إذا كانت الأمراض نفسية:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٢الإسراء)

يشفي من الأمراض الفكرية والنفسية والعقائدية.

إذا كان في الجسم كما قال الله:

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (٦٩النحل)

لو قال: فيه الشفاء للناس، كان أي عسل يأكله الإنسان يشفى، لكن قال: (فيه شفاء) وماذا يعني؟ يعني اذهبوا للأطباء، وانظروا ما الأمراض التي سيشفيها العسل؟ وما الجرعة المقررة؟ وما عدد الجرعات؟.

(فيه شفاء) نكرة، ومن الذي يكتشف هذا الأمر؟

الأطباء عن طريق التجربة والعلم التجريبي !!

فيقولون لنا: هذا تأخذ منه جرعة كذا، وهذا تشرب منه كذا، وهذا تأكل منه كذا، لأن هذه جرعات علمية تركها لنا رب البرية ﷻ لنجتهد في استخراج الدواء الذي يُذهب الله ﷻ به الداء.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الفصل الثامن

فقه شهادة التوحيد

فقه الشهادتين

فقه شهادة أن لا إله إلا الله

عبادة التفكر

معرفة الله تعالى أول فريضة

الأمر الأول معرفة الله

معرفة عامة المسلمين

معرفة أهل الفكر

المعرفة الشهودية

معرفة خاصة الخاصة

الأمر الثاني شكر الله

الشكر باللسان

الشكر بالجوارح والأركان

الشكر بالقلب والجنان

شكر العارفين

الفصل الثامن
فقه شهادة التوحيد [٩١]

فقه الشهادتين

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي أشرق بنور الحمد على قلوبنا، ووفقنا لحمده وجعلنا من أهل زيادة نُعماه، والصلاة والسلام على حامل لواء الحمد في الدنيا والآخرة يوم الدين، سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وآله المباركين، وأصحابه الغُر الميامين، وورثته الذين أظهروا نوره المكنون في عصورهم للحاضرين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

لا بد لنا أن نتعرف على فقه الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله.

وفقه الشهادتين غير النُطق بكلمة التوحيد، فالنطق بكلمة التوحيد هي قول (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) لكن الله ﷻ أمر حبيبه ﷺ أن يُخبرنا أن نقول في كل تشهد في الصلاة: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله).

لم يأمرنا أن نقول (أعلم) من العلم، لكن كلمة (أشهد) من الشهادة، والشاهد لا بد أن يكون قد رأى ما يشهد به عليه رأي العين، فالشهادة هي رؤية عينية، أو رؤية قلبية يقينية لله ﷻ ولخير البرية ﷺ.

فقه شهادة أن لا إله إلا الله

أشهد أن لا إله إلا الله، هي بحسب النُطق السديد لها فإن كلمة (أشهد أن لا) لا تُنطق النون في (أن) لأنها مدغمة في لام (لا) فكأنك تقول (ألا)، وينبغي أن يعرف الجميع ذلك إن كان في الأذان للصلاة، أو في إقامة الصلاة، أو في التشهد، أو في غيرها، فإن النون تُكتب ولا تُنطق.

---

٩١ المقطم – مجمع الفائزين ٢٩ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١١/٤م

فلا يجوز أن تقول: أشهد أنَّ لا إله إلا الله، بتشديد النون، فهذا خطأٌ لغوي ونحوي، لكن النُطق الصحيح أن تقول أشهد ألا إله إلا الله.

بعض السادة الصالحين يجعل للمريدين من جمله أورادهم بل ومن أوائلها أن يذكر بـ (لا إله إلا الله) بعضهم يحددها بسبعين ألف مرة، وبعضهم يحددها بألف مرة كل يوم، على حسب مشاربهم ومشاهدهم.

ومن الأشياء التي حدثت لي مع إمامنا رضي الله عنه مولانا الشيخ محمد علي سلامة، كنت في زيارته في مدينة بورسعيد، وكنت عنده يوم الخميس، وفي صباح يوم الجمعة ذهبنا لصلاة الجمعة في مسجد قريب من منزله المبارك، وأصَّر رضي الله عنه إصراراً شديداً أن أقوم بإلقاء خطبة الجمعة، وهو موجود في صفوف المصلين، وكان ذلك أمر ثقيلٌ عليَّ حاولت أن أتنصَّل منه فلم أستطع.

وكانت خطبة الجمعة عن فضل (لا إله إلا الله) والذكر بها، والشيخ رضي الله عنه كان لا يصنع شيئاً إلا بإذن من الله، لأنه يريد توجيهًا سديدًا لنا بطريقة حكيمة غير مباشرة، وبعد الخطبة قدمته للصلاة، وبعد انتهاء الصلاة وعودتنا إلى المنزل، قال لي: (لا إله إلا الله) علم وليست ذكر: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد) أما الذكر فهو (الله): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب) ويقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ (الأنعام).

إذاً الذكر على حسب ما ورد في كلام حضرة الرحمن يكون بلفظ الجلالة (الله) ولفظ الجلالة حتى لو انتقص حرفٌ منه فإنه يدل دلالً مباشرة على حضرة الله، لأنه لو حذفنا الألف كان (لله): ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ (البقرة) ولو حذفنا اللام الأولى كانت (له): ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (الأنعام)، ولو حذفنا اللام الثانية كانت هُ: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ (الحديد).

وكثيرٌ من الصالحين يعتمدون لفظ (هُ) ذكراً لله تبارك وتعالى، ويسمونه ذكر الصدر، أو ذكر الخفا، أو ذكر السر، فالذكر لله يكون بلفظ الجلالة (الله).

عبادة التفكر

أما (لا إله إلا الله) فهي علمٌ وشهادة، إما أن أعلم بمعلومات كسبية وبحجج عقلية منطقية أنه (لا إله إلا الله) وهذا يحتاج إلى باب التفكر والتدبر، ولذلك كان أول باب في العبادة يسلكه الأنبياء والمرسلون والصالحون هو عبادة التفكر، وعبادة التفكر يقول فيها ﷺ:

{ تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ }[٩٢]

وفي رواية أخرى: { تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا }[٩٣]

يعني تفكروا في نعم الله، أو في مخلوقات الله، أو في المصنوعات التي صنعها الله، ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا.

إذاً أول باب لفقه شهادة أن لا إله إلا الله، أن يُعمل الإنسان المؤمن فكره بعقله فيما حوله من الكائنات ليهتدي بها إلى مبدعها وخالقها وبارئها وصانعها مكوِّن الكائنات ﷻ.

وهذا بابٌ طويل، ولو نظرنا في قرآننا الكريم، نجد أن الله ﷻ ذكر الآيات التشريعية التي تتعلق بالشريعة والتي منها الصلاة والصيام والحج، ومنها في باب المعاملات البيع والشراء، ومنها باب الأمور الأسرية كالزواج والطلاق وغيرها وباب الميراث، كل هذه الآيات التشريعية لا تزيد عن ثلاثمائة آية في كتاب الله.

أما الآيات الكونية التي تخاطب العقول والأفكار ليهتدوا إلى معرفة وعلم الله الواحد القهار فهي ما يزيد عن ألف وثلاثمائة آية في كتاب الله.

منها ما تتحدث عن الأرض وما عليها، ومنها ما تتحدث عن الجبال وألوانها وسر صنعتها، ومنها ما تتكلم عن البحار والأنهار، ومنها ما تتكلم عن الأفلاك والنجوم، ومنها ما تتكلم عن الحيوانات وأنواعها، ومنها ما تتكلم عن الطيور.

---

٩٢ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
٩٣ العظمة للأصبهاني عن أبي ذر ﷺ

كل هذه نماذج يذكرها لنا الله ﷻ لننظر فيها ونتدبر ونتفكر فنهتدي بها إلى معرفة صانعها وبارئها وخالقها ﷻ.

ومن ذلك قول الله لنا معاتباً: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (الغاشية) إذاً ينبغي أن نقف عند هذه الآية ونتدبر بما وصلنا إليه في العلم الحديث إلى خلق الإبل وتكوينها، وهداية الله ﷻ لها: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية) أبوابٌ تدل على معرفة الصانع ﷻ لهذه الكائنات.

فلو قيل لنا إن إنساناً يطير في الهواء بدون شيء يحمله، فهل نصدق بذلك؟ لا، ولو قيل لنا: إن إنساناً كتب كتابة عشوائية، وإذا به يجدها قصيدة عصماء مثلاً في مدح سيد الرسل والأنبياء، فهل يصدق أحدنا ذلك؟ لا، إذاً لا بد من القصد والحكمة عند أي عمل.

ولذلك علينا أن نتدبر في صُنع الصانع لنرى حكمته ﷻ التي من أجلها خلق هذه المصنوعات على تنوعها واختلافها، قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (فصلت) وكلمة (سنريهم) السين للمستقبل، لأنه كلما زاد انفتاحنا العلمي زاد علمنا بخلق ربنا ﷻ.

فإذا تدبرنا في الكائنات، ولا حظنا إعجاز الله ﷻ في هذه المصنوعات، نجد أن كتاب الله ﷻ هو كلام الله ﷻ لأنه أتى بحقائق لم يصل إليها العلماء إلا في العصر الحديث.

ولا يوجد حقيقة علمية ذكرها القرآن ولم يُدَّعِمها ويؤيدها العلم الحديث بخلاف الكتب السماوية الأخرى.

فإذا تدبرنا وتفكرنا فهذه عبادةٌ يقول فيها ﷺ:

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }[٩٤]

أي لا عبادة في النوافل والسنن تضارع أو تشابه أو تماثل عبادة التفكر، ويحدد

٩٤ معجم الطبراني ومسند الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ

أجرها وثوابها ﷺ فيقول:

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ }[٩٥]

وفي رواية أخرى:

{ فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً }[٩٦]

والساعة في لفظه المبارك ﷺ يعني اللحظة، يعني تفكر ساعة يساوي عبادة سنة من النوافل العبادية كالصلاة والصيام وغيرها.

فعبادة الأنبياء والمرسلين وكُمَّل الصالحين هي التفكر، وكان سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه يجلس يتفكر، وعندما ذهب نفرٌ من المجتهدين في العبادات البدنية إلى زوجته وسألوها عن عبادة أبي الدرداء، فأخبرتهم، وكأنهم قد تقالوها، يعني استقلوها، فقالت لهم: إن عبادة أبي الدرداء ليست كهيئتكم إنه يجلس يتفكر في خلق الله ﷻ .

ولما وصل إلى مسامعه رضي الله عنه هذا الخبر قال: عجبت للحمقى كيف يعيبون على الأكياس – يعني العقلاء – نومهم وفطرهم، ولَذَرة من تقوى من عمل القلوب، أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين.

فعبادة القلوب بدايتها هي التفكر، والتفكر في البداية يكون بالعقل السديد والفكر الرشيد، فإذا صفا القلب من الوهم والشبهات، وامتلأ بأنوار ذكر مكون الكائنات، وإذا صفا الفكر بعد الرياضة بالذكر، يبدأ الإنسان يشهد في نفسه أسرار خالقه وباريه التي فيه، وقد قيل: تبصرك فيما فيك يكفيك.

فينظر إلى نفسه كما أمر الله، مرة يقول ﷻ:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ (عبس).

ومرةً يقول للإنسان:

---

٩٥ الفوائد المجموعة للشوكاني

٩٦ العظمة للأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ (٥-٧الطارق).

فإذا فكَّر الإنسان بعد الصفاء والنقاء، ولذة ذكر الله ﷻ القلبية، ينظر إلى حقيقته فيرى أنه كان مَنياً، أو كان قبلها طيناً، أو كان قبلها تراباً، فيتساءل في نفسه، ويقول لنفسه:

سُـموٌّ بعـد أسـفل سـافلين عجيـبٌ سرُّ ربِّ العـالمين

ويقول لنفسه مخاطباً:

أيـا أيهـا الإنسـان مـن طـين فخـار تكونـت كي تـرأى مظـاهر أسراري
أكنـت سـميعاً أو بصـيراً وعالمـاً ولكنـني أنعمـتُ بالمـدرار
نسـيت جمـال الله فيـك تيقَّظـاً فمـن ينسَـهُ يلـقى سـعير النـار

فيرى أن أصله من عناصر الأرض، وعناصر الأرض إن كانت ماءًا مهيناً، أو تراباً، أو طيناً لا ترى ولا تسمع ولا تُبصر، وعناصر الجسم التي تكون منها الجسم يقول فيها الإمام عليّ رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه: ((يا ابن آدم تُبصر بشحمة، وتسمع بعظمة، وتنطق بلَحمة، ثم بعد ذلك تواجه القوي ﷻ بالمعصية)).

فهذه الأعضاء التي صُنع منها جسد الإنسان أين تكون حقائقها عند خروج الروح ولقائها لحضرة الرحمن؟ نجد الإنسان كما هو، عينه كما هي لم يُنتقص منها شيء، ولكنها لا تستطيع الإبصار، إذاً كيف كان يبصر؟ بتجلي سر اسمه ﷻ البصير على عينه.

وترى الأُذنان كما هما ولم يُنتقص منهما شيء، ونناديه فلا يسمعنا، إذاً كيف كان يسمع؟ بتجلي اسم الله ﷻ السميع على عظام أُذنه.

وترى اللسان صحيحاً في فمه ولم يذهب إلى مكان بعيد أو قريب غير الفم، ولكنه لا ينطق، إذاً كيف كان ينطق؟ بتجلي اسمه ﷻ المتكلم عليه.

ونجد الجسم كله بيننا ولكنه لا يتحرك، ولا يقف، ولا يجلس، ولا يمشي، إذا كيف كان يتحرك ويمشي ويروح ويجيئ؟ بسر تجلي اسم الله ﷻ الحيُّ عليه.

فإذا تجلى الحي عليه أحياه، وإذا تجلى المميت عليه أفناه، فهي تجليات الحق، فأنت سدرة أوصاف تجليات أسماء الله عليك، وهذه أمانات الله ﷻ فيك.

مـــن أنـــا؟ عـــدمٌ الله جملـــني فصـرتُ صـورته العليـا بـلا نيـل

أنا عدمٌ جملني الله بأسمائه وصفاته، فصرتُ صورته العليا، إذاً ما تتباهى به وتفتخر به زينة الرحمن التي وضعها على هذه الطينة، وتجلى عليها بها، فصرت خليفة للرحمن في هذه الأكوان، فإذا أخذ الرحمن زينته رجعت الطينة إلى هيئتها، وقمنا بتكريمها لتكريم الله لها، ولكننا نردها إلى أصل نشأتها:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه).

فيقول لنفسه دائماً مخاطباً حقيقة النفس إذا أرادت أن تتباهى أو تفتخر بما ليس لها، لأن هذه أمانات الله فيك، أنت طين وما زاد على الطين فهو جمالات أسماء رب العالمين، فيقول لها الإنسان:

يا أيها الماء المهين من الذي سواك ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد أنشاك

أو يقول:

تـدبر فأنـت الطـين والمـاء فاشـهدن جمـالي وإحسـاني وسري وأنـواري

فيتدبر الإنسان، وهذا تدبر الصالحين، فيقف في مقام العبودية أمام أكرم الأكرمين، وأمام رب العالمين فيشهد شهادة بعين اليقين؛ يشهد أن الله ﷻ هو الموفق، وهو القوي، وهو صاحب الحول والطول، وهو الكفيل والمعين، ولولا حول الله وطوله ما استطاع أن يفعل قليلاً ولا كثيراً، فيعترف في هذا الوقت بما شهده بعين اليقين لأن الله ﷻ وحده هو الفعال لما يريد.

ونحن لا نملك إلا أن نقول لحضرته: .... نحن العبيد لحضرتك ....

فزيّنا في الدنيا بأنوار طاعتك، وزيّن أجسامنا في الآخرة بجنتك، وزيّن قلوبنا بالنظر إلى جمال حضرتك، وزيّن أرواحنا وأسرارنا بمصاحبة سيد خليقتك، فنُعطي لكل ذي حق حقه.

معرفة الله تعالى أول فريضة[٩٧]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أول العابدين، وحامل لواء الحمد الأعظم يوم الدين، صاحب المقام المحمود، والكوثر الممدود، والسر المشهود، صلى الله عليه وعلى آله أهل الكرم والجود، وأصحابه من حضروا إليه مسلِّمين وفود، وكل من تابعهم على هذا العهد، وقام معهم على هذا الوفاء إلى يوم الدين، وعيلنا معهم أجمعين... آمين آمين يا رب العالمين.

ما الواجب علينا جميعاً معشر المسلمين لحضرة الله ﷻ في عُلاه؟ الواجب علينا لحضرة الله ﷻ أمرين، معرفة الله ﷻ، وشكر الله ﷻ.

الأمر الأول معرفة الله

لأن الإنسان لا يستطيع أن يُصلِّي لله ﷻ ولا يعرفه، ولا أن يصوم ولا يعرفه، ولا أن يزكي أو يحج له أو يتعامل معه ولا يعرفه، فأول فريضة هي معرفة الله ﷻ ولا فريضة قبلها.

ومعرفة الله ﷻ بحرٌ ليس له قرار، وليس له حدٌّ ولا مقدار، نُلمع منها إلى قدر محدود تطيقه النفوس والعقول والقلوب.

معرفة عامة المسلمين

الناس في معرفة الله تعالى على أنواع، منهم عامة المسلمين، وهؤلاء عاشوا بصفاء نياتهم، وصحة قلوبهم على أنوار شهادة ربهم التي شهدوها في يوم ألستُ بربكم، والتي يقول فيها الله في كتاب الله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ (١٧٢الأعراف).

ولذا كان مِن سلفنا الصالح مَن يمشي ويردد قائلاً: بلى بلى بلى، فسُئل عن ذلك فقال: أردد الشهادة لحضرة المعبود وأنا له من جملة الشهود، فكأنه يعيش في يوم ميثاق

٩٧ الجميزة – السنطة – الغربية ٦ من ربيع الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١١/١١م

ألست بربكم وهو في هذه الحياة الدنيا، .. شهوداً وكشفاً واطلاعاً، .. ويُلبي الله ﷻ شفاهاً وكفاحاً.

فهؤلاء بحسب فطرتهم التي فطرهم الله عليها إيمانهم مستقرٌ في قلوبهم، ويتحركون ويفعلون بما تمليه عليهم أنوار قلوبهم، والفتوحات والإلهامات التي تُفاض عليهم من حيث لا يدرون، وهي آتيةٌ إليهم من ربهم ﷻ.

وهذا ما كان يقول فيه سلفنا الصالح رضوان الله ﷺ عليهم أجمعين: (اللهم إيماناً كإيمان العجائز) الذين عجزوا عن معرفة الله بالأدلة والبراهين، ولكنهم عرفوه بأشعة القرب والنور واليقين التي شهدوها في يوم ألست بربكم، وقالوا: بلى كما قال الله ﷻ: (بلى شهدنا):

من ألست لم ننس ما قد شهدنا من جمال الجميل إذ خاطبنا

ويُروى أن امرأة من هؤلاء النسوة رأت الإمام الرازي وحوله جَمٌّ غفيرٌ من الناس، فقالت: من هذا؟ قالوا: هذا الذي جاء بألف دليل على وجود الله ﷺ، فردَّت قائلة: وهل الله ﷻ يحتاج إلى دليل؟! إنه ﷻ دليله به عليه، وفيهم يقول القائل: (عرفتُ ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي).

معرفة أهل الفكر

وهناك أدلة العقلاء والمفكرين وهي ناتجةٌ عن التفكر في الآلاء، والتفكر في النفس، وهذا التفكر يحتاج إلى صفاء القلب، وإلى إنكشاف أسرار اللُب ليشهد الإنسان بالله ولا يشهد بحظه وهواه، فيشهد في الكون السر الساري من أسرار الله ﷻ في هذه الأكوان، ويشهد في نفسه عياناً أسرار الحي القيوم التي جعلها في كل حركة وسكنة، وكل عُضو وكل شعرة من أعضائه بيان عيان لمن أراد أن يكون من أهل مقام الإحسان.

يا أيها الانسان، يا صورة الرحمن، إن الله ﷻ خلقك باليدين، وخلق المُلك بيد وخلق الملكوت بيد، فقال: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك١) وقال: ﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (يس٨٣) وقال لإبليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (ص٧٥).

ففيك جمال الملكوت، وفيك كل ما في عالم المُلك، فأنت ظاهرك يحوي كل ما في عالم المُلك، وباطنك يحوي كل ما في عالم الملكوت، فشاهد إذا صفا سرك، وإذا خلا قلبك هذه النعوت، ولذلك قيل: تبصرك فيما فيك يكفيك.

فإن العلماء الأجلاء الذين كشف الله لهم أسرار الحياة، وكشف الله لهم أسرار عالم الأفلاك، وكشف الله لهم عالم المعادن وعالم الأشجار وعالم النبات، وكشف لهم أسرار الأعضاء في جسم الإنسان ووظائفها التي من أجلها خلقها حضرة الرحمن، فهؤلاء يتبعون الأدلة العلمية، والأدلة العلمية توصلهم وتجعلهم يوقنون بأن الله ﷻ وحده هو الخالق وهو الرازق.

وهنا يُثبت الأئمة دليلين، دليل الإيجاد ودليل الإمداد، فجملة هذه الكائنات كيف وُجدت من لا شيء ومن العدم؟ وكيف تقوم حياتها؟ ومن الذي يمدها بكل ما يساعد على قيامها بحياتها ... من طعام ومن دواء من شراب ومن هواء ومن حرارة ومن رطوبة وغيرها؟.

فيشاهدون أسرار الإيجاد في كل الموجودات!!!

وأسرار الإمداد لكل الكائنات، بما تريد أن تعيش به في الدنيا، وبما تريد أن تكون به من أهل التسبيح لمكون الكائنات ﷻ.

وهذا دليل العلماء العاملين الذين يعملون بصدق ويقين، ليشهدوا دلائل قدره الله ﷻ المنكشفة لهم في معاملهم، وبتليسكوباتهم وتحت عيونهم، فيشهدون الله ﷻ في كل شيء:

وإن نظـــرت عيـــني إلى أي كـــائن تغيب المباني والمعاني سواطعُ

وهؤلاء العلماء الأجلاء يهتدي الإنسان منهم إلى الله، ويكون على يقين شديد وبرهان أكيد لا تزلزله الجبال الراسيات، ولا الحديد ولو كان كالجبال الراسخات، لأنهم آمنوا إيماناً يقولون فيه كما قال الله:

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٧آل عمران).

المعرفة الشهودية

أما الإيمان الشهودي الذي يقول فيه الله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران) وهذا قد فصلناه بعض التفصيل في كتابنا (معرفة الله عند أهل الفناء) فهؤلاء فنوا عن أهوائهم وحظوظهم وشهواتهم ونفوسهم، واحتيوا بكتاب الله، والعمل بسُنَّة رسول الله، ودوام الإقبال على الله، وشربوا شراب محبة الله من يد حبيب الله ومصطفاه: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان) فطَّهر هذا الشراب باطنهم من كل شيء غير الله، فلم يشهدوا في الكون إلا حضرة الله ﷻ.

منهم من يشهد أسماءه وصفاته هي التي تُدبِّر الأكوان، وهي التي تفعل كل شيء بأمر الحنان المنان، ومنهم من يشهد القدرة فيغيب بالكلية عن العالم الذي نحن فيه ويفنى بالكلية عنهم:

فـــنى مـــن شـــاهد المجـــلى ونـــال السَّـــرَّ وارتـــاح
وغـــنى بالحقـــائق مَـــنْ رأى الأشـــــباح أرواح

ومنهم من يشهد أسرار الحِكمة الإلهية المنبثَّة في كل العوالم الملكية والملكوتية، والعلوية والقدسية، فلا يشهد عالماً من العوالم، أو كائناً من الكائنات، إلا ويشهد فيه بعين يتفضل بها عليه خالقه وباريه أسرار الحكم الإلهية المنبثة والمسطَّرة فيه.

فيشهد قول الله ﷻ: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ (الطور) فيشهد حِكم الله ﷻ في كل شيء، فيخر لله ﷻ ساجداً.

معرفة خاصة الخاصة

وهناك أنواعٌ كثيرةٌ في هذا المجال في معرفة الله، يتفضل بها الله ﷻ هبة من عنده لمن يشاء من عباده، منهم من يقول فيه: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (البقرة) ومنهم من يقول فيه ﷻ: ﴿ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ

﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى) وكلها إشارات لا تليق بها عبارات، نسأل الله ﷻ أن يعرِّفنا بذاته على ذاته، وأن يجعلنا من أهل المعرفة الكاملة به، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

الأمر الثاني شكر الله

الواجب علينا نحو الله ﷻ بعد أن عرفناه حق معرفته، أن نشكره ﷻ، نشكره على نعمة الإيجاد، ونشكره على نعمة الإمداد، ونشكره بعد ذلك على نعمة الهداية، ونشكره على نعمة الرعاية، ونشكره على نعم لا نستطيع عدَّها، يقول الله ﷻ في شأنها: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ (إبراهيم).

لم يقُل: وإن تعدوا نعم الله، وإنما نعمةٌ واحدةٌ من نعم الله ﷻ علينا لا نستطيع عد ولا حصر ما فيها من فوائد ادَّخرها الله لنا فيها، ومن منافع جعلها الله لنا فيها، فهذا أمرٌ لا يستطيع الإنسان أن يصل إليه، إلا إذا قرَّبه الله له به إليه، ودخل في مقام: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة) أو مقام: ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف).

فيجب علينا أن نشكر الله ﷻ على جميع عطاياه، والشكر لعامة المؤمنين شكرٌ باللسان، وشكرٌ بالجوارح والأركان، وشكرٌ بالقلب والجنان.

الشكر باللسان

أما الشكر باللسان فهي أن يذكر الإنسان ويتحدث بنعم الله ﷻ التي ألمت به وأحاطت به، ليس بكلمة الحمد لله، وإنما قول الله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى) فيحدث بنعم الله ﷻ عليه من يتعظ بها، أو من يزيد شكراً لله بعد معرفتها، أو من يتقرب إلى الله ﷻ بعد إلماع الإنسان إليه بحقيقة شأنها، فيتقربون إلى الله شاكرين، ولا يتحدث الإنسان بذلك فخراً ولا تباهياً، وإنما ذلك يكون من عمى الإنسان عن فضل حضرة الرحمن ﷻ، فينسب الفضل لحضرة الله في كل عمل وفقه له مولاه، وفي كل نعمة آتاها له حضرة الله ﷻ، فهذا هو الشكر باللسان.

الشكر بالجوارح والأركان

والشكر بالجوارح والأركان أن يعين بهذه الجوارح بني الإنسان على إيصال حاجاتهم إليهم التي لا يستطيعون الحصول عليها، أو على تدبير شئونهم، أو على كشف الضُر الذي نزل بهم، أو على الأخذ بأيديهم إلى سبيل الهداية والرشاد، فيعين هؤلاء جميعاً على العمل الموصل إلى رضوان الله بكل جارحة من جوارحه الحية، فينطق بلسانه بالحكمة العالية التي يُذكر بها الآخرين، وينظر بعينه بعين الشفقة والرحمة على قلوب الفقراء والمساكين، فيرفعهم من نظرته إليهم إلى درجة الرضا والتسليم لربِّ العالمين، ويمد يده إلى العصاة والمذنبين ليأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم، وإلى الفقراء والمساكين ليغنيهم عن مد أيديهم إلى أي لئيم، ولو كان في نظرنا ثرياً لكنه شحيحٌ بخيل، ويمد قدميه إلى الضعفاء والمنكسرين من أمة محمد أجمعين، فيزورهم ويودهم ويسُرهم، فإن أحب العمل إلى الله إدخال السرور على قلوب عباد الله المؤمنين.

وهكذا كل جارحة من جوارحه يشكر بها الله، فيؤدي بها النعم التي يطالبه بها بهذه الجارحة مولاه ﷻ.

الشكر بالقلب والجنان

والشكر بالقلب والجنان ألا يغفل لحظة بلقبه عن ذكر حضرة الرحمن، فيكون حاضراً مع مولاه بقلبه في كل وقت وآن، ذاكراً لله ﷻ بقلبه في كل شأن، ويرى الله أقرب إليه من نفسه التي بين جنبيه، فيستحي أن يعصاه وهو ينظر إليه، ويستحي أن يراه غير مقبل على ما فرضه عليه، فيكون القلب كما قال ﷺ لأحد صحبه:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا }[٩٨]

فيكون القلب قائماً لله بالشكر، وهذا الشكر هو الذي يقول فيه الله: ... ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ (سبأ ١٣) فالشكر هنا ليس قولاً ولكنه عمل، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ ١٣) الذي يشكر بهذه الكيفية الإلهية التي ذكرها الله في آياته القرآنية.

---

٩٨ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي عن أبي الدرداء ﷺ

شكر العارفين

أما الشكر الأعظم لحضرة الله وهو شكر العارفين والمحققين والربانيين، فهو أن يصل الإنسان بعد تدبره في نفسه وفي الآفاق إلى عجزه عجزاً تاماً عن شكر رب العالمين ﷻ على ما آتاه.

وهنا صعد الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه المنبر وقال: الحمد لله الذي لم يصل أحدٌ إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، والإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه، وكان في قرية البرلس بكفر الشيخ ألقى قصيدة على بعض الإخوة:

إن كان شكرك فرضٌ ... فمن يقوم بشكرك
أنت الشكور إلهي ... بالفضل وفق لذكرك
فالشاكرون عبادٌ ... لم يدركوا سرَّ قدرك
وشكرهم لك نعمى ... واليتهم من خيرك
قد يوجب الشكر فرضاً ... عليهموا سر أمرك
فاشكر إلهي عنا ... نعماك فضلاً ببرك
إنا عجزنا جميعاً ... عن أن نقوم بشكرك

وبعد عام على التمام!! كان جالساً مع هؤلاء القوم الذين كانوا معه في العام السابق، فقال: ماذا قلتُ في قصيدة الشكر؟ فذكروها له، قال: اكتبوا بعدها:

والعجزُ حمدٌ وشكرٌ ... والعبدُ قد صار يُدرك

فنهاية الشكر هو العجز عن الشكر، فيطلب من الله أن يشكر عنا، لأننا عاجزين عن الشكر، ولذلك قال رضي الله عنه في بداية تفسيره لفاتحة الكتاب: علم الله ﷻ عجز الخلق عن حمده، لأنهم عاجزين عن الإحاطة بنعمه، فحمد نفسه بنفسه، وارتضى هذا الحمد من خلقه، فقال: قولوا: (الحمد لله رب العالمين).

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الفصل التاسع

فقه شهادة أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله

الرسل من قبل الحبيب محمد

نوابـــه وهـــو الحبيـــب الهـــادي

موسى وعيسى والخليل وغيرهم

يرجـــون منـــه نظـــرة بـــوداد

رغبـــوا يكونـــوا أُمـــة لمحمـــدٍ

وبفضـــله فـــازوا بكـــل مـــراد

وبمحكـم القـرآن عاهـدهم لـه

أن يؤمنـــوا بـــسراجه الوقـــاد

الفصل التاسع
فقه شهادة أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله[٩٩]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

عندما نشهد بنبوة سيدنا محمد نقول:

(وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله).

والمقام هنا مقام شهادة.

والشهادة هنا بعين القلب، فهي سياحة روحية قلبية، يسوح فيها العبد المؤمن في مقام الإحسان، أو في مقام الإيقان، بعد عُلوه عن مقام الإسلام والإيمان، ويشهد بعين قلبه في آيات القرآن الأسرار التي استودعها الرحمن ﷻ في النبي العدنان ﷺ.

فيشهد له :

- **أنه أول النبيين.**
- **وأنه ﷺ صادقٌ في قوله:**

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[١٠٠]

وقوله ﷺ:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }[١٠١]

- **فيشهد بعين اليقين أنه:**
  - **أول العابدين.**
  - **وأول النبيين.**

---

٩٩ الجميزة – السنطة – الغربية ١٣ من ربيع الآخر ١٤٤٣هـ ١٨/١١/٢٠٢١م
١٠٠ مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه
١٠١ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

- وأول الأنوار المصاغة من نور رب العالمين:
  - ومنها أُفيضت الأنوار، فاستنار بها المرسلون والنبيون ثم الأولياء والصالحون والوارثون إلى يوم الدين.

– ويشهد في هذا المقام مقام إشهاد الملائكة له ﷺ في ظهر أبيه آدم، عندما أمرهم الله ﷻ بالسجود لحضرته.

– ثم يشهد بعد ذلك مقامه الأحمدي:

عندما أظهر الله ﷻ ذاته النوارنية، وحقيقته الروحانية، ليشهدها جموع النبيين والمرسلين، ويوافقهم على أن يكونوا له من التابعين، وعنه مبلغين، وبه لأممهم مبشرين:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾

هو رسولٌ وهم أنبياء:

فهو رسول المرسلين والنبيين:

﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ ... ما الواجب عليهم نحو حضرته؟

﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٨١آل عمران).

فكل المرسلين والنبيين له من التابعين ...

وهو إمام الأنبياء والمرسلين !!

ولذلك كان يقول ﷺ:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي }[١٠٢]

فهو زعيمهم وهو إمامهم صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

١٠٢ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

- ويشهد بعد ذلك أنَّ:
  - رسالات المرسلين التي أُرسلوا بها إلى أقوامهم إنما هي دعوة حضرته:
    - فإن الدين واحد عند الله وهو الإسلام.
    - ورسوله هو رسولنا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.
    - والنبيين والمرسلين نواباً عن حضرته في أممهم:

الرسل من قبل الحبيب محمدٍ نوابه وهو الحبيب الهادي
موسى وعيسى والخليل وغيرهم يرجون منه نظرة بوداد
رغبوا يكونوا أمة لمحمدٍ وبفضله فازوا بكل مراد
وبمحكم القرآن عاهدهم له أن يؤمنوا بسراجه الوقاد

- ثم يشهد بعد ذلك رسالته:
  - في مقام الرسالة بعد ظهور هيكله في الحياة الدنيا في الصورة المحمدية، عندما أرسله ربه إلى الخلق أجمعين:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (سبأ ٢٨).

فهو صاحب الرسالة الوحيدة العامة لجميع الخلق من البدء إلى الختام.

وهو ﷺ صاحب الكتاب المهيمن على كل كتاب:

فكتابه ﷺ حمل كل ما في كتب الأنبياء والمرسلين الصادقين، وزاد عليها ما يحتاج إليه الخلق من عصره ﷺ إلى يوم الدين، ولذلك قال الله ﷻ في كتابه:

﴿ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ (المائدة ٤٨).

- فهو هيمن على جميع الكتب السماوية التي نزلت على أنبياء الله ورسله.
- وهو الجامع الشامل للعقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات والتشريعات التي يحتاج إليها أي إنسان في أي زمان ومكان، إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

- ويشهد كذلك أنه ببركته ﷺ صرنا شهوداً على الأمم السابقة:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣البقرة).

- ويشهد كذلك ما أيَّده الله ﷻ به من النبأ الحق، واليقين الصدق وهو القرآن الكريم، فإن معجزة كل نبي كانت بما يظهر في قومه من الآيات التي يشتهرون بها، وكانت معجزات وقتية لا تدوم.

  - فلما أرسل الله ﷻ الرسالة الدائمة إلى يوم الدين مع أمير الأنبياء والمرسلين، أرسل معه المعجزة الخالدة الباقية وهي كتاب الله ﷻ، فهي معجزة باقية لا تفنى ولا تبلى ولا تتغير، وفي كل نَفَسٍ من أنفاس الناس في هذه الحياة يظهر لهم نماذج وصور لا تُعد ولا تُحصى من إعجاز الله في كتاب الله، فهي معجزة تتجدد باستمرار ما دام الليل والنهار إلى أن يأتي يوم القرار، فهو كتابٌ جامع مانعٌ:

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٢يس)

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ ﴾ (٤٩الكهف).

- ثم يشهد بعد ذلك المقام المحمود الذي جهزَّه الله ﷻ له يوم الدين:

يوم يجمع الخلائق أجمعين، ويحتاجون إلى من ينقذهم من أهوال الموقف العظيم، فلا يكون إلا الرؤوف الرحيم نبينا الكريم ﷺ ...

فهو الذي ببركته تنكشف الغُمة، ويبدأ الحساب وينتهي الكرب والعذاب!!

فيحمده أهل الموقف أجمعين من البدء إلى النهاية ...

وهذا ما قال فيه الله ﷻ:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩الإسراء).

وأمرنا ﷺ مع أنه يعلم علم اليقين أنه صاحب هذا المقام أن ندعو له ﷺ لأنفسنا وليس لحضرته، كي نكون في صحبته، ولا نتوه مع التائهين، فقال ﷺ:

{ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ }[١٠٣]

وأمرنا أن نسأل الله ﷻ له أن يُنيله المقام المحمود:

أن كل مقام يُنزله فيه الله من فضل الله ﷻ ومن بركة حبيب الله ومصطفاه يُنزلنا معه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ:

(يا رسول الله ما رأيت الله ﷻ اختصك بشيء، إلا واختصنا به معك)

...

وهذا فضل عظيم وكرمٌ عميم لا نستطيع أن نحيط به.

ثم بعد ذلك :

- **الشفاعة العُظمى في أهل اليمين.**
- **والشفاعة العُظمى فيمن دخل النار.**
- **والشفاعة العُظمى في الأبرار الذين دخلوا الجنة وهم أطهار.**
- **والشفاعة في الدرجات.**
- **والشفاعة في المقامات ...**
  - **وكلها منازل يُنزله فيها الله ﷻ ...**
  - **ونشهدها عين اليقين !!!**
  - **لأنها وردت في كتاب الله ﷻ ..**
    - **والذي يتحدث هو رب العالمين ﷻ.**

---

١٠٣ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

فـإن فضـل رسـول الله لـيس لـه حـدٌّ فيُعـرب عنـه نـاطقٌ بفـم

فينبغي على المؤمن أن يسبح بقلبه في هذه الآيات القرآنية:

يتلمَّس عطاءات الله ﷻ للحضرة المحمدية، حتى يمن الله ﷻ عليه، فيكشف عنه الحجاب، فيراه ﷺ بعين اليقين، ظاهراً جلياً في مقام النبوة والرسالة، فيتابعه ﷺ عياناً بعد أن كان يتابعه بياناً، فيدخل في قوله ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[١٠٤]

فيراه ﷺ وهو واقفٌ بين يدي مولاه يُصلي لله فيتابعه كما يراه بعين قلبه، لا كما يسمع من العلماء، ولا كما يقرأ من الكتب، يتابعه ظاهراً ويتابعه باطناً.

- يتابعه ظاهراً في الأحكام التشريعية، وفي العبادات التي جاءنا بها من عند رب البرية، وفي الآداب التي كان عليها في حياته مع جميع من حوله في مرحلته الدنيوية، وفي أخلاقه العلية التي مدحه الله ﷻ بها في الآيات القرآنية.
- ويتابعه باطناً في زهده وورعه وصدقه وإخلاصه وخشوعه.
- ويتابعه بعد ذلك في مقامات اليقين، وفي مقام التسليم، ومقام الحب لله رب العالمين، ومقام التوكل، ومقام التفويض، وغيرها من المقامات.
- فيتابعه ظاهراً وباطناً، ويكون في هذا المقام داخلاً في قول الله في محكم القرآن: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (الأنعام) (وأَنَّ هذا) الإشارة إلى شيء ظاهر وهو نور الحبيب الباهر، ولم يقُل فامشوا عليه، ولكن قال: (فاتبعوه) عن رؤيا العيان التي أوقفكم الله فيها بعد البيان، فبعد البيان يرتقي إلى رتبة العيان، فتكون الشهادة هنا شهادة عن اليقين.

نسأل الله ﷻ أن يمن علينا بشهود أنوار حضرته ..

وأن يكشف عنا البراقع وكل غَينٍ وبَينٍ حتى نكون له من خيار المتبعين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

١٠٤ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

الفصل العاشر

تأييد الله لنبيه

شهادة الله ﷻ لنبيه ﷺ بالرسالة

قَسَم الله ﷻ بنبيه ﷺ في القرآن الكريم

رد الله تعالى بذاته القدسية على أعداء النبي ﷺ

إزالة الشبهات عن بعض الآيات الواردة في حق النبي ﷺ

عصمة الأنبياء

معنى (ضالاً) في سورة الضحى

النور الذي وضعه الله عنه

المغفرة والاستغفار

تقوى الله

سورة عبس

عفا الله عنك

أسرى بدر

الكتاب والإيمان

سورة التحريم

الفصل العاشر
تأييد الله لنبيه[١٠٥]

شهادة الله ﷻ لنبيه ﷺ بالرسالة

إن الله ﷻ بذاته العلية شهد لحضرة النبي ﷺ في كثير من الآيات القرآنية بالرسالة والنبوة، وأنه مراد الله ومصطفاه من خلقه وبريته.

فتارة يحدثنا الله ﷻ أنه دعوة إبراهيم وإسماعيل، فعندما أمرهما الله ﷻ ببناء البيت الحرام في موضعه، فتح لهما أبواب الإجابة للدعاء، فكان من دعائهما كما قال رب العزة ﷻ: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (١٢٩البقرة) فاستجاب الله ﷻ دعاءهما.

قد يقول بعض القوم: وما الذي يعرفنا أن هذا الدعاء يُقصد به نبينا محمد ﷺ؟ فنقول: الذي يمكننا من معرفة تامة أنه هو المقصود بهذا الدعاء ﷺ هو إجماع المفسرين من عصره ﷺ إلى يومنا هذا على أن المقصود بالرسول في هذه الآية هو سيدنا محمد ﷺ، وإجماع المفسرين والعلماء حُجة.

الأمر الثاني الذي يوضح ذلك هو قوله ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى:

{ أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى }[١٠٦]

فبيَّن ﷺ أنه صاحب هذه الدعوة بهذه الكلمة المباركة، وأنه بشارة عيسى في قول الله ﷻ أيضاً: ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ (٦الصف).

الأمر الثالث أن سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل دعوا في هذه الدعوة أن يبعث الله رسولاً في ذرية سيدنا إبراهيم في مكة وما حولها، ولم يبعث الله رسولاً في مكة وما حولها منذ إبراهيم إلا سيدنا محمد ﷺ.

---

١٠٥ المقطم – مجمع الفائزين ٢٧ من ربيع الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٢/٢م

١٠٦ مسند أحمد والروياني عن أبي إمامة ﷺ

الأمر الرابع والأخير أن الله ﷻ امتنَّ على المؤمنين ببعثة هذا النبي منهم على هذه الصفة المذكورة في دعوة إبراهيم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (١٦٤آل عمران).

إذاً أول شهادة لله ﷻ بنبوة رسوله ﷺ هي أنه ألهم إبراهيم وإسماعيل أن يدعوا الله بهذا الدعاء، وبيَّن الله أنه استجاب لهما، فهذا يثبت أنه رسولٌ من رب العزة ﷻ لينذر أم القرى ومن حولها.

وهنا قد يتساءل سائل: هل هذا الرسول لا بد أن يكون بشراً ومن العرب؟ نقول: نعم، لعدة أمور:

الأمر الأول: لأن هؤلاء القوم وهم الذين يسمون العرب هم ذرية إسماعيل من إبراهيم، وكذلك فإن الله ﷻ اشترط على الإنسان المؤمن أن يؤمن بأن هذا الرسول بشراً، لأنه لو كان مَلَكاً لما كان يستطيع أن يوصِّل الرسالة إليهم، ولما استطاعوا أن يروه ولا أن يتابعوه، ولكنه لا بد أن يكون بشراً سوياً ليجالسوه ويستمعوا إليه ويسألوه ويتعلموا منه، ويتبعوه ﷺ.

وقد يقول قائل:

أنَّ الرسول ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن عاش ستين عاماً ميلادية، أو ثلاثة وستين عاماً هجرية، فهل رسالته باقية؟

نعم، فإنه ﷺ رسالته باقية إلى يوم القيامة، لأنه خاتم النبيين، ولا يأتي رسولٌ بعده ﷺ إلى يوم القيامة، ولأنه ﷺ كما بيَّن ربنا ﷻ في القرآن يرى أعمالنا ويطلع على أحوالنا، ويشهد لنا أجمعين، كما قال ﷺ:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنَ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنَ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }[١٠٧]

١٠٧ مسندالبزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الأمر الثاني:

أن الله ﷻ عندما ذكر بعثته ﷺ وصفه بالأمية، ووصف العرب الذين أُرسل إليهم بالأميين، فقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (٢الجمعة) والأميين هنا هم العرب، لأنهم لم يكونوا يعرفوا القراءة ولا الكتابة إلا نفرٌ قليلٌ جداً منهم، والرسول ﷺ أيضاً كان أمياً، لأن الله ﷻ قال في شأنه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ (٤٨العنكبوت).

فاختيار الله ﷻ له في أنه كان أمياً يعني أن الذي جاء به هو وحيٌ من عند الله ﷻ، فإنه لم يكن في أمَّة ذات حضارة ورقي حتى يُبلِّغ ما تعلمه من حضارتهم ورقيهم، ولم يذهب إلى آخرين ممن حوله ممن وُصفوا بالحضارات والرقي ليتعلم منهم، ولم يثبت أنه ذهب إلى أحد ليتعلم على يديه القراءة والكتابة، فكان هذا دليل قاطع على أن الذي قال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (١العلق) هو الله ﷻ، وهو وحده الذي علَّمه ما لم يكن يعلم: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣النساء).

الأمر الثالث:

أن هؤلاء الأميين مع أنهم كانوا أميين إلا أنهم كانوا أخبر الناس بصفاته؛ بصدقه وأمانته ونسبه وقومه ونشأته، فكانوا يعرفونه معرفة جيدة كمعرفة أبنائهم بل أكثر من ذلك، وهذا دليلٌ على أن الله ﷻ عرَّفهم بأنه نبيٌّ مرسل، لأنهم يعرفون أنه لم يتعلم هنا أو هناك، ولم يأت بهذا الذي أتى به من أي جهة أرضية، ولكنه أتى به من عند الله ﷻ.

ولذلك لما كذب بعضهم، قال الله تعالى في شأنهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣الأنعام) إنهم لا يكذبونك لأنهم يعلمون تمام العلم أنك نبي.

وكذلك فإن الله ﷻ بيَّن في كتابه الكريم بياناً شافياً، فقال: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحاقة) وهذا تحذيرٌ شديد ووعيد أكيد يدل على أن هذا النبي لم يأت بشيء من قِبَل نفسه، وإنما وحيٌ من ربه ﷻ.

وهناك روايات لا تُعد ولا تُحد لكبار المكذبين من قريش، فقد رُوي من جملة الروايات أن أبو جهل – وهو أشدهم عداوة – حدث بينه وبين النبي أمر، فقال: أشهد أنه نبي، فقيل له: ولِمَ لم تؤمن به؟! فقال: كنا نتنافس نحن وبنو هاشم الشرف، لهم السقاية ولنا اللواء – وكانت كل فضائل أهل مكة موزعة على القبائل – واليوم قالوا: إن فيهم نبي فمن أين نأت بهذه؟!، وأخذته العزة بالإثم والنعرة الجاهلية في الفخر بالآباء والأجداد، لكنهم كانوا يعلمون يقيناً أنه ﷺ ماكان إلا رجلاً صادقاً في كل أحواله، فكيف يكذب على الله ﷻ وهو الصادق الأمين.

الأمر الرابع:

أن الله وصفه في القرآن بصفات عظيمة، فقال في وصف وظائف نبوته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ (الأحزاب) فهو شاهدٌ لله ﷻ على وحدانية الله، وأنه إلهٌ واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لا في شيء، ولا من شيء، ولا على شيء، ولا محمولاً على شيء، ولا مفتقراً إلى شيء: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (١١الشورى).

ويشهد في الدنيا على أحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط ويبينها لمن حوله رأي العين كأنهم يرونها من شدة اطِّلاعه ﷺ عليها.

ويشهد في الآخرة حال أهل الدنيا من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد، وهو الشاهد على الخلق أجمعين يوم القيامة صلوات ربي وتسليماته عليه.

وقال الله ﷻ عندما كذَّبه المكذبون تطميناً لقلبه: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ (١المنافقون) وقال أيضاً: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (٤٣الرعد) وقال أيضا إذا كانوا يكذبون، فإن الله يقول: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١٦٦النساء).

ونعته ﷺ بنعت الرسالة دون غيره من الأنبياء فقال في وصفه: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾ (٢٩الفتح) وهنا شهادة تامة من الله ﷻ لحضرته بالرسالة، وأنه هو الرسول الذي اصطفاه الله، ورباه على عينه وحباه وأدناه ورقاه، وأمره أن يبلغ رسالة الله لجميع خلق الله.

وبيَّن ﷻ أنه هو الذي أرسله ليبين للناس طريق الهُدى، فقال في أكثر من موضع: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (٢٨الفتح).

ومن الأمور العجيبة التي يحتار فيها الإنسان اللبيب الفصيح، أن الله ﷻ جعل في فطرة كل إنسان سوي نزوعٌ إلى الإيمان بهذا النبي، وإلى التصديق بدين النبي، وإلى التعلق بكتاب النبي، وإلى حُسن المتابعة لحضرة النبي، فما أودعه الله في هؤلاء في قلوبهم من الفطرة السليمة، يجعلهم يصدقون بنبوته ﷺ حتى ولو لم يروا منه معجزات أو آيات، لأن فطرتهم تهديهم: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ (٣٠الروم)، هذا الشاهد الذي في القلب هو من أعظم الشواهد على نبوته ورسالته، ولذلك قال الله ﷻ له ولحضرته:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ (١٥٨الأعراف).

الأمر الخامس:

أن الله ﷻ بيَّن في صريح القرآن أنه اصطفاه منهم:

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ (١٢٨التوبة) فهو منهم وليس غريباً عنهم ويعرفون أطواره وأحواله كلها، وفي قراءة أخرى: (لقد جاءكم رسول من أنفَسِكم) أي من خيركم، ولذلك قال ﷺ:

{ فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ }[١٠٨]

فهو من بني هاشم، وبنو هاشم خيار أهل قريش، وقريش خيار العرب، والعرب ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وكان الشاهد الأعظم على رسالته أن الله ﷻ بيَّن بياناً شافياً في آية صغيرة في القرآن، فقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء) فهو ﷺ الذي زيَّنه الله بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة، وجميع شمائله وأخلاقه وصفاته رحمة للخلق أجمعين، فمن أصابه شيء من رحمته، فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، والواصل فيهما إلى كل محبوب.

---

١٠٨ معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

ومن حُرم من هذه الرحمة حُرم من كل خير في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه: الأنبياء خُلقوا كلهم من الرحمة، ونبينا ﷺ عين هذه الرحمة.

فكان ﷺ رحمة للخلق أجمعين، لأن الله رفع العذاب عن أهل الأرض جميعاً ببعثته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (٣٣الأنفال).

وكان ﷺ رحمة للملائكة، لأن الله رحمهم من الخوف الشديد من حضرة الجبروت والرهبوت، فقد رُوي في بعض الأثر أنه قال ﷺ لسيدنا جبريل: ألم يُصبك من هذه الرحمة شيء؟ قال: بلى كنت أخاف جهنم فأمنت بعد عروجك، لقول الله تعالى:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء).

ويحكي الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه في كتابه (شجرة الكون) أنه ﷺ عندما كان في ليلة المعراج ومرَّ على العرش، قال بلسان عبارته:

(فتمسك العرش بأذياله، وناداه بلسان حاله: يا محمد أنت في صفاء وقتك، آمنٌ من مقته، أنت المرسل رحمة للعالمين، ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة يا حبيبي يا محمد، ونصيبي من هذه الرحمة أن تشهد لي بالبراءة مما تقوَّله أهل الزور عليَّ، ونسبه أهل الغرور إليَّ، زعموا أني أسع من لا مثيل له، وأُحيط بمن لا كيفية له، يا محمد إذا كان الإستواء صفته، والرحمة نعته، فكيف يطيق مخلوقٌ ضعيفٌ مثلي حمله، أنا محمول قدرته، وأنا معمول حكمته، فناداه لسان حال رسول الله ﷺ: أيها العرش إليك عني لا تعكر عليَّ صفوتي، ولا تشوش عليَّ خلوتي).

فالملائكة المقربون لهم نصيب من رحمة رسول الله ﷺ، والحيوانات بأجمعها لهم نصيبٌ لا نستطيع عدَّه ولا حدَّه في هذا الوقت القصير من رحمة رسول الله ﷺ، يكفي أنه ﷺ أمرنا عندما نريد أن نذبح ما أحل الله تبارك وتعالى لنا أن نشحذ المدية أو السكين، وأن نسقيه ماءًا، وأن ننيمه على الجنب اليمين، وأن لا نريه السكين، وأن لا نذبحه في وسط قومه، حتى لا يموت موتات، وأن نُسمِّ الله فإن بسم الله تكون بمثابة حقنة تخدير لهذا الحيوان، فلا يشعر بهذا الذبح ولا يحزى ولا يُهان، حتى أنه ﷺ في الوحوش الضارية والحيوانات القاتلة عندما نريد أن نقتلها رحمة بها قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ }[١٠٩]

يعني اقتلوها برفق ولين، ولا تمثلوا بها، ولا تعذبوها عند الموت، فقد ورد أنه ﷺ كان مع أصحابه في غار، وظهرت حية، فأراد أصحابه قتلها، ففرت منهم، فقال ﷺ:

{ وُقِيَتْ شَرَّكُمْ وَوُقِيتُمْ شَرَّهَا }[١١٠]

وكان من دأب العرب في هذه الآنات أن يركبوا الجمال والخيل والبغال والحمير، وكان إذا تقابل رجلٌ وهو راكبٌ مع رفيق له راكب، يتحدثان وهما راكبان، فيرى ﷺ أن ذلك يؤذي حيواناتهما، فقال ﷺ:

{ لَا تَتَّخِذُوا الدَّوَابَّ كَرَاسِيَّ }[١١١]

يعني إذا أردت الحديث مع رفيقك انزل وأرح الدابة، وتحدث ما شئت ثم ارجع إلى الركوب رفقاً بها، ولذلك ورد من رفق هؤلاء الأصحاب ما لا يُعد ولا يُحد، يكفينا في هذا المجال قول أبي ذر رضي الله عنه عند موته لجمله: أيها الجمل لا تشكُني غداً إلى ربك، فإني لم أكن أجيعك، ولا أحملك فوق طاقتك.

أما رحمته ﷺ بالنباتات فإنها لا عد لها ولا حد لها، يكفي قوله ﷺ:

{ إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ }[١١٢]

والفسيلة هي النخلة الصغيرة، وجعل ظلها ثواب، وجعل كل ما فيها يُثاب به المرء، وكذلك ينزع الله سبحانه وتعالى عنها حسها حتى لا تتألم عند قطعها، أو عند جزعها.

فالنخلة على سبيل المثال ظلها ثواب، وأكل رطب فيه شفاء للناس، وحتى جريدها يُصنع منه الأثاث، وحتى ليفها يُصنع منه ما ينفع الناس، فكل شيء فيها نافعٌ للإنسان، وهذا ببركة ورحمة النبي العدنان ﷺ، ونختم ذلك بقوله ﷺ:

---

١٠٩ سنن الترمذي والنسائي عن شداد بن أوس رضي الله عنه
١١٠ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
١١١ مسند أحمد والحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه
١١٢ مسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

{ وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ }[113]

فكان ﷺ خاتم النبيين، وكان ﷺ لا نبي بعده إلى أن ينتهي الزمان والمكان.

قَسَم الله ﷻ بنبيه ﷺ في القرآن الكريم[114]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سدرة منتهى علوم العارفين، وحامل لواء الحمد لجميع الخلائق يوم الدين، سيد الشاكرين وإمام الحامدين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

نتناول جانباً آخر وهو الحديث عن كلام الله ﷻ في القرآن الكريم في وصف ناحية من نواحي نبينا الرؤوف الرحيم ﷺ، فالله تعالى لم يتحدث عن حضرة النبي ﷺ وفقط، بل أقسم في كتابه الكريم أقساماً متعددة على تحقيق رسالته وثبوت ما أوحي إليه وهو القرآن الكريم صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالله يقسم أن سيدنا رسول الله ﷺ رسولاً من عنده، وأن كتابه وحيٌ من إنزاله ﷻ، فيقول في سورة الواقعة: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الواقعة) فهذا قَسَمٌ بأن رسول الله ﷺ تنزَّل على قلبه القرآن، وهو كلام الرحمن ﷻ.

ويقسم مرة أخرى فيقول ﷻ: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ (يس) يقسم هنا أنه ﷺ من المرسلين، والله ﷻ وهو في مقام عزته يقسم لنا بذلك لنتحقق حق اليقين أنه رسول رب العالمين، وأن الكتاب الذي جاء به وحيٌ من عند الله ﷻ.

بل إنه ﷻ يقسم على صفات عدة وصف بها نبيه الكريم ﷺ، فيقسم أولاً على ما خصَّه به من الخُلُق العظيم، فيقول ﷻ: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴾ (القلم) ثم يُقسِم على خُلُقه

---

١١٣ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

١١٤ الجميزة – السنطة – الغربية ٥ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٢/٩م

فيقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم).

وأوائل السور التي تبدأ بحروف كسورة القلم تبدأ بـ(ن)، أو (يس)، أوالسور التي تبدأ بـ (ألم) أو (حم) وغيرها، احتار المفسرون – لعلو شأنها – في تفسيرها، فمنهم من قال أنها أسماءٌ للقرآن، ومنهم من قال أنها أسماء للسور، ومنهم من قال أن هذا علمٌ استأثر الله ﷻ بعلمه، ومنهم من قال أن هذه شفرة بين الله ﷻ وحبيبه لا يعلمها غيره ﷺ.

وفي سورة القلم التي أولها (ن) قال بعضهم: إن نون اسمٌ للحوت، لأن الله قال في شأن صاحب الحوت: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ (٨٧الأنبياء) يعني صاحب الحوت وهو سيدنا يونس على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام

ومنهم من قال إنها اسم للدواة التي يُوضع فيها الحبر لتكتب بها الأقلام، وهذا رأي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ومنهم من قال إن نون لوحٌ من نور تكتب الملائكة فيه بأمر الله قدر الله ﷻ، وما يريده الله ﷻ في ملكه وملكوته.

يُقسم الله ﷻ ويقول له: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ (٣القلم) يعني أجراً غير منقطع، يعني أجرك مستمرٌ إلى يوم القيامة، وهذا دليلٌ على أن رسالته ﷺ متميزة إلى يوم الدين، لأن كل أمم الأنبياء في صحيفة أجورهم وحسناتهم، وإذا كان ﷺ أجره غير منقطع معناه أنه مستمرٌ في أمته، وله أهل دعوته وأهل الإسلام أجمعين إلى يوم الدين.

ثم يصفه الله ﷻ بأعظم الصفات التي وصف بها النبيين والمرسلين: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم) وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته، ولذلك عندما سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ، قالت للسائل:

{ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" }[١١٥]

أي أنه كان التطبيق العملي في حياته في عمله وقوله وفعله وحاله لكل ما جاء

١١٥ مسند أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

بالقرآن من عند حضرة الرحمن ﷻ.

ثم يبين الله ﷻ بعض نعمه على حبيبه ويقسم عليها بقَسم آخر، فيقول ﷻ في سورة الضحى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ (الضحى).

وكان سر نزول هذه السورة أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي وهو في مكة بين ظهرانيّ قريش لمدة خمسة عشر يوماً، حتى قال الكافرون: لقد قلى محمداً ربه، . وقلى يعني بغض، يعني أبغض الله ﷻ – حاشا لله – محمداً وقلاه يعني بعُد عنه، فنزلت هذه السورة.

وعندما نزلت على النبي كبَّر النبي، وكبَّر الحضور من المسلمين لتكبيره، ولذلك استحسن الأئمة الأعلام أن الإنسان إذا كان يقرأ القرآن ووصل إلى هذه السورة المباركة يفصل بينها وبين السورة التي تليها بالتكبير، يعني يقول: الله أكبر بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (٥الشرح) أو الله أكبر بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ (٥التين) وهكذا إلى سورة الناس.

وإذا زاد وقال: الله أكبر ولله الحمد، فلا مانع، وإذا قال: لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، فلا مانع، ومن هنا نجد قراءنا العظام القدامى كانوا يحافظون على هذا في تلاواتهم رحمة الله ﷻ عليهم أجمعين.

فعليك يا أخي إذا كنت تتلوا القرآن بحسب ترتيب المصحف عند تلاوة هذه السورة وما يليها، أن تفصل بينهم قبل البسملة بكلمة الله أكبر، أو الله أكبر ولله الحمد، أو لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، المهم أن يكون فيها التكبير فإن هذه سُنَّة عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

أقسم الله ﷻ بالضحى، والضحى يعني ضوء النهار: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ (٥الضحى) يعني إذا غطَّى ولم يعد يظهر فيه أي أثر للنور أو الإضاءة، وكأن الله ﷻ يشير بالضحى إلى حضرته ﷺ، فإنه صلوات ربي وتسليماته عليه هو النور الذي جاء بعد الظلام الطويل، فأضاء للناس سبل حياتهم، وطريقهم إلى ربهم ﷻ، ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٥الضحى) يعني أنت بأعيننا على الدوام.

ثم وعده ﷺ بأن يعطيه كل ما يرضيه، سواءٌ في الدنيا، أو في الآخرة، أو في الجنة،

حتى تقر عينه وينشرح صدره، ويفرح بهذا العطاء نفسه:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى).

يعطيه في الدنيا القرآن والهداية والنصر على الأعداء، والظفر بمن كانوا يكيدون له وغير ذلك، ويعطيه في الآخرة الكوثر والشفاعة والمقام المحمود، ويعطيه في الجنة الوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الكريمة والنظر إلى وجه الله ﷻ.

ثم يطلب الله ﷻ بعد أن يبين له بعض ما خصه به بلسان أهل الإشارة: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ (٦الضحى) قال في ذلك أهل الإشارة: يتيماً يعني فريداً من نوعك، وعندما وجدك فريد في طاعتك لربك، وفي إقبالك على الله ﷻ آواك إلى جنابه، وأدخلك إلى رحابه، وجعلك سيد رسله وأنبيائه.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (٧الضحى) نأخذ من القرآن ما يفسر القرآن، فإن أبناء سيدنا يعقوب عندما وجدوا أن أباهم يفضل يوسف عليهم، قالوا له: ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (٩٥يوسف) والضلال هنا يعني الحب، أي أنك في حبك القديم ليوسف وأخيه بنيامين.

(ووجدك ضالاً) يعني محباً لحضرة الله لا يلحقك في هذا الحب أحدٌ سواء من الإنس أو الجن أو الملائكة، ولذلك كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

{ جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، وَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ: عَجَبًا إِنِ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا فَإِبْرَاهِيمُ خَلِيلُهُ! وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا! وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ! وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ! فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَتَعَجُّبَكُمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمُوسَى كَلِيمُهُ، وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ، وَآدَمَ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلَا وَإِنِّي حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا

فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ }[١١٦]

فبيَّن لنا أنه صاحب مقام المحبة، ومقام المحبة أرقى مقامات القرب من حضرة الملك العلام ﷻ.

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ (الضحى) يعني صاحب عائلة كبيرة وهي أكبر الأمم، فقد قال ﷺ:

{ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا }[١١٧]

وقال ﷺ في صفوف الأمم يوم القيامة:

{ أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا }[١١٨]

وقال ﷺ في قول الله: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران):

{ إِنَّكُمْ وَفَّيْتُمْ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ }[١١٩]

فهي خير الأمم، وأكثر الأمم قبولاً وقرباً من الله ﷻ، ولأنها أمة الختام فأغناها الله من عطائه ومن هباته ومن هداياته كل ما يحتاجون إليه في دنياهم ومعايشهم وأخراهم حتى لا يحوجهم لأحد سواه: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ (الضحى).

ثم أوصاه ﷺ بالضعفاء من أمته: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ (الضحى) ونعمة ربنا هنا للحبيب هي نعمة النبوة، وتحديثه بها أن يبلغها لخلق الله ﷻ، وهذا هو المعنى الصحيح لها.

ثم أقسم الله ﷻ على تصديقه فيما أتى به من وحيه وكتابه، وتنزيهه عن الهوى في خطابه، فقال ﷻ:

---

١١٦ سنن الترمذي والدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما
١١٧ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١١٨ مسند أبي يعلى الموصلي
١١٩ سنن ابن ماجة والترمذي

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ (النجم).

والنجم هنا إما أن نفسرها على ظاهرها وهي النجوم الظاهرة التي تنير في ظلام الليل للسائرين في البر والبحر، وإما أن نقول بحسب معناه اللغوي فهو النبات الذي ينبت من الأرض وليس له ساق، وإما أن نقول كما قال البعض: النجم هنا هو القرآن.

ولكن قال جعفر الصادق رضي الله عنه: النجم هنا هو رسول الله محمد ﷺ، وقال: (والنجم إذا هوى) يعني إذا نزل بعد عروجه إلى ربه تبارك وتعالى.

وانظر معي إلى عِظم كلام الله: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (٢النجم) فالله سبحانه وتعالى لم يقُل: ما ضل محمد، أو ما ضل النبي، ولكن (ما ضل صاحبكم) ليعرفهم بأنهم أعرف الناس به، لأنه نشأ بينهم، ويعرفون نسبه، ويعرفون حسبه، ويعرفون أخلاقه، ويعرفون كل شيء عنه، ويعرفون صدقه وأمانته، وكل ما اتصف به.

ولذلك قال ربنا لهم: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (٢النجم) يعني ما ضل عن الطريق المستقيم، ولا أغوته نفسه بمنصب رئاسي، أو بشيء مادي، وإنما يُبلّغ عن الله كما أمره الله رسالة الله، لا يريد بذلك إلا الله تبارك وتعالى.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾ (٣النجم) يعني لا ينطق بشيء تهواه نفسه، ... أو يميل إليه طبعه.

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ (٤النجم) إنما هو وحيٌ أنزله الله عليه بواسطة أمين الوحي جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

ولذلك يروي الإمام الأوزاعي رضي الله عنه وأرضاه عن أحد الصحابة الكرام، أن نبينا ﷺ كان ينزل عليه الأمين جبريل بالحديث الشريف، كما ينزل عليه بالقرآن، يعني حتى الحديث وحيٌ من الله سبحانه وتعالى، لأن الله عز وجل سمَّى الحديث في قرآنه الحكمة: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾ (٣٤الأحزاب) آيات الله هي القرآن، والحكمة هي أحاديث رسول الله ﷺ.

وكذلك قول الله:

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ (١٥١البقرة)

الحكمة في كل آيات القرآن يُقصد بها سنته وأحاديثه ﷺ، وكان الله ينزلها عليه بواسطة أمين الوحي جبريل كما جاء في حديث الأوزاعي إمام أهل لبنان رضي الله عنه وأرضاه عن حسان بن عطية.

كذلك فإن الله سبحانه وتعالى قال له: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ (١١٣النساء) هذه الآية بصريح العبارة أن الحكمة نزلت عليه كما نزل الكتاب، والكتاب والحكمة هنا هما القرآن والسنة.

ثم أقسم الله تبارك وتعالى على صدق الكتاب الكريم في أكثر من موضع من كلامه سبحانه وتعالى، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾ (التكوير) والخُنس هي النجوم التي تتوارى، والجواري الكُنس هي النجوم التي تسير: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ (١٦النحل) وتكنس السماء العليا من آثار النجوم التي ماتت وانتهى أمرها.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ (التكوير) قول الرسول هو كلام الله تبارك وتعالى.

وأقسم مرة أخرى بأن هذا القرآن وحيٌ من الله فقال: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ (الحاقة) وهذا أشمل قَسمٌ في القرآن كله، فإنه يقسم بكل ما نراه وكل ما لا نراه أن هذا القرآن قول الرسول ﷺ الذي نزل به الروح الأمين من عند الله تبارك وتعالى.

ويقول كما قلنا آنفاً: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الواقعة) ومواقع النجوم هي مواقع نزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ، لأن الله قال له: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ﴾ (الشعراء) فمواضع نزول القرآن على قلبه أقسم بها الله سبحانه وتعالى في قرآنه.

ولذلك قال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾

(الواقعة) أي أنه ﷺ لو تعلمون حقيقته فإنه قرآن كريم في أفعاله وأخلاقه وآدابه وأعماله وأحواله ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة).

وقال أيضاً عن القرآن نافياً أقوال أهل الجاهلية أجمعين: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ (الشعراء).

ثم أقسم الله ﷻ على تحقيق رسالته، فقال ﷻ:

﴿ يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ (يس) أقسم الله ﷻ باسم النبي (يس) ويس كأوائل السور بعض المفسرين قال معناها: يا إنسان، وبعضهم قال: يا محمد، وبعضهم قال: معناها يا رجل، وبعضهم قال فيها أنها اسمٌ من أسماء القرآن، وبعضهم قال: إنها قسمٌ أقسم الله به وهو من أسمائه الحُسنى.

والإمام أبو العزائم رضي الله عنه قال فيها:

(يس) يعني يا سرَّ أسمائي وصفاتي، وهو رسول الله ﷺ.

ولم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له صلوات ربي وتسليماته عليه.

بل إن الله ﷻ ليُعلمنا مكانته عنده، ومنزلته لديه، أقسم به في كل أحواله، فمرة يقسم بحياته، فيقول الله ﷻ: ﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ (٧٢الحجر) (لعمرك) يعني وحياتك، ولذلك فإن الإمام أحمد رضي الله عنه قال: القَسَم بالنبي إذا حنث الإنسان فيه يحتاج إلى كفارة، لأنه يمينٌ منعقد لأن الله أقسم به في كتابه.

وكذلك جعل الله شرط قبول الإسلام أن يكون في الشهادة: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، فلا تُقبل شهادة الرجل المسلم إلا إذا ذُكر ﷺ مع ربه، وهذا قول الله تعالى في سورة الإنشراح: ﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ (٤الشرح) أي لا أُذكر إلا وتُذكر معي، فإن الحلف برسول الله ﷺ يمينٌ منعقدٌ صحيح، وإذا حنث الإنسان فيه يحتاج إلى تكفير، لأن الله أقسم بنبيه.

ومرة أخرى يقسم ببلد النبي، ولكنه يبين أن تعظيم البلد لا يكون إلا بوجود حضرة النبي: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ (البلد) ولا أقسم في

اللغة يعنى أقسم، أقسم بهذا البلد وأنت حلٌّ به يعني نازلٌ وموجودٌ وقائمٌ بهذا البلد.

وفي تفسير آخر: وأنت حلٌّ يعني هذا البلد حلالٌ لك أن تفعل فيه ما تشاء، ولذلك قال ﷺ يوم فتح مكة:

{ إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ }[١٢٠]

ومرة يقسم بعصره فيقول تعالى:

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴾ (العصر) فإن الله ﷻ أقسم بالعصر، والعصر هنا هو عصر رسالة النبي ﷺ، ويمتد منذ بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولا يقسم الله به إلا لعِظم شأنه عنده ورفعة مقامه لديه ...!

حتى نعلم قدره عند ربه ﷻ .... ثم تسامى الله ﷻ في وصفه، فوصفه بأنه نور، وأنه سراجٌ منير!

فمرة يقول: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (المائدة) والنور هو رسول الله ﷺ، وإذا كان رسول الله نور، فإن الله يصف نفسه وذاته بأنه نور: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (النور) ويصف كتابه بأنه نور: ﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى) ... ثم يبين هذا النور لمن؟ فيقول: ﴿ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ (الأحزاب) .. أي أنه نورٌ لقلوب المؤمنين، وأرواح المتقين حتى نعرف قدره، لأنه نور من نور رب العالمين ﷻ.

ثم بين الله ﷻ قدره في القرآن بهذه الكيفية ....

فبيَّن بذاته الأدب الذي ينبغي علينا أن نلتزم به مع حضرته !!

ولم يترك ذلك لنا لحرصه على مقام نبينا.

---

١٢٠ البخاري ومسلم عن أبي شريح العدوي ﷺ

- فمرة يُحرّم علينا أن نتقدم بين يديه ونمشي أمامه إلا بإذنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (الحجرات) !!

- وإذا كان المشي أمامه ينهى الله عنه، فما بالكم بمن يقدم رأيه على رأي حبيب الله ومصطفاه، ويقدم ما اختاره على ما اختارته شريعة الله وكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ.

- وينهانا عن رفع الصوت في حضرته سواء في حياته أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى: ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الحجرات) ...

وعندما نزلت هذه الآية قال سيدنا أبو بكرٍ رضي الله عنه:

{ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا أُكَلِّمُكَ إِلا كَأَخِي السِّرَارِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ }[١٢١]

يعني همساً ...

وكان سيدنا عمر جهوري الصوت !!

ولكن بعد نزول هذه الآية كان إذا تحدث مع النبي ﷺ لا يتبين حديثه صلوات ربي وتسليماته عليه حتى يستوضحه من خفوت صوته في الكلام مع حضرة النبي.

وعندما جاء أبو جعفر المنصور زائراً إلى حضرة النبي بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ودخل مسجده الشريف، وناظر الإمام مالك ورفع صوته !!

فقال له الإمام مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في حضرة النبي ﷺ:

فإن الله أدَّب قوماً فقال: ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الحجرات)، وذمَّ قوماً فقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (الحجرات)، ومدح قوماً فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ (الحجرات)

فاستكان لها الخليفة أبو جعفر ... وخفَّض صوته في حضرة النبي، ... وذلك بعد

---

١٢١ الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه

انتقال النبي ﷺ.

- كذلك نهانا الله ﷻ عن أن نجعل دعاءه كدعاء بعضنا لبعض:

﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (٦٣النور)

وهي تشمل معنيين، أي لا تنادوا على الرسول كما تنادوا على بعضكم بأسمائكم مجردة من الألقاب، ولكن إذا ناديتموه فقولوا: يا نبي الله أو يا رسول الله أو يا حبيب الله، كذلك نعلم علم اليقين أن دعاءه لربه ليس كدعائه لنا، فدعاؤه مستجاب، والله وعده أنه سيعطيه حتى يرضى:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى).

كذلك دعاءه يعني نداءه على أحدنا إذا ناداه ليس كما يناديه أخوه أو إنسانٌ آخر غير رسول الله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢٤الأنفال) فإذا دعانا لأمر ليعلّمنا أو يرشدنا أو يوجهنا، نستجيب إليه فوراً صلوات ربي وتسليماته عليه.

- وأوجب علينا إذا كنا في حضرته ألا نخرج أو نمشي من هذا الجمع إلا بعد الإذن من حضرته: ﴿ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ (٦٢النور)، ثم خيَّره ﷺ وقال له: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ (٦٢النور) أعطاه الله الخيار بأن يأذن لمن يشاء، ويستغفر له لأنه سيفوته خيرٌ كثير بعد تركه لمجلس البشير النذير ﷺ.

- وأمرنا بعد ذلك بأن نُسلِّم له وننقاد له، حتى يتم إيماننا ويكون إيماننا سليماً:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا الأدب مع حضرته، والأدب مع نبيه، والأدب مع الصالحين، والأدب مع المحبين، والأدب مع المسلمين أجمعين.

رد الله تعالى بذاته القدسية على أعداء النبي ﷺ[١٢٢]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه المبين:... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (٣٨الحج) والصلاة والسلام على رسول الأنبياء والمرسلين، والمرسل رحمة من الله للخلق أجمعين في الدنيا ويوم الدين، سيدنا محمد وآله الغُر الميامين، وصحابته المباركين، وكل من مشى على هديه وصار على شريعته إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

من الإكرامات الخاصة التي خصَّ بها الله ﷻ نبيه ﷺ دون غيره من الأنبياء، وبيَّنها الله بياناً واضحاً في قرآنه الكريم ﷻ هي رد الله تعالى بذاته المقدسة على أعداء نبيه ﷺ.

هذه الكرامة العُظمى هي أجلُّ كرامة لرسول الله ﷺ، فإن الله ﷻ ترك الأنبياء والمرسلين السابقين يردون على أنفسهم فيما اتهمهم به الكافرون من أممهم.

فهذا سيدنا نوح يرد على قومه بنفسه فيقول: ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ (٦١الأعراف) ينفي الضلالة عن نفسه التي اتهموه بها، وكذا سيدنا هود عندما وصفه قومه بالسفاهة فرد عليهم بذاته كما ذكر الله وقال: ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾ (٦٧الأعراف).

ولكن رسول الله ﷺ تولى الله ﷻ بذاته المقدسة الرد على جميع أعدائه في كل التُهم التي اتهموه بها، وبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها.

فلما قال المشركون: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٦الحجر) قال الله تعالى مقسماً: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (القلم) وقال الله ﷻ مرة أخرى موجهاً الخطاب من حضرته مباشرة لهم: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ (٢٢التكوير).

ودخل النبي ﷺ ذات يوم بيت الله الحرام وتقابل مع رجل من زعماء الكفر هو العاص بن وائل السهمي، وكان ذلك عقب وفاة ابنه القاسم، وهو ابنه من السيدة خديجة رضي الله ﷻ عنها، فبعد أن جرى حديث بينهما دخل العاص بن وائل على

١٢٢ الجميزة – السنطة – الغربية ١٤ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٢/١٦م

القوم الكافرين فسألوه: مع من كنت تتحدث؟ فقال لعنة الله ﷻ عليه: ذلك الأبتر، والأبتر يعني الذي ليس له ولدٌ ذكرٌ يرثه، واتهم بذلك سيدنا رسول الله ﷺ لوفاة ولده.

فقال الله ﷻ رداً عليه: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ (الكوثر) وشانئك يعني مبغضك وحاسدك والحاقد عليك هو الأبتر الذي ليس له عقبٌ ولا ذريةٌ تذكره بالدعاء، أو تتذكره بالوفاء، أو تنفعه يوم العرض واللقاء، فإن ذلك هو المهم في الأبناء كما ذكر الله في كتاب السماء، وكما بيَّن سيد الرسل والأنبياء ﷺ في قوله:

{ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ }[١٢٣]

ولو ترك الإنسان مليون ولد وكلهم كافرون، فإنه يزيد بهم لعنة وعذاباً عند الله، ولو ترك ولداً واحداً صالحاً يدعو له عند مولاه، كان هو الرابح في الدنيا، وهو الفائز والناجح يوم لقاء الله ﷻ.

وعندما اتهموه ﷺ بأنه ليس برسول، وقال الله ﷻ مُثبتاً هذه الحجة عنهم: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ ﴾ (الرعد) فرد الله ﷻ مقسماً بأسمائه وصفاته وقال: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ ﴾ (يس) أكَّد الله ﷻ خطابه بـ (إنَّ) أنه لمن المرسلين من الله ﷻ.

ولما اتهموه ﷺ بأن القرآن الذي ينطق به وهو وحيٌ من الله، إنما هو شعر وليس بقرآن ولا بوحي ولا كتاب من عند الله ﷻ، حكى الله ﷻ عنهم حجتهم ليرد عليها فقال عنهم: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾ (الطور) فقال ﷻ منزهاً حبيبه ﷺ عن الشعر: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴾ (يس).

ولذلك ثبت فيما ورد في سيرة النبي الأمين ﷺ، أنه لم ينطق ببيت شعر كامل طوال حياته على هيئته، لأن الله ﷻ نزَّهه عن أن يتعلم الشعر وأن ينطق بالشعر، فكان إذا نطق ببيت من الشعر غيَّر إحدى كلماته حتى لا يكون صحيحاً كهيئته يوم قاله

---

١٢٣ تاريخ الإسلام الذهبي، وفي رواية مسلم والترمذي بصيغة: {إذا مات الإنسان} عن أبي هريرة ﷺ

شاعره، لأن الله قال عنه ﷺ: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ﴾ (يس) أي لا يجب عليه أن يتعلم الشعر، لأنه تَعلَّم كلام الله ﷻ.

وإذا كان أحد المسلمين الأوائل وهو لبيد بن الأعصم وكان من أصحاب المعلقات، والمعلقات هي القصائد التي كانت تنال استحسان العرب، ويفوز صاحبها بأن يكتبوها له بماء الذهب ويعلقوها على الكعبة، فكان منهم هذا الشاعر المشهور لبيد بن الأعصم.

لما حضر المدينة المنورة في عصر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، طلب منه سيدنا عمر رضي الله عنه أن يروي لهم بعض أشعاره، فقال: يا أمير المؤمنين ماكان ينبغي لي أن ألوث قلبي بهذا القيح والصديد – وأشار إلى الشعر – بعد أن ملأته بكتاب الله وكلمات الله ﷻ.

فكيف كان الحال بالنسبة للسيد السند الأعظم ﷺ؟! ما كان له أن يتحدث بالشعر صلوات ربي وتسليماته عليه، ولذلك جاء القرآن فريداً في ألفاظه، فريداً في موسيقاه، فريداً في نغماته: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ (النجم).

ولما عجزوا عن ذلك، قالوا إنه يأتيه الشيطان الذي يُلهم الشعراء بالشعر، ويُلهمه بهذا الكلام، فقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ (الشعراء) وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ (الشعراء).

ولما كان القرآن الكريم جاء بقصص الأنبياء والمرسلين السابقين، وكان رسول الله ﷺ يتلو عليهم هذه الآيات التي فيها قصصٌ وعبرةٌ للسابقين: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾ (يوسف) قال النضر بن الحارث وكان من حكمائهم، وكان عالماً بالقصص والروايات التاريخية، تعالوا إليَّ وأنا أحدثكم بهذه القصص وأشباهها التي يتكلم بها محمد، فقال الله ﷻ لما قال النضر: ﴿ لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال) قال الله تعالى له تكذيباً له ولغيره من الكافرين: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء).

لو اجتمعوا وتعاونوا على أن يأتوا ببعض هذا القرآن الكريم لا يأتون كما ذكر الله، مرة يقول لهم: بعشر آيات، ومرة يقول لهم: بسورة، ومرة يقول لهم: بآية، وحتى لو اجتمعوا جميعاً لا يستطيعون أن يأتوا بمثل آية من كتاب ربنا ﷻ.

ولما قال الوليد بن المغيرة عندما ذهب إلى الرسول ﷺ مُوفداً من قريش، وقال: يا ابن أخي إن كنت تريد ملكاً ملكناك، وإن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنانا، وإن كنت مريضاً بحثنا لك عن الرقية والطب حتى تطيب مما أنت فيه، فقال ﷺ بأدبه الجم له:

{ أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حم السَّجْدَةَ، حَتَّى مَرَّ بِالسَّجْدَةِ فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعُتْبَةُ مُلْقٍ يَدَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهَا، ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ مَا يَدْرِي مَا يَرْجِعُ بِهِ إِلَى نَادِي قَوْمِهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ مُقْبِلا، قَالُوا: لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ بِوَجْهٍ غَيْرِ مَا قَامَ مِنْ عِنْدِكُمْ }[١٢٤]

وفي رواية أخرى:

{ وقالوا له: فَقُلْ فِيهِ قَوْلا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ، فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ، قَالوا: لا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ، قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ، قَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ }[١٢٥]

لما قال الوليد: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، رد عليه الله ﷻ بقوله:

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (الذاريات)

---

١٢٤ دلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٢٥ الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولما أبطأ عليه الوحي، ومكث خمس عشرة يوماً لم ينزل عليه، وقالوا: إن محمداً قلاه ربه، يعني أبغضه، فرد الله بقوله: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٣الضحى).

ولما لم يجدوا شيئاً يعترضوا عليه، وجدوا شيئاً بشرياً فقالوا: إنه مثلنا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، فرد عليهم الله ﷻ بعد أن ذكر أقوالهم: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ (٧الفرقان) قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ ﴾ (٢٠الفرقان)، لأنهم لا يستطيعون كما طلبوا: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ ﴾ (٨الأنعام) ولو نزل عليهم الملك فإنهم لا يرونه، ولا يستمعون إليه لاختلاف النوع، واختلاف المقومات، ولكن لا بد أن يكون الرسول بشراً مثلهم من أنفسهم يعرفونه، ويعرفون أخلاقه، ويعرفون نسبه، ويعرفون طباعه، ليكون ذلك حُجة من الله ﷻ عليهم.

ولما استبعدوا أن يبعث الله رسولاً من البشر لقولهم الذي حكى الله عنهم:

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ (٩٤الإسراء) قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ (٩٥الإسراء) المَلك ينزل على الملائكة، ولكن البشر يحتاجون لإقامة الحجة عليهم إلى رسول من البشر.

ما ذكرناه هو بعض نماذج مما فعله الله مع حبيبه ومصطفاه ﷺ ...

حيث غار ﷻ عليه أن يمسه أحدٌ بسوء !!

أو أن يتهمه أحدٌ بشبهة !!

فكان ﷻ هو الذي يتولى الرد عليهم ومنعه من الرد عليهم، لأنه ﷺ كما قال له أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لقد ذهبت إلى كسرى في ملكه، وذهبت إلى قيصر في ملكه، وطفت بأحياء العرب، فما وجدت مثل أدبك، فمن أدبك؟ فقال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي }[١٢٦]

أسأل الله ﷻ أن يرزقنا الأدب مع حبيبه ومصطفاه ﷺ.

---

١٢٦ الفوائد الجلية في مسلسلات ابن عقيلةعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إزالة الشبهات عن بعض الآيات الواردة في حق النبي ﷺ[١٢٧]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

لما كان القرآن الكريم فيه آياتٌ محكماتٌ هُن أم الكتاب وأُخر متشابهات، فنتناول في درسنا هذا إزالة الشبهات عن بعض الآيات التي وردت في حق النبي ﷺ من المتشابهات.

عصمة الأنبياء

هذه الآيات متماثلة في كتاب الله، نقتطف منها جزءاً يسيراً للأحباب ليمشوا على هُداه، والأصل الذي نمشي عليه مع نبي الله وأنبياء الله ورسل الله هو العصمة؛ أن الأنبياء والمرسلين أجمعين عصمهم الله تبارك وتعالى من الذنوب، ومن الزلات، ومن الهفوات، ومن الغفلات، ومن أي شيء يحدث للإنسان في أي زمان ومكان لأنهم في عصمة الله على الدوام، كما نشهد الله تبارك وتعالى أننا نُشهده وعجل أن عصمته للأنبياء منذ ولادتهم قبل أن يُبلَّغوا بالرسالة، وعند نزول الوحي عليهم لتبليغ الرسالة، وبعد ذلك فهم معصومون على الدوام من قبل نشأتهم، إلى أن بلغوا رسالات الله تبارك وتعالى لجميع الأنام.

معنى (ضالاً) في سورة الضحى

من هذه الآيات المتشابهات قول الله تبارك وتعالى في سورة الضحى:

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (الضحى٧) وقد تحدثنا عنها فيما سبق بحديث أهل الحقائق، ولكن لا بد أن نتحدث عنها بما تأوَّله المفسرون أجمعون عنها، والمفسرون لهم فيها آراء كثيرة، وهذه الآراء تكون على حسب تعدد الفهم للغة، أي أن الكلمة اللغوية وهي كلمة (ضالاً) لها أكثر من معنى، فكل مفسر من المفسرين أخذ المعنى الذي راق عنده، وفسر عليه هذه الآية في حق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

١٢٧ الجميزة – السنطة – الغربية ٢١ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٢/٢٣م

فبعضهم قال: (ضالاً) يعني ضالاً عن معاني النبوة، أي أنه كان لا يعرف معاني النبوة حتى هداه الله ﷻ إليها وعلَّمه إياها، فقد قال ﷺ:

{ أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي }[١٢٨]

وبعضهم أخذ رواية تاريخية وردت في كثير من كتب السِيَر قال فيها ﷺ: ((ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع، وكاد الجوع يقتلني، فهداني الله)).

وبعضهم قال كلمة (ضالاً) تعني مغموراً، أي أنه كان مغموراً وغير معروف في فجاج مكة وبين أهلها، حتى جعله الله ﷻ عَلَماً يهتدي به الأنام إلى الملك العلام ﷻ.

وبعضهم قال كلمة (ضالاً) تعني فريداً، أي أنه كان ﷺ فريداً من نوعه في عبادته وإقباله على ربه، وفي جهاده في تبليغ رسالات ربه ﷻ.

وبعضهم قال إن هذا الخطاب هنا لقومه، أى هم كانوا ضُلالاً والخطاب موجه لهم في شخص الرسول ﷺ حتى هداهم الله ﷻ على يديه إلى شريعة الله ﷻ.

ولما كانت كلمة (ضالاً) تعني مُحباً، فقد قال إخوة يوسف لأبيهم كما أخبر الله ﷻ: ﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (٩٥يوسف) وضلالك يعني حبك القديم ليوسف وأخيه.

فقالوا: إنه كان ﷺ محباً لمعرفة الله ﷻ والإقبال عليه، فهداه الله به إليه.

وبعضهم قال كلمة (ضالاً) يعني ناسياً، فهو ﷺ في ليلة المعراج من شدة ذهوله عندما تجاوز سدرة المنتهى نسى ما يخاطب به ربه ﷻ، فذكَّره الله ﷻ ما يخاطبه به، فقال: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ﷻ.

وبعضهم قال:

إن الله خاطبه ويقصد بالخطاب قومه، لأنهم كانوا ضُلالاً، فهم المخاطبون بهذا الخطاب وليس أهل مكة فقط، وإنما العرب جميعاً كانوا ضُلالاً عن النهج القويم والدين المستقيم، فهداهم الله به وعصمه الله ﷻ من ضلالهم وإفكهم وبعدهم عن الله ﷻ.

---

١٢٨ الفوائد الجلية في مسلسلات ابن عقيلةعن علي بن أبي طالب ﷺ

وبعضهم قال:

(ضالاً) يعني متحيراً في بيان ما أُنزل إليه من ربه، كيف يُبلغ هذا إلى قومه؟ وكيف يدعوهم إلى الله؟ فهداه الله ﷻ كما قال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل) هداه إلى البيان الذي يدعو هؤلاء الأقوام إلى حضرة الرحمن ﷻ.

الوزر الذي وضعه الله عنه

ومن هذه الآيات كذلك قول الله ﷻ: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ (الشرح) ما الوزر الذي وضعه الله ﷻ عنه؟

اختلف في ذلك السادة المفسرون على تأويله، والفتح الذي فتح الله ﷻ به عليهم، فمنهم من قال: الوزر هو تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظهر عند القيام بها، لأن أعباء النبوة ثقيلة، وقد قال فيها الله ﷻ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل) وصف الرسالة بأنها ثقيلة، فوضع الله عنه وخفف الله عنه هذا الثقل، وحمل الله ﷻ عنه هذه الأعباء، وأعانه بعونه على إبلاغ رسالات الله.

ومنهم من قال: إن هذا الوزر لما شبَّ بين قومه وكانوا على ملة أبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، ولكنهم كانوا قد غيروا كثيراً مما كان عليه دين إبراهيم، ولم يكن يستطيع أن يغير ما وجدهم عليه من البعد عن الدين الحنيف، إلى أن أنزل الله عليه رسالته، وأمره أن يبلغهم بأن يتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً، فغيَّر بأمر الله وبمعونة الله ما حرفوه من دين إبراهيم خليل الله، والدليل على ذلك أن أهل مكة والعرب معهم كانوا يقفون عند المزدلفة في يوم عرفة، ولكن الأمر الغريب والعجيب أن النبي ﷺ بمفرده كان هو الذي يقف بعرفات، حتى أنزل الله ﷻ عليه رسالة السماء ليرد المناسك إلى مناسك إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

ومنهم من قال أن الوزر الذي أنقض ظهره أنه كان يخاف أو يخشى أن يكون عليه ذنبٌ فيحاسبه به عليه الله، وهذا من شدة خشيته من الله، فقد كان ﷺ يقول:

{ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً }[١٢٩]

١٢٩ صحيح البخاري

وفي رواية أخرى: { أَنَا أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِ اللَّهِ }[١٣٠]

فمن شدة خشيته كان يحاسب نفسه حساباً شديدا، ويخاف بعد ذلك أن يكون هناك ذنب لا يعلمه فيحاسبه الله ﷻ عليه، فخفَّف الله عنه ذلك ووضع عنه وزره، أو وضع عنه ذنبه الذي لو كان لغفره الله ﷻ له.

ومن ذلك أيضاً في هذا المعنى أن سره كان مشغول بدعوة الله، وكان دائماً وأبداً يحرص على تنفيذ شريعة الله، وكيف يتم ذلك؟ وكيف يكون ذلك بين العرب القساة الجفاة الغلاظ؟ ولكن الله تحمل عنه ذلك، وأعانه على ذلك حتى خفف عنه وزره صلوات الله ﷻ عليه.

أيضاً من هذه المعاني الجميلة، أن الله ﷻ لما أنزل عليه القرآن كان على الدوام يخشى أن يتغير أو يغيره بعض الذين يأتون بعده، كما غيروا التوراة وغيروا الإنجيل، فخفف الله عنه وقال له: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٩الحجر).

وآخر هذه المعاني أن ذنوبه هي ذنوب أمته، لأن الله قال له:

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (١٩محمد) فخاف على ذنوب أمته أن لا يتقبل الله ﷻ استغفارهم، وأن يحاسبهم عليها حساباً شديداً، فوضع الله عنه وزره هذا وبشره بأنه: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح).

المغفرة والاستغفار

الآية الثالثة وهي في هذا المقام:

﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح) وهل النبي ﷺ – وهو المعصوم – ارتكب ذنباً حتى يغفره له الله ﷻ؟ لا، ليس الأمر كذلك، قال بعض المفسرين الذين يفسرون بعقولهم، ليغفر له الله ما كان على سهو وغفلة، وهو ﷺ منزهٌ عن السهو وعن الغفلة، فإن الله ﷻ قال له ﷺ: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ (٦الأعلى) عصمه من النسيان، فكيف ينسى أو يسهو صلوات ربي وتسليماته عليه؟!

---

١٣٠ مسند أحمد ومصنف عبد الرزاق

وعندما كان يسهو مثلاً في الصلاة كان ذلك لحكمة تشريعية، يقول فيها ﷺ:

{ إِنِّي لا أَنْسَى وَلَكِنْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ }[١٣١]

للتشريع، فعندما نُسِّي من قبل ربه لشغله بالنظر إلى جماله وبهائه ﷻ، كان ذلك ليعَلِّم من خلفه كيف يستدركون الصلاة إذا فاتهم ركن من أركان الصلاة، أو سُنَّة من سنن الصلاة، ولذلك قال الرجل الصالح:

يا سائلي عن رسول الله كيف سها ... والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسها ... عما سوى الله فالتعظيم لله

وبعضهم قال في هذا وهو يكاد يكون محقاً: ليغفر لك الله ما تقدم وهو ذنب أبيك آدم، وهذا يصدقه الحديث المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال: قال ﷺ:

{ لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا آدَمُ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: لأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكِ رَفَعَتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لأَحِبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }[١٣٢]

فغفر الله له ما تقدم من ذنب آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وما تأخر من ذنوب أمته، ولذلك قال ﷺ:

{ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، مُتَابٌ عَلَيْهَا، تَدْخُلُ قُبُورَهَا بِذُنُوبِهَا، وَتَخْرُجُ مِنْ قُبُورِهَا لا ذُنُوبَ عَلَيْهَا، تُمَحَّصُ عَنْهَا ذُنُوبُهَا بِاسْتِغْفَارِ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا }[١٣٣]

وقال ﷺ:

---

١٣١ وصل بلاغات الموطأ لابن الصلاح، وموطأ مالك برواية: { إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ }
١٣٢ دلائل النبوة للبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٣٣ معجم الطبراني وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه

{ مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً }[١٣٤]

فإن الله يغفر لأمته ببركته صلوات ربي وتسليماته عليه.

ومن العارفين من قال: إن المراد من قول الله ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح) ترك الأَوْلى، فإنه ﷺ معصومٌ من الذنوب، لكن الأمر قد يكون فيه الحسن والأحسن، فإذا ترك الأحسن وأخذ بالحسن، يكون قد ترك الأَوْلى، وهذا قد يكون ذنباً يتوب منه ﷺ.

وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: رأيت الرسول ﷺ في المنام وقلت يا رسول الله إنك تقول: { إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ }[١٣٥]

فما الغين الذي يكون على قلبك؟ فقال ﷺ: غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك، أي أن الرسول ﷺ كان يترقى باستمرار في مقامات القرب من الله، فكلما علا في مقام استغفر من المقام الذي كان فيه قبل ذلك، لأنه ﷺ يريد أن يكون دائماً كما قال له ربه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ (١١٤طه).

ولذلك قال الإمام السبكي رضي الله عنه: إن المراد من هذه الآية ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٢الفتح) تشريف النبي من غير أن يكون هناك ذنب، فهي آية تدل على تشريف النبي وشرفه، وعِظم مكانته عند ربه ﷻ.

تقوى الله

ومن جملة هذه الآيات أول سورة الأحزاب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ (١الأحزاب).

وهل كان النبي ﷺ يحتاج إلى هذه النصيحة وإلى هذا الأمر وهو أتقانا وأتقى الخلق كلهم قبلاً وبعداً؟ لا والله، ولكن هذه الآية تحتاج إلى تأويل، فأمر الله له بالتقوى قد يكون لاستدامة الحضور، أي داوم على الحضور مع الله على الدوام، فلا تشغلك أعباء الرسالة، ولا تشغلك أعباء الزوجات، ولا تشغلك أعباء المسلمين عن الحضور

١٣٤ مسند الشاميين للطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه
١٣٥ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني رضي الله عنه

بقلبك وروحك وكلك مع رب العالمين ﷻ، فتكون هنا التقوى هي استدامة الحضور مع الله ﷻ رغم الشئون التي ينزل فيها ويفعل بها.

وكذلك يزداد علمه بالله، وفي كل ساعة يزيد رقيه إلى مولاه، فيحتاج إلى تقوى مجددة في منازله التي ينزله فيها الله، فإن لكل مقام تقوى، فيحتاج إلى مزيد من التقوى في المقامات التي يترقى فيها إلى الله ﷻ.

وكأن الله ﷻ يقول له كما يقول بعض المفسرين: دم على التقوى، أي استمر على هذه التقوى وهي أنه لا يشغلك عن الله شاغلٌ طرفة عين ولا أقل.

وقال بعض المفسرين: الخطاب مع النبي والمراد أمته، لأن الله ﷻ يخاطب الأمة في رسولها، كما يوجه رؤساء الأعمال الخطاب إلى أي رئيس في أي زمان ومكان، فالخطاب له وموجه إلى مرؤوسيه الذين يحكمهم ويشرف عليهم، ولكن الخطاب للتعظيم يذهب إلى هذا الرئيس الذي يحكم هؤلاء.

فالخطاب في هذه الآية لأمته، أي اتقوا الله، إذا كان النبي أمره الله بتقوى الله، فما بالكم؟! أي تحتاجون أن لا تكلوا ولا تملوا من تقوى الله ﷻ.

سورة عبس

أما الآية التي وقف عندها كثيرٌ من الناس وهي قول الله ﷻ:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ (عبس)

ويقولون: إن هذه الآية عتابٌ من الله لرسول الله ﷺ عندما كان جالساً مع قوم من الكافرين يحاول أن يهديهم ويرشدهم إلى دين الإسلام، وجاء عبد الله بن أم مكتوم وكان أعمى يقول: يا رسول الله أرشدني، يا رسول الله زكني، فالرسول ﷺ تغيَّر، لماذا تغيَّر حضرة النبي؟ لأن عبد الله بن أم مكتوم كان غير موفق في هذا الذي فعله، فمن الأدب مع النبي ﷺ وإن كان هو أعمى ولكنه كان يسمع حوار النبي مع هؤلاء، فعليه أن يترك المكان، ولا يأت إلى النبي يخاطبه وهو مع هؤلاء، ولكنه فعل هذا!، فكأن الله ﷻ يقول لحضرة النبي ﷺ: لِمَ لم تعلمه الأدب أن لا يدخل عليك ومعك قومٌ آخرون؟!

فكان ينبغي عليك أن تعلمه هذه الآداب، ... كما تعلم الجميع الآداب الواجبة عليهم في كل موقف من المواقف.

وقال بعض المفسرين: الأعمى هنا ليس عبد الله بن أم مكتوم، ولكن الأعمى الكافر الذي كان يتحدث مع النبي لأنه كان أعمى البصيرة: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤٦الحج).

وإن كان هناك قومٌ يستندون إلى حديث أن النبي ﷺ كان كلما قابل عبد الله بن أم مكتوم يقول له: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، فهذا من باب التأديب والتهذيب والتربية لأمته حتى يفعلوا كفعله ﷺ، فلا يظنوا أنهم معصومين، ولا يظنوا أنهم وصلوا إلى حد الكمال، فصاحب الكمال المعصوم يعتذر لابن أم مكتوم، مع أنه لم يحدث بينه وبينه شيء، بل كان عبد الله هو الذي أخطأ في الذهاب إليه ومعه هؤلاء.

فالرسول ﷺ لا نجد في هذا الخطاب عتابٌ له، ولا لومٌ له: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ (عبس) ربما يقول له مولاه ﷻ كنت ينبغي أن تنظر بعين بصيرتك لترى أيهما الذي يقبل التزكية، وأيهما المعرض الذي لا يقبل التزكية، فتقبل على من يريد التزكية وتترك غيره، ولكنه كان يبلغ رسالات الله إلى الكافرين كما أمره الله، ويدعوهم إلى دين الله كما كلفه الله، فكان يفعل أمراً أمره به مولاه، فهو في كلتا الأمور غير ملام ولا معاتب صلوات الله ﷻ عليه.

عفا الله عنك

ومن الآيات أيضاً قول الله تعالى:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٤٣التوبة) جاء قومٌ من المنافقين إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يستأذنوا أن لا يذهبوا معه إلى القتال، فأذن لهم وهو يعلم بعلم الله أنه لو أذن لهم أو لم يأذن لن يذهبوا، فقال الله ﷻ له وما أجمل هذا العتاب: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ فقدم الخطاب بالعفو ﴿ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾.

أي أنهم كانوا حتى لو لم تأذن لهم لن يذهبوا، ولكنك كونك أذنت لهم فيكون

ذلك بمثابة عُذر لهم عند الله ﷻ، والرسول ﷺ لأنه كان رحمة مهداه، فكان يخفف الأعباء حتى عن الكافرين، وجعله الله ﷻ رحمةً للخلق أجمعين.

فعفا الله عنك، أي ليس عليك ذنب، لأنك اخترت الأفضل والأحسن، وإن كان هذا في نظر البعض خطابٌ فيه لومٌ أو عتابٌ، فهذا مخطئٌ ولا يفقه قواعد اللغة العربية ولا خطابات الحضرة العلية للحضرة النبوية.

أسرى بدر

أيضاً عندما كان ﷺ في غزوة بدر وأسروا من الكافرين من أهل مكة سبعين، وقتلوا منهم سبعين، وكان ﷺ من دأبه أن يشاور أصحابه فيما يفعل – وهذا ما يجب أن نسير عليه أجمعين – فقعد ومعه أبو بكر وعمر وعلي، وأخذ رأيهم في الأسرى، فقال أبو بكر: يا رسول الله إنهم أهلٌ وأقارب نأخذ منهم فداء، يعني مال نتقوى به، ونتركهم لعلهم يدخلون في دين الله ولا نقتلهم كافرين، وقال عمر: أرى غير ما رأي أبو بكر، أرى أن تعطيني فلاناً قريبي فأقتله، وتعطي أبو بكر فلان قريب له فيقتله، وتعطي علي أخاه عُقيل فيقتله، وهكذا.

فاختار النبي ﷺ لفرط رحمته، ولتخيير ربه له في كل شئونه رأي أبي بكر، وأخذ منهم الفداء، واستند في ذلك كما تقول إحدى الروايات، أن جبريل عليه السلام نزل على حضرته وقال: يا رسول الله خيِّر أصحابك إما أن يأخذوا الفداء ويُقتل منهم سبعين رجلاً في مرة قادمة، وإما أن يقتلوهم ولا يُقتل منهم أحد، فأجمعوا على أن يأخذوا الفداء على أن يُقتل منهم سبعين فيما بعد.

ولذلك كان من العجب أن المسلمين في غزوة أحد بعد بدر مباشرة قُتل منهم سبعين كما وعد رب العالمين ﷻ، هذا الأمر جعل النبي ﷺ في صبيحة اليوم التالي ينزل عليه قول الله: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ ﴾ (الأنفال).

ظنت طائفة من العلماء أن هذا عتاب للنبي، وخاصة أنهم ذكروا أن النبي عند

نزول هذه الآيات أخذ يبكي هو وسيدنا أبو بكر، فجاء سيدنا عمر وقال: يا رسول الله خبرني فيما تبكيان، إن كان أمراً يستحق البكاء بكيت معكما، وإن كان أمراً لا يستحق البكاء تباكيت معكما، فقال ﷺ:

{ الَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ الْفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ }[١٣٦]

وأصحابه المقصود هنا الذين يقول فيهم الله: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٦٧الأنفال) القوم الذين من بينهم ويريدون عرض الدنيا، وليس الرسول ﷺ، لأن الرسول ﷺ عندما فعل ذلك كان يعلم علم اليقين أن الله أحل له ذلك، فقد قال ﷺ في جملة ما فُضِّل به على الأنبياء والمرسلين:

{ وَأُحِلَّتْ لي الغنائم، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي }[١٣٧]

فهو يعلم أن الله أحل له الغنائم ولذلك فعلها صلوات ربي وتسليماته عليه.

وأما قول الله تعالى:

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٨الأنفال)

إما أن يكون الكتاب هو اللوح المحفوظ، وهو الذي سبق فيه من الله ﷻ تحليل فداء الأسرى لسيدنا رسول الله ﷺ، وكأن الله يقول لنبيه: لقد شرفناك بأمر لم يفُز به غيرك من الرسل السابقين، فإنا منعنا عنهم أجمعين الفداء في الأسرى، ولم يحل ذلك إلا لك ولأمتك، فهذا فضلٌ من الله على رسول الله، وعلى أصحابه أجمعين صلوات ربي وتسليماته عليه.

ولذلك قال الله تعالى للمسلمين أجمعين:

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ (٦٩الأنفال) أي أن هذه الآية كانت تأكيداً لما يعلمه رسول الله من إحلال الغنيمة لحضرته، وللمسلمين أجمعين بعد ذلك تشريفاً وتعظيماً له، وتشريفاً لأمته صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

١٣٦ صحيح مسلم والترمذي

١٣٧ صحيح البخاري وابن حبان عن جابر بن عبد الله ﷺ

الكتاب والإيمان

أما قول الله ﷻ:

﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ (الشورى)

- فقد قال بعض المفسرين في هذه الآية:

ما كنت تدري الإيمان على التفصيل، وفصَّله لك العلي الكبير في القرآن الكريم.

- وقال البعض الآخر:

ما كنت تدري كيفية الدعوة إلى الإيمان، فقد فصَّل لك الله في القرآن كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، مرة يقول لك:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ (النحل)

ومرة يقول لك:

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ (يوسف).

- أو كأن الله يقول له:

إنك قبل بلوغ الرسالة ونزول الوحي عليك لم تكن تعرف الإيمان، وهذا حق، لأنه لم يكن يعرف الإيمان بمعناه التشريعي الإسلامي إلا بعد نزول الوحي.

- وقيل معنى آخر:

ما كنت تدري أهل الإيمان، ولكن عند إبلاغ الرسالة عرَّفه الله بأهل الإيمان الذين أعانوه على تبليغ دعوة الله وآمنوا به وبالله ﷻ.

أو أن المراد به شرائع الإيمان ومعالمه وهي كلها إيمان.

فهذه كلها يا أحبة معاني لقول الله ﷻ:

﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ (الشورى).

سورة التحريم

الآية التي نختم بها حديثنا هي أول سورة التحريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١التحريم)

وسبب نزول ذلك :

كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: لَا وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا }[١٣٨]

والمغافير شيء يشبه عسل النحل .. ولكنه كريه .. كان ينشأ على الأشجار في الصحراء ...

فحرم الرسول على نفسه أن يأكل العسل !

فعاتبه الله ﷻ وقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ ﴾ (التحريم)

وانظر إلى حُسن الختام:

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٥التحريم)

أي أن الله غفر لك هذا الأمر لحُسن نيتك ولطيب سريرتك.

وهذا يدلنا على أن هذا القرآن كتاب الله:

- وأن الله كان يوجه حبيبه عند كل أمر كما نرى في كتاب الله.

---

١٣٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

- فلو كان الكتاب من عند غير الله لطُمثت هذه الآيات وما ذكرها رسول الله، وما حُفظت في القرآن الكريم.
  - لكن هذه الآيات الكريمة وأشباهها وأمثالها تدل دلالة يقينية على أن هذا كلام رب العالمين ﷻ.
  - وأنه هو الذي كان يربي حبيبه على عينه.

فإذا كان الله ﷻ يربي حبيبه على عينه ويوجهه:

- فنحن أولى إلى أن نحتاج من يوجهنا.
- وإلى من يربينا.
- وإلى من يلفت أنظارنا إلى أشياء اعتدنا عليها قد تكون فيها مخالفة شرعية، أو أشياء نقوم بها قد تكون مخالفة لنهج النبوة.
- فعلينا أن نكون كما كان الحبيب ﷺ ...

- ونجعل في عيون قلوبنا دوماً قول الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٢١الأحزاب).

أسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا ..

وأن يلهمنا رشدنا ..

وأن يعلِّمنا علوماً وهبية إلهية محصنة بالشريعة القرآنية والسنة النبوية ...

وألا يتخلى عنا بعنايته ﷻ طرفة عين ولا أقل.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الفصل الحادي عشر

الواجب علينا نحو رسول الله

حكمة إرسال الرسل والأنبياء

مكانة الإنسان

عناية الله بالإنسان

حكمة إرسال الرسل

النعمة العظمى

صفات الرسول في التوراة

منن الله علينا ببركته ﷺ

الواجب علينا نحو النبي ﷺ

نعمة الله علينا بنبيه

الواجب الأول: الإيمان بالنبي ﷺ

الواجب الثاني: وجوب طاعة النبي ﷺ

الواجب الثالث:اتِّباع النبي ﷺ

أسباب نزول آية المحبة

درجات الاتِّباع

مراتب المحبة

حقيقة المتابعة

أمَّة المتابعة

الواجب الرابع: وجوب محبته ﷺ

مراتب محبته

حب الصحابة للنبي ﷺ

علامات الحب لرسول الله ﷺ

الأولى: حسن المتابعة

الثانية: التسليم لشرع الله

الثالثة: معرفة شمائل النبي وأوصافه

الرابعة: تعظيمه وتوقيره

الخامسة: الفرح برسول الله

ثمار محبته ﷺ

الواجب الخامس

الصلاة على النبي ﷺ

صلاة الله على المؤمنين

كلام أهل الإشارة

صلاة الله والملائكة على النبي

رأي الإمام القرطبي

حقيقة صلاة الله وصلاة الملائكة

صلاة المؤمنين على النبي

مراتب صلوات العارفين

الصلوات العددية

الصلوات الإلهامية

الصلوات الشهودية

حكم الصلاة على النبي

مواضع الصلاة على النبي

هيئة المُصلي على النبي

الصلاة على النبي ورد الصالحين

السلام على النبي

فوائد الصلاة على النبي

صلاة المقربين على النبي ﷺ

الواجب السادس: زيارة النبي ﷺ

فوائد الزيارة

آداب الزيارة في كتب الفقه

أهل الشهود الوالهين

الواجب السابع: واجبنا نحو آل بيت النبي ﷺ

وقرابته وصحابته

واجبنا نحول آل بيت النبي

واجبنا نحو الصحابة المباركين

أولاً: وجوب توقيرهم وتعظيمهم

ثانياً والأهم: الاقتداء بهم

ثالثاً: إحسان الثناء عليهم

رابعاً: الاستغفار لهم

خامساً: الإمساك عما شجر بينه

الفصل الحادى عشر
الواجب علينا نحو رسول الله

حكمة إرسال الرسل والأنبياء[١٣٩]

لماذا أرسل الله ﷻ الرسل مبشرين ومنذرين؟

لما كان الإنسان جامعاً لكل معاني الكائنات، ... فجمع فيه الله ﷻ معاني الجمادات والنباتات والحيوانات والملائكة المقربين، ... وأودع فيه سبحانه قُوى نفوس كل رتبة من رتب الوجود.

فهو جمادٌ من حيث أنه طينة ويميل إلى السكون والراحة، ونبات من حيث يتغذى وينمو وليس فيه حس لأن الحس قد يؤذيه عندما يريد أحد البشر قطعه، وحيوانٌ من حيث أنه يحس ويتحرك، ...!!

ومَلَكٌ من حيث أنه يشهد الغيب بدلائل المشهود، ولا يعصى الله ما أمره ويفعل ما أمره الله سبحانه به إذا صفا وتكمَّل، وإبليس إذا نزع إلى هواه ورأيه وحظه ونسي يوم الحساب، ...

وخليفة عن ربه إذا تجمَّل بأخلاق الربوبية وبالأخلاق المحمدية ...

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

بهجة الروح بالجمال العلي ... لا بملكٍ يفنى وحظٍ دني
وابتهاج الشيطان حسدٌ وكبرٌ ... بفساد وفرقة وبغيٍّ
وابتهاج الحيوان أكلٌ وشربٌ ... ونكاح وذاك قصد القصيّ
وابتهاج النفوس بعد زكاها ... رغبة الفوز بالمقام الهنيّ
هي نفسٌ إن صفت وتزكَّت ... تتهنى بحُظوة بالوليّ
وهي إبليس بل أشر سبيلا ... إن تعامت عن حسنها بالدنيّ
وهي حيوانٌ بل أضل سبيلا ... إن تسلَّت عن الجمال العليّ

---

١٣٩ الجميزة – السنطة – الغربية ٢٩ من جمادى الأولى ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١/٦م

مكانة الإنسان

فالإنسان وهو أكمل مخلوقات حضرة الرحمن، يكون مَلَكاً وأكمل إذا علت عنده النفس الملكوتية، وأقبل بإخلاص وصدق على طاعة رب البرية، وحفظ نفسه من جميع المعاصي الظاهرة والباطنة بالكلية، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ (١٩الزخرف) فالملائكة عباد الرحمن.

ويقول الله ﷻ عن المؤمنين الأتقياء الأنقياء: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (٦٣الفرقان) إلى آخر الآيات المباركات في آخر سورة الفرقان.

وإذا وصل الإنسان إلى هذا الحال العلي، يكون بينه وبين الملائكة نسب وانتساب، فإما أن يصعد إليهم بروحه ويقابلهم ويواجههم في ملكوت الله العلي، وإما أن يتنزلون له كما قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠فصلت) لم يقُل الله ﷻ: تنزل عليهم الملائكة، لأن هذا يعني أن النزول لمرة واحدة، لكن (تتنزل عليهم الملائكة) وتتنزل فعل مضارع مستمر، يعني تتنزل عليهم بالدوام كلما داوموا على القرب من الملك العلام ﷻ، فهو مَلَكٌ وأعلى من المَلَك في المنزلة، لأن الملائكة تخدمه وتتنزل له.

أما إذا اتصف بالأخلاق الإبليسية من المكر والدهاء والنفاق والرياء والخداع وغيرها كان شيطاناً بل أضل، لأن الله ﷻ عندما تحدث في قرآنه عن الشياطين بدأ بالأخطر والأكثر إضلالاً، فقال ﷻ: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ (١١٢الأنعام) فبدأ بالإنس أولاً، فهم أخطر لأنهم قريبين من الإنسان، وشيطان الجن يذهب شره عن الإنسان إذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (٩٨النحل).

أما شيطان الإنس فإنه ملازمٌ لكيان وجسم الإنسان، وكما يقولون (الدَّيُّ على الآذان يقلب الكيان) فإذا داوم الحديث مع الإنسان في أي أمر ليغريه أو يفتنه، فإنه لا يزال به حتى يحوله إلى الطريق الذي يريد، وهو أكيدٌ طريق غير مُوفق وغير سديد، فيكون في هذه الحالة أشد في ضرره على الإنسان من الشيطان.

وهو كذلك حيوانٌ بل أضل إذا كان همه في الحياة شهوات نفسه الأمارة بالسوء، من شهوة الأكل والشراب والنكاح واللباس والرياش وغيرها، ولذلك يقول الله ﷻ فيمن اشتغلوا بهذه الخصال: ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (٤٧محمد) ويقول مرة أخرى، وهي أشد في الوقع: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤الفرقان) لأن الأنعام تذكر الله وتشكره على عطاياه: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤الإسراء).

وقد قيل: ما من حيوان يُذبح، أو شجرة تُقطع، إلا لغفلتهم عن ذكر الله ﷻ في تلك الساعة، فإذا كانت الحيوانات تذكر الله، وهذا العبد الذي أعلى شأنه مولاه وجعله سيد مخلوقاته، بل أفضل كائناته غافل عن مولاه لا يذكر الله ﷻ، بل دائماً ينسى عطاياه، ولا يشكره على أي نعمة تفضَّل بها عليه مولاه، فيكون في هذه الحالة .. كالحيوان بل أضل.

ومن هنا فإن القوى الربانية التي استودعها الله ﷻ في الإنسان لو تُركت وشأنها بدون رعاية وعناية من السماء، فإن الأرض ستكون كغابة موحشة، وسيأكل فيها القوي الضعيف، وينتشر فيها البغض والظلم والزور، وتكون الحياة فيها لا تطاق.

عناية الله بالإنسان

ولذلك من عناية الله ﷻ بالإنسان – وهو أمرٌ ليس واجباً على حضرته ولكنه تفضلٌ منه ﷻ ونعمة على بريته –أن أرسل النبيين مبشرين ومنذرين، وأيَّدهم بالمعجزات، وأنزل ﷻ معهم حقيقة التوحيد الذي يجب وينبغي أن يكون عليه العبيد، وأنزل معهم العبادات التي تسموا بالإنسان إذا فعلها في جميع الأوقات.

وإذا حافظ على الصلوات كان على صلة بالله، ويأتيه من عالم الملكوت الأعلى نورٌ يهديه إلى ما يحبه ويرضاه مولاه، وإذا حافظ على الصيام حافظ على صحة الجسم لأن صحة الجسم في قلة الطعام، وحافظ كذلك على من حوله من الأنام بأن يعطف على الفقراء والمساكين.

وإذا أخرج الزكاة كان في ذلك سلبٌ وإخراجٌ للحقد والحسد من المجاورين، لأن

لهم نصيبٌ في رزق هذا الإنسان يأخذونه بإذن من الرحمن، بل جعله الله ﷻ رزقاً خالصاً لهم، ولو أن الإنسان طغى ولم يخرجه فإنه يكون من المشركين كما قال رب العالمين: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (فصلت) فيكون من المشركين وتؤخذ البركة وتُرفع من كل ما حوله من نعم الله ﷻ.

حكمة إرسال الرسل

فأرسل الله ﷻ الرسل مبشرين ومنذرين ليقيموا بين الناس كلمة التوحيد، والعدل في الحقوق والواجبات، لأن الإنسان بما تفضَّل الله به عليه من العقل والإدراك والفكر والروية إذا مشى بين الناس – كما أمر الأنبياء بوحي السماء بالعدل في المعاملة وأحكام العبادات – صلُح حال العباد، وكانت الأرض كأنها جنة دانية، وكان لهؤلاء البشر في الآخرة جنة عالية يدخلونها بنفوس راضية لا تسمع فيها لاغية إن شاء الله.

وهكذا إذا لم يتابع بني الإنسان أنبياء الله ورسله، ومشوا على هواهم، وضلوا سواء السبيل تكون الدنيا بالنسبة لهم مشاكل لا تعد، وفتنٌ لا تحد، وحروبٌ تبيد الأخضر واليابس، وعداء وأحقاد وأحساد وأمراض ليس لها علاج إلا على يد الأنبياء والمرسلين، نازلين به من عند رب العالمين ﷻ.

ثم يكون لهم في الآخرة أشد أنواع العذاب، ويذيقهم الله ﷻ العذاب الشديد في الآخرة، لأنهم ضل سعيهم في الحياة الدنيا، يقول تعالى في معيشتهم:

﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ (طه) تكون المعايش كلها مع كثرة الخيرات ووفرة النعم ضنك وشقاء وعناء كما نرى الآن:

﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ (الزخرف)

تصحبهم الشياطين، !! وتُزين لهم سوء أعمالهم، !! ويرون أقبح ما يأتونه حسناً، لأنهم بعدوا عن رسالات الله، وعن متابعة أنبياء الله ورسل الله عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، ثم يكون لهم يوم القيامة العذاب الأليم والخزي أمام الله ﷻ في يوم العرض على الله.

النعمة العظمى

فإذا جئنا إلى سيدنا مولانا رسول الله ﷺ، نجد أنه النعمة العظمى التي تفضَّل بها الله ﷻ علينا، وذكَّرنا بها وذكرها لنا في القرآن، فهو ﷺ الذي أخرجنا من الكفر إلى الإيمان، وهدانا من الضلالة إلى الهداية، وهو ﷺ الذي جعلنا بعد الجهالة علماء وحكماء، قال في شأننا: { عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ كَادُوا مِنْ صِدْقِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[١٤٠].

وفي رواية أخرى:

{ أُدَبَاءُ حُلَمَاءُ عُقَلاءُ فُقَهَاءُ كَادُوا مِنْ فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ }[١٤١]

ولذلك يقول الله ﷻ عنه لنا في آيات لا تحد ولا تعد، نذكر منها على سبيل المثال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ (٢٨الفتح)، ويمن الله ﷻ علينا فيقول: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (١٦٤آل عمران)، ويقول ﷻ لنا موجهاً الخطاب لنا: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١٢٨التوبة)، فهذا النبي الكريم ﷺ الذي قال الله في حكمة إرساله للخلق: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٧الأنبياء).

صفات الرسول في التوراة

منَّ الله علينا به في قرآنه الكريم في آيات كثيرة، وبينت ذلك صحف الأنبياء السابقين، فقد سأل عطاء بن يسار رضي الله عنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة، فقال:

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ

١٤٠ حلية الأولياء لأبي نعيم عن سويد بن الحارث ﷺ
١٤١ أحاديث منتقاه لأبي بكر الأنصاري عن سويد بن الحارث ﷺ

المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }[١٤٢]

وذكر مثل ذلك عبد الله بن سلام وكذلك كعب الأحبار عن صفة رسول الله في التوراة، فقالا:

((إِنِّي بَاعِثٌ نَبِيًّا أُمِّيًا، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ، وَلَا قَوَّالٍ لِلْخَنَا، أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ، وَالْبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعدَ الضَّلالَة، وأُعلِّمَ بِهِ بَعدَ الجَهالَة، وأَرفَعُ بِهِ بَعدَ الخَّمَالَة، وأُسَمِّي بِهِ بَعدِ النَّكِرَة، وأُكَثِّر بِهِ بَعدَ القِّلَّة، وأُغنِي بِهِ بَعدَ العَيلَة، وأَجْمَعُ بِهِ بَعدَ الفُرقَة، وأُؤَلِّفُ بِهِ بَينَ قُلوبٍ مُختَلِفَة، وأَهوَاءٍ مُتَشَتِّتَة، وأُمَمٌ مُتَفِرّقَة، وأَجعَلُ أُمَّتَهُ خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاس)).

وفي حديث آخر أخبرنا كعب الأحبار ﷺ عن صفة رسول الله ﷺ في التوارة فقال:

{ فِي السَّطْرِ الْأَوَّلِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدِي الْمُخْتَارُ لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا صَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ وَفِي السَّطْرِ الثَّانِي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ }[١٤٣]

فمن النعم التي لا تُعدُّ ولا تُحدُّ ... ما أشرنا إلى بعضها في هذه الآيات ... وهذه الأحاديث.

---

١٤٢ صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

١٤٣ سنن الدارمي عن كعب الأحبار ﷺ

منن الله علينا ببركته ﷺ

ومنه كذلك أن الله جعلنا به شهداء على الناس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة).

وجعلنا في رتبة الأنبياء والمرسلين، لأن الله قال في شانهم: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء) فكما تشهد الأنبياء على أممهم، نشهد نحن أيضاً على الأنبياء وأممهم.

وكان ﷺ عندما يذكر أحوال الأنبياء يقول عنهم (إخواني من الأنبياء).

وقال فينا:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي }[١٤٤]

ومما منَّ الله ﷻ به علينا ببركته ﷺ، أن الله جعلنا نعمل أعمالنا كلها لله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف) نزَّه أعمالنا عن الشرك، وجعلها خالصةً لله، فعمل الله ﷻ لنا ما ينفعنا في الدنيا، وما يرفعنا في الدار الآخرة، وما يُعلي منزلتنا في الجنة، لأننا نعمل لله، مستجيبين لقول الله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة) ومنفذين لأمر الله لنا أجمعين: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ (الزمر) فتحققت بذلك معيتنا لله، ودخلنا المعية الإلهية في قول رب البرية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل).

ولذلك فإن نبينا ﷺ عندما كان في غار حراء لم يقُل كما قال موسى في وقت هجرته بقومه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء) معي وحدي !!

بل قال كما قال الله في سورة التوبة: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة) لم يقُل معي ومعك، ولكن قال: (معنا) يعني مع الأمة جميعها، فالأمة بأجمعها دخلت في معية الله، اكراماً لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

---

١٤٤ مسند أحمد عن أنس ﷺ

الواجب علينا نحو النبي ﷺ[١٤٥]

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله رب العالمين، هو الأول والآخر وهو بكل شيء عليم، والصلاة والسلام على أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث، والشاهد عليهم والشفيع لهم يوم الحشر، سيدنا محمد وآله البررة الكرام، وصحابته الأتقياء الأنقياء، وكل من مشى على هديهم إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

بعد أن غُصنا في فتوحات القرآن في حديث الله ﷻ وتنزَّه وتقدَّس عن النبي العدنان، نختم حديثنا في هذا بالواجب علينا نحن جماعة المؤمنين بالنسبة للنعمة العُظمى والرحمة الكبرى التي منَّ الله بها علينا نحو سيد الأولين والآخرين ﷺ.

نعمة الله علينا بنبيه

فإنه ﷺ منَّ الله علينا به بمنن لا تُعد ونعم لا تُحد، وقال الله ﷻ في شأنه: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (١٠٣آل عمران) لم يقُل نِعم الله عليكم، ولكن قال (نعمة الله عليكم) نعمة واحدة، وهذه النعمة هي التي أخرجنا بها الله من الظلمات إلى النور، ...من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ودائرة الإيمان، ... وهو رسول الله ﷺ.

وهو الذي ألَّف بين القلوب المتنافرة المتناحرة، وجعلهم كما قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠الحجرات) وجعلهم فيما بينهم في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كما قال ﷺ:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى }[١٤٦]

---

١٤٥ الجميزة – السنطة – الغربية ١٠ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١/١٣م

١٤٦ صحيح البخاري ومسند أحمد عن النعمان بن البشير ﷺ

هذه النعمة ذكَّرنا بها الله في كتاب الله، وقال لنا: (واذكروا نعمة الله عليكم) يعني تذكروا واستحضروا هذه النعمة في كل أوقاتكم، فهي سر السعادة لنا في الدنيا، وسر الفوز والفلاح لنا في الدار الآخرة.

بعد هذه النعمة ما الواجب علينا نحو هذا النبي الكريم الذي وصفه الله في قرآنه باسمين من أسماء ذاته، فقال تعال في شأنه: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨التوبة).

حاول الأئمة الأعلام جمع بعض الواجبات التي استطاعوا على قدرهم أن يُحصِّلوها من كتاب الله ﷻ، وكان أول من جمع هذه الواجبات الإمام القاضي عياض رضي الله عنه وأرضاه، في كتابه العظيم المسمى (الشفاء) والقاضي عياض رجلٌ من رجالات المغرب العربي في عصر الدولة الإسلامية الزاهرة، جمع الآيات القرآنية التي فيها الواجبات علينا لخير البرية ﷺ، ومنها على سبيل المثال: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٨الفتح) ثم التفت الله ﷻ إلينا وقال: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٩الفتح) (لتؤمنوا بالله ورسوله) وهذه واحدة، (وتعزروه) وهذه ثانية، أي تعينوه وتساعدوه وتنصروه، (وتوقروه) وهذه ثالثة، أي تعظموه وتقوموا له بالأدب الواجب نحو حضرته.

فهذه آية جمعت ثلاثة واجبات علينا نحو رسول الله ﷺ، الواجب الأول هو الإيمان به، والواجب الثاني هو نصرته ومعاونته ومؤازرته، والواجب الثالث هو تعظيمه واحترامه والقيام بالأدب الكامل بين يديه ﷺ.

وآية أخرى:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠النساء) وهذا واجبٌ آخر وهو طاعته.

وآية أخرى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٣١آل عمران) وهذه هي المتابعة، فالواجب علينا متابعته، وفيها أيضاً محبته أي أن نتيجة هذا الاتباع هي محبة الله ﷻ.

والآية الأخرى في هذا المقام:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب).

والآية الأخرى التي تستوجب علينا زيارة روضته:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤النساء).

فجمع القاضي عياض رضي الله عنه بعض هذه الواجبات فيما يلي: الإيمان به – طاعته – اتِّباعه – محبته – مناصحته – توقيره – بره – الصلاة والتسليم عليه – زيارة روضته – وفي الختام تعظيم آله واحترامهم وإرشادهم كما قال الله تبارك وتعالى.

ومشى على هذا النهج كذلك الإمام القسطلاني في كتابه (المواهب اللُّدنية) والإمام القسطلاني إمامٌ من كُمَّل العارفين، وقد أكرمه الله عزوجل فجذبه إليه، وساح في وديان مكة حوالي خمس عشرة سنة، وبعد السياحة استقر في المدينة، وألهمه الله عزوجل أن يضع كتابه (المواهب اللدنية) الذي أشار أيضاً فيه إلى هذه الواجبات وزاد عليها.

ونبدأ بذكر بعض الواجبات نحو النبي صلى الله عليه وسلم:

الواجب الأول: الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم

يجب على كل مؤمن كي يكون إيمانه إيماناً صحيحاً :

أن يؤمن بالله، ويؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالإيمان بالله ورسوله معاً لا يفترقان، لقول الله تعالى:

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ ﴾ (٨التغابن) والنور هو القرآن.

أي الإيمان لا بد أن يكون شاملاً لتمام الإعتقاد في توحيد الله وتنزيهه تبارك وتعالى، وفي الإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عصمه الله تبارك وتعالى قبل البعثة وبعدها من كل الهفوات والزلات والخطرات، ولذلك قال الله تبارك وتعالى لنا في شأنه:

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ (٧الحشر)

فلو كان هناك احتمال ولو قليل جداً في نسيان أو سهو أو خطأ، ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ (٧الحشر).

فنؤمن تمام الإيمان بأنه نبيٌّ أرسله الله ﷻ، وأمره بإبلاغ رسالته، ونصدقه في كل ما جاء به من عند الله.

ولنا شاهدٌ ودليلٌ في ذلك في شهادة الصدّيق الأعظم ﷺ وأرضاه، فإن الرسول ﷺ لما رجع من رحلة الإسراء والمعراج، وكانت في مكة قبل الهجرة بعام، وذهب النبي إلى زعماء قريش حول الكعبة وحدَّثهم بحادثة الإسراء، ولم يحدثهم بالمعراج لأنهم لا يستطيعون إدراكه، فأخذ بعضهم يصفق وبعضهم يصيح وبعضهم يسخر، ثم ذهبوا وأتوا سيدنا أبي بكر ﷺ، وقالوا له:

إن صاحبك يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة واحدة!! فقال صاحب الإيمان: إن كان قال ذلك فقد صدق، قالوا له: أتصدقه في ذلك؟ قال: بل أصدقه في أكثر ذلك، أصدقه في أن الوحي ينزل عليه من فوق سدرة المنتهى فوق السماء السابعة إلى الأرض في أقل من لمح البصر.

فالإيمان به يقتضي كمال التصديق بنبوته، وكمال التسليم لرسالته، وكمال العمل بشريعته التي جاء بها من عند الله ﷻ، ولا بد أن يكون ذلك باللسان وبالقلب.

فلو قال رجلٌ بلسانه ونطق الشهادتين: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) ولكن لا يعتقد ذلك بجنانه وقلبه كان منافقاً، لأنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

ولو اعتقد الإنسان صدق النبي وصحة رسالته بقلبه، ولم ينطق بلسانه، فهذه دعوى تحتاج إلى إثبات، والإثبات يكون عن طريق النطق باللسان، إلا إذا كان هناك أمرٌ خارج إرادته يمنع اللسان عن التعبير عما في القلب والجنان، ولذلك قال ﷺ:

{ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }[١٤٧]

إذاً لا بد من الإيمان به ﷺ بالقلب باطناً!

والنطق بذلك ظاهراً!

والالتزام بما جاء به من التشريعات، والعمل بما أوصى به من السنن والوصايا والتوجيهات، وهذا أول واجبٌ من المؤمنين نحو أول المسلمين وأول المؤمنين ﷺ.

---

١٤٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

الواجب الثاني: وجوب طاعة النبي ﷺ

الإيمان به يقتضي وجوب طاعته، وطاعته ﷺ تكون في التزام سنته، والتسليم لما جاء به من عند الله ﷻ، ولذلك سُئل الرجل الصالح سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام، فقال رضي الله عنه: تتلخص في قول الله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (٧الحشر) الذي جاءكم به الرسول من عند الله خذوه بطاعة وبحب، واعملوا به فوراً ولا تترددوا، وقال ﷺ منبهاً على ذلك:

{ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي }[١٤٨]

إذاً كما قال الله ﷻ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٨٠النساء) فإن طاعة الرسول هي طاعة لله ﷻ.

وأمرنا الله ﷻ بطاعته، لأن في ذلك نجاح كل قصودنا في الدنيا، وتسهيل كل أمورنا في هذه الحياة، ونجاح مجتمعاتنا كلها في العمل بما يحبه الله ويرضاه، وفي الآخرة الفوز والفلاح بما وعدنا به الله، وفي الجنة مجاورة سيدنا رسول الله في سكناه في جنة النعيم إن شاء الله.

ولذلك حذَّر الله ﷻ من مخالفته، وحذَّر النبي ﷺ أيضاً من مخالفته، فقال ﷺ:

{ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ }[١٤٩]

لأنه لا ينطق عن الهوى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم) وقال الله ﷻ لنا جماعة المؤمنين: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ (٥٤النور) تهتدوا إلى أرشد أموركم وأحسنها في الدنيا، وأفضل أحوالكم في الدار الآخرة إن شاء الله.

وحذَّر الله تحذيراً شديداً من مخالفته، فقال ﷻ:

---

١٤٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٤٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور) إذاً لا بد أن تكون الطاعة في الاتّباع والتسليم بما أمر به، والإنتهاء عما نهى عنه ﷺ.

وهذه الآية: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء):

هي من أقوى الأدلة على أن الرسول معصومٌ في جميع الأوامر والنواهي، وفي كل ما يُبلِّغه عن الله ﷻ، لأن أمره هو أمر الله.

إذاً هو معصوم في كل ما يخرج من شفتيه، وفي كل ما يعمله بجوارحه، وفي كل ما يقرُّه، فهو ﷺ معصوم تمام العصمة، ولذلك قال الله:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء).

وكذلك فإن الله ﷻ بشَّر المؤمنين بأن من يطع الرسول ﷺ يكون له السعادة والمعية الدائمة لخيار الناس في الدنيا والآخرة، فقال تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء)

أي من يطع الله والرسول ويواظب على هذه الطاعة على الدوام، يدخل المعية المحمدية، والمعية الربانية، والمعية الإلهية، وهي معية بالسر والروح وليست بالأجسام فقط، فلو كانت معية بالأجسام لنالها أصحابه الكرام ولم يكن لنا فيها نصيب، ولكن الله ﷻ فتح الباب فقال:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الفتح)

لم يقُل معه في مكة ولا معه في المدينة ولا معه في عصره وأوانه وزمنه، وإنما معه إلى قيام الساعة، لأن رسالته ونبوته ممتدةٌ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذه الآية القرآنية الكريمة نزلت في روايات كثيرة، نقتطف منها ثلاث روايات هي حسبنا:

الرواية الأولى:

أن ثوبان خادم رسول الله ﷺ كان قد ظهر عليه أثر المرض من اصفرار اللون ونحافة الجسم ومظاهر الحُزن، فقال ﷺ:

{ يَا ثَوبَان، مَا غيَّر لَونك؟ فَقَال: يَا رسُولَ الله مَا بِي مِن ضُرٍ ولا وَجَع، غَيْر أَنِّي إِذَا لَم أَرَك اشْتَقتُ إِلَيْكَ، واسْتوحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَة حَتَّى أَلقَاك، ثمَّ ذَكرتُ الآخِرة وأَخافُ أَن لا أَرَاك هُنَاك، لأَنِّي أَعرفُ أَنَّك تُرفَع مَعَ النَبِيِّينَ، وأَنِّي إِن دَخلتُ الجنَّة كُنْت فِي مَنزِلة أَدْنَى مِن مَنزِلَتَكَ، وإِن لَم أدخُل الجَّنَّة فَذَاكَ أحْرَى أَن لا أَرَاكَ أَبَداً، فَنَزَل قَول الله تَعَالى: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً } [١٥٠].

الرواية الثانية:

ذكر ابن حاتم عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: { قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُفَارِقَك فِي الدُّنْيَا فَإِنَّك لَوْ مِتَّ رُفِعْت فَوْقَنَا فَلَمْ نَرَك، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) } [١٥١]

وهناك رواية ثالثة:

ذكر ابن حاتم عن عكرمة: أن فتىً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لنا منك نظرة في الدنيا، ويوم القيامة لا نراك لأنك في الجنة في الدرجات العُلا، فأنزل الله هذه الآية.

١٥٠ ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول في طبعة دار الكتب العلمية تاريخ النشر ٢٠٠٠ عند تعرضه لأسباب النزول لهذه الآيات من سورة النساء.
١٥١ مصنف ابن أبي شيبة

وهناك بشرى عظيمة في هذه الرواية:

فقد روى عِكرمة كما قال ابن حاتم أن رسول الله ﷺ قال للفتى:

(أنت معي في الجنة إن شاء الله).

أي أن النبي بشَّره وبشَّر كل من يطع الله والرسول أنه سيكون في معيته في الجنة، ليس معنى ذلك أن المعية درجة واحدة، فإن المعية فيها درجات ودرجات، ولكنهم يكونون في معية واحدة، وهي معية حضرة النبي ﷺ.

والشاهد في هذه الآية الكريمة وهذه الآيات التي ذكرناها كلها:

هو الحثُّ على طاعة الله، وطاعة رسول الله، والترغيب فيهما ....

لأن طاعة الرسول من طاعة الله.

والطاعة في الحقيقة لا تكون طاعة إلا إذا فعل الإنسان جميع المأمورات، وترك جميع المنهيات.

وهناك آية يسميها الفقهاء والعلماء والصالحون آية المحبة:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران)

وذكر المفسرون في سبب نزولها:

أن قوماً ادَّعوا محبة الله بألسنتهم، فخاطبهم الله ﷻ، وأمرهم أن يأتوا بالدليل: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله) ما الدليل؟ (فَاتَّبِعُونِي) دليل محبة الله هو متابعة رسول الله ﷺ في كل ما جاء به وأتى به وكان عليه من عبادات ومعاملات وأخلاق وغيرها من الأمور.

والثمرة لهذه المتابعة إذا اتبعتموه:

﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران).

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا حبه، وحب نبيه، وحب كتابه، وحب الصالحين من عباده، وحب العمل الصالح والقيام به.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

الواجب الثالث: اتِّباع النبي ﷺ[١٥٢]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ – الحمد لله الذي منَّ علينا باتباع الرؤوف الرحيم سيدنا محمد، وجعلنا له من المتبعين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، والرحمة العُظمى لجميع العالمين؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

هل يجب على المسلمين اتِّباع رسول الله ﷺ؟ وكيف يكون هذا الاتِّباع؟

وجوب اتِّباع النبي ﷺ معناه أنه ليس للمرء فيه حرية الاختيار، بل هو فرضٌ عليه أن يتبع رسول الله لأن الذي أمر بذلك هو حضرة الله ﷻ:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣١آل عمران).

أسباب نزول آية المحبة

ذكر علماء التفسير عدة أسباب للنزول في هذه الآية، وهي وإن كانت متفرقات إلا أنها متفقات في المعنى المطلوب، فإن الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة، دعا كعب بن الأشرف زعيم اليهود في المدينة ومَن معه من اليهود من قومه إلى الإسلام والإيمان به، واتِّباع ما جاء به من الله، كما أمرهم بذلك نبي الله سيدنا موسى وكما ذكرت التوراة المنزلة عليه، فقال كعب: نحن أبناء الله وأحباؤه، فأنزل الله لهم هذه الآية:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١آل عمران) أي إن كنتم تحبون الله حقاً، فالدليل والبرهان على هذه الحجة أن تتبعوني.

أيضاً من أسباب التزول لهذه الآية أن نصارى نجران عندما وفدوا إلى المدينة المنورة للتعرف على النبي ومدارسته، وجدهم النبي ﷺ يعبدون عيسى بن مريم وأمه، فسألهم عن سبب ذلك، فقالوا: ما عبدنا عيسى وأمه إلا محبة لله، فقال لهم الله:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (٣١آل عمران)

---

١٥٢ الجميزة – السنطة – الغربية ١٧ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١/٢٠م

إن كنتم تحبون الله، وعبدتم عيسى وأمه محبة لله، إذاً كمال هذه المحبة أن تتبعوا ما نزل إليكم في كتبكم من عند الله، وتتبعوا ختام الأنبياء سيدنا محمد وتؤمنوا به وتؤازروه وتعاونوه وتنصروه.

وهنا حدثت حادثة من أهل النفاق، فقد قال عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة: إن محمداً يريد منا أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى بن مريم وأمه، لكن: ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (٦٩الأحزاب).

وهناك سبب نزول ثالث:

فقد قيل أن النبي ﷺ عندما فتح الله عليه مكة، ودخل الكعبة فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها، ولا يوجد ضابط ولا رابط لذلك، فكل واحد منهم يُزخرف ويُصور ويضع ما يروق له، فقال ﷺ: (ما هذه ملة إبراهيم التي تدَّعونها) وكان أهل مكة يدَّعون أنهم على دين إبراهيم وعلى ملته الحنيفية، فقالوا كما قال عنهم الله: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (٣الزمر) أي نعبد هذه الأصنام لتقربنا إلى الله، فنزل قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ (٣١آل عمران).

فخاطب الله ﷻ في هذه الآية المؤمنين برسول الله ﷺ من أهل ملته والمتبعين لشريعته، وأهل الملل الأخرى كلها، لأن من يزعم منهم أنه يحب الله عليه أن يتبع إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.

إذاً الخطاب في هذه الآية:

- للأولين والآخرين، ولأمم الأنبياء والمرسلين.
- كما هو خطابٌ لنا جماعة المسلمين، فاتِّباعه ﷺ شرعٌ لهؤلاء جميعاً كما أنبأ رب العالمين ﷻ.

في أي شيء يتبعونه؟ يتبعونه في جميع ما جاء به من عند الله، لأن اتِّباع النبي دليل على محبة الإنسان لربه، فالذي يحب الله ينبغي عليه أن يتبع رسول الله، والذي يريد أن يحبه الله عليه بمتابعة رسول الله ﷺ ليحبه مولاه.

درجات الاتِّباع

ومن هنا فإن درجات الاتِّباع لرسول الله ﷺ تنقسم إلى ثلاث:

أولاً:

درجة المؤمنين، وهم الذين يتابعونه ﷺ في أفعاله، في الصلاة والصيام والزكاة والحج وكل ما كان عليه في حياته، وهو الذي طلب منهم ذلك فقال ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[١٥٣]

ومن خالف في صلاته صلاة النبي ﷺ فصلاته باطلة، وقال ﷺ في الحج:

{ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ }[١٥٤]

فأمرهم أن يأخذوا مناسك الحج عن حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

ثانياً:

درجة خواص الأمة قديماً وحديثاً، وهم الذين لا يكتفون بمتابعة أفعاله، بل يزيدون على ذلك بمتابعة أخلاقه الكريمة، التي مدحه بها الله وقال له فيها:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم)

فيتبعونه في عفوه وصفحه وكرمه وجوده وتواضعه ولينه وشفقته ورحمته، وغيرها من الأخلاق الكريمة التي قال فيها ﷺ: **{ إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ }**[١٥٥]

ثالثاً:

درجة خاصة الخاصة، وهؤلاء يزيدون عن المتابعة في أفعاله وأخلاقه بالمتابعة في أحواله الخاصة التي خصَّه بها مولاه ﷻ في إخلاصه، وفي صدقه، وفي مروءته، وفي شجاعته، وفي حُسن ظنه بالله، وفي حُسن ظنه في خلق الله، يتابعونه في كل الأحوال الكريمة التي جمَّله بها مولاه، وخصَّه بها دون سواه ﷺ.

---

١٥٣ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

١٥٤ سنن البيهقي عن جابر ﷺ

١٥٥ سنن البيهقي والشهاب عن أبي هريرة ﷺ

مراتب المحبة

أما المحبة فمعناها الميل إلى العمل بشرع الله، والرغبة في متابعة سيدنا رسول الله ﷺ، وأهل المحبة كذلك ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: محبة عامة المؤمنين، وهي تكون محبة لرؤية النعم والإحسان من غيرهم لهم، كما قيل في الأثر: **((جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها))** فيحبونهم لدوام الإحسان ودوام الإكرام ودوام المعونة ودوام المساعدة.

ثانياً: محبة الخواص، فيحبونه لما يرونه فيه بأعين قلوبهم من صفات الجمال والكمال الإلهية التي جمَّله بها مولاه، وحباه بها وخصه بها دون سواه، فهم في الحقيقة يحبون الله، لأنهم يحبون جمال الله، وإذا ظهر هذا الجمال في أي شخص أحبوه لحبهم لله.

وهذا حب أهل خاصة المؤمنين لجميع خلق الله أجمعين، فهم يحبون الكريم لأنه تجمَّل بوصف الله الكريم، ويحبون العليم لأن الله جمَّله باسمه ﷻ العليم، ويحبون الحكيم في تصرفاته لأنهم يرون فيه دقة صُنع الله في كل أمر فعله الله في الدنيا والآخرة وفي الملك والملكوت، وفي أي ناحية من نواحي عظمة الله ﷻ.

ولما كان لنبينا ﷺ الحظ الأوفر من الأسماء الجمالية والأسماء الجلالية التي تتصف بها الحضرة الإلهية، أحبوه لأنهم شاهدوا فيه هذه الكمالات، وتمتعوا برؤية هذه الصفات فيه ﷺ، قال ﷺ:

{ أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي }[١٥٦]

ويقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه مبيناً سر هذه المحبة:

((أحبَّ ما فيك منه، فهو المحبوب له لا أنت))

حتى في قرارة نفسك أحب في نفسك القلب والروح الذين جعلهم الله ﷻ لتلقي الإلهام والفتوحات الإلهية، ووالِيهم واحرص على أن يكونوا دائماً وأبداً خالصين لله،

---

١٥٦ الحاكم في المستدرك والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

تأتيك من الله ﷻ عطاياه، وتفد عليك كل أنواع نُعماه ﷻ.

ثالثاً: محبة خاصة الخاصة، وهؤلاء محبتهم تكون نتيجة للجذبة الإلهية السابقة لهم، فإن الله جذبهم إليه قبل خلق أجساد الخلق أجمعين، وقال فيهم في كتابه المبين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (١٠١الأنبياء) سبقت لهم الحُسنى قبل خلق الأكوان، وقبل خلق الزمان والمكان، فهي عناية أزلية سابقة.

وبيَّن الله ﷻ سر هذه العناية فقال: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (٥٤المائدة) فحُبه سابق، وحبهم له لاحق، أي أن حبهم اللاحق نتيجة حُبه السابق ﷻ.

ولذلك قال بعض الصالحين: إني لأعرف متى يُحبني ربي، فقيل له ومن أين معرفة ذلك؟ قال: هو عَرَّفني، فقيل له: أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ؟! قال: قوله (فاتبعوني يحببكم الله) وأنا في هذه الساعة في حالة اتِّباع لما شرع، وهو صادق القول، فأعطاني الحال الذي أنا فيه أن الله مُحبٌ لي في هذه الساعة لكوني مجلَى لما أحب، وهو تعالى ناظرٌ إلى محبوبه، ومحبوبه ما أنا عليه.

فانظر إلى فقه الصالحين، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا فقههم أجمعين.

حقيقة المتابعة

وقول الله ﷻ (فاتبعوني) الأمر هنا للوجوب وليس للتخيير، فاتِّباع رسول الله ﷺ واجبٌ على كل مسلم، وقد أقامه الله ﷻ بيننا إنساناً يأكل ويشرب وينام ويتزوج، ويفعل كل أفعال تقتضيها البشرية، حتى لا نقول أننا لا نطيق أن نتشبه به.

فيجب على كل مؤمن يريد أن يُحسن المتابعة لرسول الله ﷺ، أن يبحث عن عمله صلوات الله وسلامه عليه في كل شيء قبل أن يعمل هذا الشيء، حتى يعمله طبق عمله، فإذا أراد أن يأكل مثلاً ينظر كيف كان يأكل النبي فيتابعه في كيفيته، أو يريد أن يشرب فينظر كيف كان النبي يشرب فيتابعه في كيفية شربه للماء وشكره للذي أنزل هذا الماء، أو يريد أن ينام فينظر كيف كان ينام النبي، وهكذا في كل أمر من الأمور، ينبغي عليه أن يبدأ أولاً بالبحث عن الكيفية السديدة التي كان رسول الله ﷺ يعمل بها العمل، ثم يُقبل على العمل.

ومن هنا كان سبق الناس إلى مصاحبة الصالحين لأنهم يعلمون أن هؤلاء خير الخلق الذين اتَّبعوا سيد الأولين والآخرين، وكانوا حريصين على متابعته ﷺ في كل أحوالهم، فقد رُوي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه امتنع عن أكل البطيخ زماناً، فقيل له: لِمَ لا تأكل البطيخ وقد ورد أنه ﷺ كان يحب البطيخ؟!قال: ورد إليَّ بالسند الصحيح أنه ﷺ كان يُحب البطيخ، ولكن لم يرد إليَّ حديث يطمئن به قلبي كيف كان يأكل البطيخ، فلما ورد إليه حديث اطمأن إليه أنه ﷺ كان يشق البطيخة نصفين، ثم يقسم كل نصف على هيئة هلال، ويأكل من اليمين متجهاً إلى الشمال، فأكل على هذه الهيئة.

فعلم الخلق أن الصالحين لا يُوجد دقة في اتِّباع سيد الأولين والآخرين كدقة هؤلاء، لحرصهم على تمام المتابعة لحضرته، فصاحبوهم ليتعلموا منهم كيفية المتابعة لحضرته في عصرنا هذا، أو في عصورهم لأنهم:

صـــور الحبيـــب المصـــطفى مُثُـــلٌ لـــه وهـــم المـــرائي للنـــبي بـــالاحترام

أمَّة المتابعة

ومن هنا نخلُص إلى نتيجة هامة وهي أن أمة النبي ﷺ هم الذين اتَّبعوا حضرة النبي، وصاروا على نهجه، فكل من تبعه فهو من أمته، وكل من أعرض عن متابعته فهو خارج عن أمته، لأن أمته فرض الله عليهم أن يتبعوه ﷺ، وكلمة (فاتبعوني) في زمانه في صورته الظاهرة المحمدية، وبعد زمانه في صورة الورثة الذين ورثوا أحواله الكلية صلوات ربي وتسليماته عليه لما ورد في الأثر: (من أراد أن يراني فلينظر إلى ورثتي، ومن رأى ورثتي فقد رآني) لأنهم يمثلون حُسن المتابعة لرسول الله ﷺ.

أيضاً في هذه الآية دليلٌ عظيم على أن النبي ﷺ لا يصل أي نبيٍّ أو رسول إلى منزلته ودرجته مهما فعل، لأن الله أمرهم جميعاً أن يتبعوه، ولا يتم بحال من الأحوال أن يكون التابع أفضل من المتبوع، فهو أفضل الخلق على الإطلاق، والجميع ينبغي أن يقتدي به ويتَّبعه.

وتنبيهٌ آخر في هذه الآية وفي هذه الكلمة العظيمة أنه ﷺ معصومٌ ومنزهٌ عن الخطأ، لأن الله إذا أمرنا أن نتَّبعه حفظه وعصمه، فلا ينبغي أن يأمرنا بمتابعته في أمر

يخالف فيه شرع ربه ﷻ، فهو معصومٌ في كل أحواله، ويتَّبع شرع ربه في كل آناته.

ولذلك ينبغي علينا إذا أرادنا أن يُحبنا الله أن نتَّبع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وآدابه التي كان يتأدب بها في الخروج من المنزل، وفي دخول المنزل، وفي دخول الخلاء، والجلوس في الخلاء، وفي الخروج من الخلاء، وغيرها من الآداب المبثوثة في كتب القوم الكرام، والتي قال فيها الأئمة الأعلام عن خير كتاب في هذه الكتب ويُسمى (الأذكار) للإمام النووي: بع الدار واشتري الأذكار.

فيتابعونه في كل ما قلناه، إلا الأشياء التي خصَّه بها مولاه: ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب) فهذه خصوصية لحضرة النبي، فلا ينبغي لنا أن نتبعه فيها، ولكن نتبعه في الأمور العامة.

قال أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه: (أحببتُ الله حتى أبغضتُ نفسي، وأبغضتُ الدنيا حتى أحببتُ طاعة الله، وتركتُ ما دون الله حتى وصلتُ إلى الله، واخترتُ الخالق فاشتغل بخدمتي كل مخلوق).

ونختم حديثنا بما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه، ورواه عنه الحكيم الترمذي في كتابه (نوادر الأصول) قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله): على البر والتقوى والتواضع وذل النفس، نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وأن يرزقنا حُسن المتابعة لحضرته.

الواجب الرابع: وجوب محبته ﷺ[157]

محبة النبي ﷺ واجبة علينا أجمعين وليست مستحبة، بل يجب فرضاً أن نُحبه ﷺ أكثر من آبائنا وأمهاتنا وأولادنا وزوجاتنا وإخواننا وأموالنا، بل وأنفسنا أجمعين،... سر قوله ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ، وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[158]، وفي رواية أخرى:

---

١٥٧ الجميزة – السنطة - الغربية ٢ من رجب ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٢/٣م

١٥٨ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ }[١٥٩]**، وفي رواية أخرى:**
{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[١٦٠]

لا بد أن تكون محبة الرسول ﷺ أكثر من كل هؤلاء، وقال ﷺ:

{ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ }[١٦١]

أول واحدة من الثلاث أن يكون الله ورسوله أحبَ إليه مما سواهما!

وعندما قال سيدنا عمر رضي الله عنه لسيدنا رسول الله ﷺ:

{ وَاللَّهِ لَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ }[١٦٢]

كانوا إذا قالوا بألسنتهم يعبرون عما في قلوبهم، لأن الله طهَّر قلوبهم من النفاق والرياء، وقد اتفق الصالحون أجمعون منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين أنه ﷺ بابُ القرب لحضرة الله:

وأنـــــت بـــــاب الله أيُّ امـــــرئٍ أتـــاه مـــن غـــيرك لـــم يـــدخلِ

وقال في ذلك الإمام ابن القيم رحمة الله عليه: ((إن في القلب فجوة لا تمتلئ إلا بحب الله ورسوله، فإذا لم يُوجد حب الله ورسوله، تظل هذه الفجوة تمتلئ بحب الدنيا))

تمتلئ بحب الشهوات وحب الحظوظ وحب الأهواء وحب الرياسة، والذي يمنع كل هذه المنازعات أن يمتلئ القلب بحب رسول الله ﷺ.

---

١٥٩ مسند أحمد والبخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه
١٦٠ سنن النسائي عن أنس رضي الله عنه
١٦١ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
١٦٢ صحيح البخاري ومسند أحمد

مراتب محبته

لذلك جعلوا لمحبته مراتب، فهناك مرتبة الواصلين، وهناك مرتبة السالكين، وهناك المدَّعين الحب لسيد الأولين والآخرين ﷺ.

أما الواصلين فهم الذين انكشف لعقولهم قبسٌ من معاني كمالاته، وأشرق على قلوبهم بعض أنوار جمالاته، فعشقوه ﷺ وأحبوه لما رأوه من جمالات عليَّة أشرق بها عليه رب البرية ﷻ، فعشقوا هذا الجمال، وعشقوا هذا الكمال.

وهذا الذي يجعلهم يحاولون الاقتداء به في السير على هذا المنوال، ليحظوا بقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٣١آل عمران).

وأما السالكين، فهم الذين تحققوا أن النجاة من أهوال الدنيا، والنجاة من أهوال يوم القيامة ويوم الدين، ودخول الجنة مع الفائزين لا يكون إلا بسيد الأولين والآخرين ﷺ، وذلك الذي جعلهم يمشون على صراطه المستقيم، وعلى منهجه القويم، وعلى ما جاء به في الذكر الحكيم وهو القرآن الكريم، حتى يكونوا من أهل السعادة في الدنيا، ومن أهل الفوز والفلاح والنجاة يوم الدين.

ولعلكم تلحظون الفارق بين المرتبتين، هؤلاء يريدون النجاة والفوز بالجنة، وهؤلاء يريدون جمال الله وكمال الله والنظر إلى وجه الله، وهناك فارقٌ بين الاثنين كبير.

أما الأدعياء، فهم الذين يدَّعون حب الحبيب المصطفى ﷺ، ولا يتمسكون بسنته، ولا يمشون على هديه وخُلقه وسيرته، وقد قال قائلهم:

تعصـــى الإلـــه وأنـــت تـــزعُم حبـــه ... هـــذا لعمـــري في القيـــاس شـــنيعُ
لـــو كـــان حبـــك صـــادقاً لأطعتـــه ... إن المحـــب لمـــن يحـــب مطيـــعُ

ومن هؤلاء من يزعمون أنهم يحبون آل بيت النبي لحبهم للنبي ويذهبون لزيارتهم، ولكن لا يتمسكون بهديه وسنته، ولا يمشون على شريعته، فهذا حبٌ كاذب لا يقبله الله، ولا يرضى عنه حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

حب الصحابة للنبي ﷺ

علينا في هذا الحب أن نقتدي بخيار الأحبة أصحاب حضرة النبي ﷺ، والنماذج فيهم كثيرة، ولكن نكتفي بنُزُر يسيرة تنير الطريق لنا أجمعين.

فهذا خادمه ثوبانُ رضي الله عنه، رآه رسول الله ﷺ يبدوا عليه المرض، ويظهر عليه اصفرار اللون ونحافة الجسم، فسأله:

{ يَا ثَوبَان،مَا غيَّر لَونك؟ فَقَال: يَا رسُولَ الله مَا بِي مِن ضُرٍ ولا وَجَع، غَيْر أَنِّي إِذَا لَم أَرَك اشْتَقتُ إِلَيْكَ واسْتوحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَة حَتَّى أَلقَاك، ثمَّ ذكرتُ الآخِرة وأَخافُ أَن لا أَرَاك هُنَاك، لأَنِّي أَعرفُ أَنَّك تُرفَع مَعَ النَبِيِّينَ، وأَنِّي إِن دَخلتُ الجنَّة كُنْت فِي مَنزِلة أَدْنَى مِن مَنزِلَتَكَ، وإِن لَم أدخُل الجَّنَّة فَذَاكَ أحْرَى أَن لا أَرَاكَ أَبَداً، فَنَزَل قَول الله تَعَالى: (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً) }[١٦٣]

والمعية في هذه الآية لا تعني الملاصقة والمجالسة، لكن المعية كلمةٌ جامعة، يعني معهم في أُنسهم، معهم في أنوارهم، معهم في نعيمهم، معهم في كل الفضل الذي خصَّه به ربهم، وليس شرطاً في ذلك ان يكون جالساً بجوارهم، لأن المعية واسعة:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩الفتح).

لم يُغلق الله المعية على من كان معه في مكة والمدينة، بل فتح الباب لمن كان قبلنا ولمن بعدنا إلى يوم القيامة، مع أننا لم نجالسه ﷺ بأجسامنا، ولم نساكنه ببيوتنا، ولم نحظى بحديثه بآذاننا، ولكننا في هذه المعية الواسعة النورانية التي لا حدود لها، ولا نهاية لفضلها.

وهذا سيدنا عبد الله بن زيد، وكان من كُمَّل الصالحين، وكان عندما ينام تعرُج روحه إلى عالم الملكوت الأعلى، فترى في المنام من عجائب عالم الملكوت الأعلى ما يحتار في وصفه اللبيب الفصيح، وهو الذي رأى الملائكة الكرام عندما أراد المسلمون أن

١٦٣ ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول في طبعة دار الكتب العلمية

يعملوا شيئاً يؤذنهم بميعاد الصلاة، وقال لبعضهم: كيف ندعوا الناس إلى الصلاة؟ هل بالناقوس؟ يعني الجرس، قالوا: لا، هذا ناقوس النصارى، قال: بالبوق؟ قالوا: لا، هذا داعي اليهود، ثم أسمعوه الأذان في المنام، وكان لم ينزل به أمين الوحي جبريل بعد، فأصبح وقصَّ ما رآه على حضرة النبي ﷺ، فصدَّق رؤياه، ولكنه ﷺ لعدالته وكمال هيئته وعدم حيائه إلا من الحق قال له:

{ إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ، فَلَمَّا أَذَّنَ بِلَالٌ، سَمِعَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَجُرُّ إِزَارَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَذَاكَ أَثْبَتُ }[١٦٤]

وروي أن عدداً من الصحابة يزيد عن الثماني عشرة رجلاً رأوا هذه الرؤيا، فانظر كيف كانوا ينامون في الملكوت الأعلى بأرواحهم، رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين.

هذا الرجل حُكي عنه مثل ما حُكي عن ثوبان، كما أورد القرطبي في تفسيره: قال عبد الله بن زيد: يا رسول الله، إذا مت ومتنا كنت في عليين لا نراك ولا نجتمع بك؛ وذكر حزنه على ذلك، فنزلت هذه الآية.

وذكر مكي عن عبد الله زيد أنه لما مات النبي ﷺ قال: اللهم أعمني حتى لا أرى شيئا بعده؛ فعمي مكانه، وحكاه القشيري أنه قال: اللهم أعمني فلا أرى شيئا بعد حبيبي حتى ألقى حبيبي؛ فعمي مكانه.

طلب من الله أن لا يرى أحداً بعد رسول الله، لأنه لن يرى مثل هذا الجمال ومثل هذا الكمال في كل المواصفات والخصال والخلال التي يقول فيها الواحد المتعال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤القلم).

رأى ذلك الكافرون فتعجبوا من حب أصحاب النبي له، عندما ذهب النبي ﷺ ليؤدي العمرة ووقف بالحديبية بعد أن منعته قريش من دخول مكة، وقد مشى عُروة بن مسعود بينهما ليُجري الصُلح، انظر إلى تقريره الذي قاله لزعماء مكة، قال كما ورد:

---

١٦٤ سنن الدارمي وابن خزيمة عن عبد الله بن زيد ﷺ

{ أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ}[١٦٥]

وهذا الذي جعلهم يتخاذلون ويرضون بالصُلح لأنهم علموا أن أصحاب النبي ﷺ لا مثيل لهم في ذلك، بل في أشد ساعات الضنك، كان زيد بن الدثنة رضي الله عنه عندما جاء به المشركون أسيراً وأخذوه ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب:

((أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الآنَ بِمَكَانِكَ، يُضْرَبُ عُنُقُهُ، وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا)).

ولم يكن ذلك في الرجال فقط، بل النساء، فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ:

{كَانَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي دِينَارٍ قَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوْا لَهَا قَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا: خَيْرًا يَا أَمَّ فُلَانٍ، فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَشَارُوا لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ}[١٦٦]

كل هذه المصائب عندها هينة، لماذا؟

لأنها كل ما يتعلق بقلبها أعظم وأكبر هو حبها للنبي كما أمر الله وكما وضح وبيَّن سيدنا رسول الله ﷺ.

---

١٦٥ البخاري ومسلم

١٦٦ سير أعلام النبلاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

علامات الحب لرسول الله ﷺ

ما العلامات التي تبين أن هذا الحب الذي يُحبه المرء لرسول الله حبٌ صادق؟

العلامة الأولى: حسن المتابعة

وهي من كتاب الله في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٣١آل عمران).

العلامة الثانية: التسليم لشرع الله

أيضاً هي في كتاب الله لقول الله جل في عُلاه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥النساء).

العلامة الثالثة: معرفة شمائل النبي وأوصافه

لا بد أن يكون المرء من داخله مجذوباً لمعرفة شمائل النبي ﷺ وأوصافه وسنته وشريعته، ليقتدي به كما قال الله:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)

يجد عنده ميلٌ شديد إلى العلم والعلماء ليتعلم منهم هذه الأشياء التي تدل على الحب النقي الصفي لإمام الرسل والأنبياء ﷺ.

العلامة الرابعة: تعظيمه وتوقيره

لا يستطيع أن ينطق اسم النبي بغير تسييده، بل يهتز كلما ذكر اسم النبي أمامه، ويشعر بالحنين إلى رؤية وجهه، ويشعر بالشوق إلى زيارته، ويشعر بشوق عظيم لسماع سيرته، وهذا يدل على كمال محبته ﷺ.

العلامة الخامسة: الفرح برسول الله

أن يفرح برسول الله أكثر من فرحه بأي شيء سواه في هذه الدنيا، حتى ولو كان عمله، حتى ولو كان يعمل الأعمال الصالحة الآتية في القرآن، فقد قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[١٦٧]

ورحمته هو رسول الله ﷺ، والله أمرنا بالفرح به فقال في القرآن: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس) خير من الأعمال الصالحات والصدقات وغيرها، وفي القراءة الأخرى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتفرحوا هو خيرٌ مما تجمعون).

ثمار محبته ﷺ

إذا وُجدت هذه المحبة لرسول الله ﷺ، كان هناك ثمارٌ يجنيها الأحبة في الدنيا والآخرة:

١- يحشر معه يوم القيامة

أول هذه الثمار أن يُحشر معه يوم القيامة، فقد قال له رجلٌ:

{ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ }[١٦٨]

وهذا تخصيص، وفي الرواية الأخرى:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ }[١٦٩]

---

١٦٧ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٦٨ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

١٦٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فيكون معه هنا وهناك، يقول سيدنا أنس: ((فَما فَرِحْنَا بشيءٍ، فَرَحَنَا بقَوْلِ النبيِّ ﷺ: أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ قَالَ أنَسٌ: فأنَا أُحِبُّ النبيَّ ﷺ وأَبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ معهُمْ بحُبِّي إيَّاهُمْ، وإنْ لَمْ أعْمَلْ بمِثْلِ أعْمَالِهِمْ))[١٧٠]

بشره ﷺ بأنه سيكون مع من أحب يوم القيامة.

٢- يكون معه في الجنة: يحشر معه في الجنة، لقوله ﷺ لأنس بن مالك رضي الله عنه:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ }[١٧١]

فيكون معه في القيامة، ومعه في الجنة، ومعه في الدنيا.

٣- الحظوة برؤيته: الثمرة العُظمى أن يحظى برؤية رسول الله ﷺ ولو مناماً.

لقوله ﷺ:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }[١٧٢]

وفي رواية: { مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ }[١٧٣]

أي رأى جمال الحق الذي جمَّل به سيد الخلق ﷺ، وفي الأثر: ((ومن رآني حرَّم الله جسده على النار))، وهي المذكورة في قول الله:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ (٤٧الأحزاب)

فإن المؤمن عند تمام إيمانه، واكتمال إيمانه يأتيه النبي ﷺ مناماً ليبشره بتمام إيمانه، وقد يزيد في الفضل والمقام فيرى النبي ﷺ يقظة وليس مناماً !! نسأل الله ﷻ أن يحققنا بذلك، وأن يجعلنا أهلاً لذلك، وأن يمتعنا برسول الله ﷺ يقظة ومناماً، حلاً وترحالاً، دنيا وآخرة.

---

١٧٠ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

١٧١ جامع الترمذي عن أنس رضي الله عنه

١٧٢ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٧٣ البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه

الواجب الخامس: الصلاة على النبي ﷺ[١٧٤]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب).

آيات الصلاة على حضرة النبي ﷺ تحدَّث فيها مَن قبلنا، وأفاضوا في شرحها وتفسيرها، والإشارة إلى الإشارات العلية التي جعلها الله فيها لحضرته، وسيتحدث فيها المعاصرين ومَن بعدنا، ولن يستطيع أحدٌ من الأولين ولا المعاصرين ولا الآخرين أن يشرح هذه الآيات كما ساقها رب العالمين ﷻ.

لكن كل واحد يشرح على قدره بما يشرح الله صدره، وكل مجلس له رزقه وله خيره وله بركته من الله، ربما يشرح الشارح الآية بأكثر من وجه، في كل مجلس وجه، فما هذا؟ أرزاق الحاضرين، فهي أرزاقكم تتنزَّل إليكم من ربكم ﷻ.

صلاة الله على المؤمنين

في البداية هناك آية غير هذه الآيات تتحدث عن صلاة الله وملائكته على المؤمنين: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾ (٤٣الأحزاب) لم يقُل إن الله صلَّى، بل قال: (يُصلي) بالمضارع المستمر، يعني يُصلي من قبل القبل إلى نهاية النهايات، صلاة مستمرة، وأشرك ملائكته معه ﷻ لتشريفهم.

فكما صلَّى الله ويُصلي على حبيبه ومصطفاه يُصلي علينا أيضاً، وذلك تشريفٌ لنا من الله، وشرَّف الله ملائكته بأن أشركهم معه في الخطاب، وهذا لا يجوز منا لله ﷻ، لكن الله يفعل ما يشاء، يعني لا يجوز أن تُشرك أحداً مع حضرة الله

ولذلك رُوي عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: { أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ مَنْ

---

١٧٤ المقطم – مجمع الفائزين ٢٣ من جمادى الآخر ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/١٢/٢٧م

يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ }[١٧٥]

لأن هذا ليس من شأنه، لكن الله أشرك معه ملائكته لتشريفهم ولتكريمهم ولتعظيمهم، قل ما شئت في ذلك لأنه ﷻ لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

فكما قال الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (٥٦الأحزاب) شرَّفنا وعظَّمنا وقال في شأننا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٤٣الأحزاب).

كلام أهل الإشارة

إلى هنا الكلام ظاهره يوهم بأن الصلاة على المؤمنين كالصلاة على النبي الأمين، لكن أهل الإشارة قالوا: العبارة تبين الفارق بين المقامين، فإن الذي يصلي على المؤمنين هو الله بلفظ الهُوية (هو)، وهذا لفظٌ من ألفاظ الحضرة الإلهية، فهناك حضرة من الحضرات العلية اسمها حضرة الهُوية.

لكن الذي يُصلي على النبي هو (الله) بكل جمالاته وكمالاته وأسمائه وصفاته:

يُصلي باسم الجلالة (الله) وهذا الاسم الأعظم الذي فيه كل الجمالات والكمالات لله ﷻ.

وهو اسمٌ مخصوص، لنعرف أنه يوجد فارق بين المقامين، فارقٌ بين مقام من يُصلي عليه الله باسم ذاته القدسية، وبين من يُصلي الله ﷻ عليه بكنز الهُوية، وكنز الهُوية لو أُذن لنا أن نتحدث عن غيوبه الخفية لطارت العقول، لأن فيه معاني غريبة وعجيبة.

يعني مثلاً: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ ﴾ (٣الحديد) فإذا كان الله ﷻ لا أولية له، فمَن الأول؟!!، والله ﷻ لا آخرية له، فمَن الآخر؟!! وظهوره عين بطونه، وبطونه عين ظهوره، فالوصف هنا لا يعلمه يقيناً إلا أهل التمكين، نسأل الله أن يكرمنا وأن نكون منهم أجمعين.

---

١٧٥ صحيح مسلم وأبي داود عن عدي بن حاتم ﷺ

صلاة الله والملائكة على النبي

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ (٥٦الأحزاب) ما دام الله ﷻ يُصلي على حضرة النبي، فهل يحتاج بعد ذلك إلى صلاة الملائكة أو المؤمنين أو غيرهم؟ أبداً.

إذاً صلاة الملائكة لمنفعتهم، فلا تعود المنفعة على حضرته، وإنما تعود عليهم، وصلاتنا على النبي من باب أولى لنا نحن، وفوائد الصلاة على حضرة النبي التي تعود علينا لو جلسنا في مجلسنا هذا إلى مطلع الصبح لا نستطيع حصرها ولا عدها.

حاول بعض العلماء الأجلاء وبعض الصالحين ذكر بعضها، لكن لا منتهى لحصرها ولا لعدها، حتى نعلم أن هذا فضلٌ عظيم من المولى الكريم ﷻ لنا، ببركة الرؤوف الرحيم ﷺ.

رأي الإمام القرطبي

ولكن لا بد أن نذكر بعض أقوالهم إشادة بهم لأنهم مجتهدين، ولهم منزلةٌ كريمةٌ عند رب العالمين، أشار بعض السادة المفسرين الموفقين كالإمام القرطبي رضي الله عنه فقال: إن الله ذكر الأدب مع حبيبه في بيته قبل هذه الآيات، والتي فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ (٥٣الأحزاب) ففيها ذكر الآداب مع حضرة النبي، وذكر اعلاء شأن الربوبية وتكريم الحضرة العلية للحبيب ﷺ لقوله: (إن الله) وذكر أدب الملائكة في الملأ الأعلى مع حضرة النبي فذكر الملائكة، ثم ذكَّرنا بالأدب الواجب مع حضرة النبي في الملأ الأدنى في الأرض فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب)

فالأمر كله أدب راق وذوق عال من الله ﷻ لخاصة المؤمنين.

كيف يصلي الله على النبي؟ وكيف تصلي الملائكة عليه؟ كثير من السادة المفسرين والمؤولين شغلوا أنفسهم بهذا الأمر، مع أن هذا أمر غيبي لا يعلمه الإنسان إلا إذا علَّمه العليُّ، سيجتهد بفكره فلن يصل إلى شيء، سيجتهد بذكائه فلن يصل إلى شيء في هذه الأمور، لأنها أمورٌ غيبية:

هـو العلـم لا يُجـلى بغـير الحقـائق وعلمٌ بكشفٍ فيه قربٌ لخالقي

هو من علوم المكاشفات، فكيف تأتي به في علوم الرسوم والجسوم؟

ومـا العلـم إلا مـا يعلمـه العـلي وآيُ يعلمكـم دليـل لصـادق

وآيُ يعلمكم يقصد بها آية: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (البقرة).

فالذي يُريد معرفة كنه هذه الصلاة يحتاج أن يُرقق أُفق قلبه ويصغى بفؤاده إلى إلهامات ربه ﷻ حتى يعرف من علوم الإلهام ما ينبغي أن يعرفه في حق الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ولذلك – كما ذكرت – كثيرٌ من المفسرين القدامى والمحدثين، قالوا: إن صلاة الله على رسول الله هي رحمته، وقالوا إن صلاة الملائكة هي الدعاء له، فهل هو الذي يدعو لهم، أم هم الذين يدعون له؟! ورحمته قد أخذها كلها:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء).

حتى إن بعض السادة الأكابر من العارفين عندما يحكي عن حادثة شق الصدر، وقال: أنهم أخذوا من قلبه قطعة وقالوا: هذا حظُ الشيطان منك، فقالوا: يعني حظ الشيطان من رحمتك، لأن الشيطان يطمع في الرحمة التي جعلها الله فيك، لأنك لو رحمته وشفعت له سيرحمه الله:

لـو نظـرة منـه لإبلـيس انمحـت عنـه الشـقاوة بالعطـا المـدرار

ولذلك كان الشيطان في ليلة الإسراء واقف في طريق النبي، ويقول: انظرنا يا محمد، فيقول: من هذا يا أخي يا جبريل؟ فيقول: هذا إبليس يريد نظرة منك لتمحوا شقاوته، فهو ﷺ الرحمة العُظمى لجميع العوالم الظاهرة والباطنة.

وقالوا عن صلاة المؤمنين أنها استغفار للنبي، لكن من الذي يستغفر للآخر؟! قال الله له: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ (محمد) هل قال لنا نحن نستغفر له؟ لا، وهل فعل شيئاً ليحتاج للمغفرة؟ لا، هو أخذ من البداية:

﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (الفتح).

حقيقة صلاة الله وصلاة الملائكة

لكن أنا أقول بما فتح الله ﷻ به علينا: الصلاة سُميت صلاة لُغوياً لأنها صلة بين العبد ومولاه، يصل العبد مولاه ببعض التسبيحات والتحميدات والتلاوات التي سنَّها لنا رسول الله، ويصله الله ﷻ بعطاياه على قدر صفائه ونقائه وهو واقفٌ بين يدي مولاه.

فإذا كانت الصلاة هي الصلة، فإن الله وملائكته يصلون على النبي، كيف يُصلي الله على النبي؟ يَصِله بصِلات لا تنتهي أبد الآبدين، في كل نَفَس له صِلات من حضرة الله، وله عطايا من خبايا كنوز فضل الله، وله اتحافات تأتيه جلية واضحة من مولاه.

وهو ﷺ – لأنه كريمٌ– طلب الله من الملائكة أن يحضروا هذه الصلاة، ليأخذوا نصيبهم من رسول الله؛ من العطاءات التي خصَّه بها مولاه ﷻ، لأنهم كلهم طامعين، كما ورد ببعض الأثر أن سيدنا جبريل عندما وقف عند سدرة المنتهى قال له ﷺ: ألك حاجة عند الله؟ قال: بلى، أن يؤمنني، فمنذ خلقني الله وأنا أرتعد من رهبته وأخاف من جلاله وقهره وعظمته، فنزل قول الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (١٩٣الشعراء) والروح هو جبريل، وأخذ الأمان ببركة رسول الله ﷺ.

فالصلاة الإلهية والعطايا الربانية هي التي يتولى الله ﷻ على الدوام إنزالها في كل نَفَس على خير البرية.

والله ينزل على قلوب الصالحين وأفئدة المتمكنين في كل نَفَس من الأنوار والأسرار والأفكار الإلهية ما لا يُعد ولا يُحد، يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

والعـــارف الفـــرد محبـــوبٌ لخالقـــه ... فـــات المقامـــات تحقيقـــاً وتمكينـــاً
في كـــل نَفَـــسٍ لـــه نـــورٌ يواجهـــه ... مـن حضـرة الحـق ترويحـاً وتيقينـاً

وإذا كان ينزل في كل نَفَس للعارفين، فكيف بسيدنا رسول الله ﷺ؟! وما قدر عطاياه؟! ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (١الكوثر) والكوثر هو الخير الكثير الذي ليس له حدٌّ ولا عدٌّ، وهذا في البداية، وبعد ذلك:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (٥الضحى).

يعني أعطاك قبلاً، ويعطيك بَعداً حتى ترضى، ولذلك قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ((ولا يرضى ﷺ وواحدٌ من أمته في النار)) ... وهذه هي الشفاعة، ... قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }[١٧٦]

أهل الكبائر من أمته يشفع فيهم حتى يُخفف عنهم الأحكام، ويأخذ فيهم ولهم عفواً من الملك العلام، ويُخرجهم من النار ويُدخلهم الجنة بسلام:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى).

صلاة المؤمنين على النبي

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب) وهل يوجد أحدٌ في المسلمين أجمعين يعرف كيف يُصلي على حضرة النبي؟! ولذلك أصحابه المبجلين رضوان الله عليهم أجمعين – كما جاء في الروايات الصحيحة – ذهبوا إليه وقالوا:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }[١٧٧]

أنتم لن تعرفوا كيف تصلوا، ولكن اعملوا توكيلاً لله وهو يُصلي بالنيابة عنكم، فقولوا: (اللهم صلِّ) هل نحن الذين نصلي أم هو الذي يُصلي؟ هو، يا رب نحن لا نعرف كيف نُصلي عليه، فصلِّ أنت عليه بالنيابة عنا.

وانظر إلى وفاء حضرة النبي، أدخل معه آله السابقين وآله اللاحقين: (كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم) هم آله الأولين، لأن نسبه يصل إلى إبراهيم،

---

١٧٦ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

١٧٧ البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة ﷺ

وإسماعيل بن إبراهيم، وذكر الآل الذين سيأتوا من بعده، إلى يوم القيامة، لماذا؟ لأنه كان ﷺ أرأف الناس بأهله، وأرحم الناس بذوي قرباه، وكلنا معشر المؤمنين من ذوي قرباه، لأنه عندما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ

قَالَ: { كُلُّ تَقِيٍّ }[١٧٨]

وفي الأثر: ((أنا جَدُّ كل تقي)) كل تقي يكون له أبٌ شيخ، لكن جده لا بد أن يكون رسول الله ﷺ.

أو إن شئت: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥فصلت) كل تقي يكون له حظ عظيم عند الله، وأكبر حظ للتقي هو سيدنا رسول الله ﷺ، حظه الأكبر والأعظم أن يتمتع بمشاهدة رسول الله، وأن يحظى برؤياه، وأن يكون بينه وبينه مواجهاتٌ ومراسلاتٌ وأحاديث كما كان الصالحين من عباد الله.

ونسمع بعض المتشددين يقول: لا تصح إلا الصلاة الواردة عن الرسول في الحديث الذي ذكرناه، مع أنها واردة بروايات كثيرة، لكن عندما ننظر إلى أصحاب حضرة النبي نجد أن سيدنا علي كان له صيغة يُصلي بها على رسول الله، وسيدنا عبد الله بن مسعود كان له صيغة يُصلي بها على رسول الله، ويقول لهم: ((إذا صليتم على رسول الله فأحسنوا الصلاة)) يعني حسِّنوها وجوِّدوها، حتى تليق بحضرته ﷺ.

فليس شرطاً أن نلتزم بالصيغة الإبراهيمية إلا في الصلاة، ولكن خارج الصلاة صلِّ كما ألهمك الله بما شئت وكيف شئت.

مراتب صلوات العارفين

ولذلك العارفون تنقسم صلواتهم تقريباً إلى ثلاثة أقسام:

صلوات عددية.

وصلوات إلهاميـــــة.

وصلاة شهوديـــــــة.

---

١٧٨ سنن البيهقي والطبراني عن انس ﷺ

الصلوات العددية

الصلاة العددية كالمذكورة في (دلائل الخيرات) للشيخ الجازولي ﵁ وأرضاه، والشيخ الجازولي كان رجلاً من أهل فاس في بلاد المغرب، وذات يوم كان ماشياً عطشان فذهب إلى بئر ليشرب منه فوجد المياه عميقة ولا يستطيع الوصول إليها ليشرب منها، وإذا بفتاة تنظر من شرفة من منزل، وإذا بالماء يفور ويصعد حتى يصل إليها فتشرب وهي في مكانها، فتعجب، فسألها: كيف وصلت إلى هذه الحالة؟ قالت: بالصلاة على النبي.

فاجتهد الرجل في الصلاة على حضرة النبي وألَّف (دلائل الخيرات) وهي اجتهاد ولكن مبنية على العدد، فيقول مثلا: اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد قطرات البحار، وعدد ذرات الرمال، وعدد أوراق الأشجار، وعدد كذا، وعدد كذا، فكلها مبنية على العدد لأنها فكرية، ولذلك كان الرجل حكيماً فسماها (دلائل الخيرات) لأنها تدل فقط.

وفتح الله عليه بها حتى وصل إلى التمتع برؤية الحبيب المصطفى كرات ومرات، ولذلك يُذكر أنه بعد مماته بحوالي كذا وثمانين عاماً نُقل من قبره إلى ضريحه فوجدوه طرياً كأنه مات الآن ببركة الصلاة على رسول الله ﷺ.

واشتهرت الدلائل في كل الأسقاع الإسلامية، واشتهار الكتاب يكون دليلاً على صدق صاحبه وصفاء صاحبه مع مولاه.

الصلوات الإلهامية

هناك صلوات إلهامية أو مددية، إن شئت هذه وإن شئت هذه، فهي مدد وهي إلهام، فإن الصالحين كل واحد منهم له صيغة أو عدة صيغ خاصة به، كيف تأتيه؟ إلهام من رسول الله ﷺ، ولذلك نسميها صلواتٌ إلهامية، غير الصلوات العددية.

رجل من أهل بيروت في القرن العشرين اسمه الشيخ يوسف النبهاني ﵁ وأرضاه، وكان قاضياً شرعياً، وكان شديد التعلق بالحضرة المحمدية، فجمع صلوات العارفين منذ

الصحابة الأولين إلى عصره في كتاب كبير سماه (سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين) وهو كتاب كبير حوالي سبعمائة صفحة وهو موجود لمن يريد أن يقرأ هذه الصلوات ولو مرة، لتعرف تجارة العارفين وبضاعة العارفين التي ألهمهم بها سيد الأولين والآخرين ﷺ، صيغة واحدة منها لسيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه: (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار) احتار الشُرَّاح في شرحها، ولها عددٌ من الشروح لا يُعد، فما بالك بهؤلاء الأولين رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

الصلوات الشهودية

وهناك صلاة شهودية، فبعض الصالحين يكونون في حالة تجلي جمالي لسيد الأولين والآخرين، وهم لا يشاهدون جمالاته الجسمانية التي يُغنِّي بها المداحين، بل يشاهدون جمالاته النورانية، وجمالاته الروحانية، وجمالاته الربانية التي انفرد بها عن الأولين والآخرين، ففي هذه اللحظات يُعبر بصلوات عما يشاهده من الحضرة المحمدية، وهذه اسمها صلواتٌ عينية، أو صلواتٌ شهودية، وسمِّها كما شئت، الإمام أبو العزائم رضي الله عنه يحكي عن واقعة من واقعاته العينية فيقول:

حبيبي قد شرح صدري ... وآنسني إلى الفجر
ورقاني إلى أعلى ... مقام القرب والسير

واسترسل إلى أن قال:

فقم للدين يا ماضي ... فإني قد صدر أمري
تملى بي وشاهدني ... ومل عندي عن الغير
وأنبئ من يُرد قربي ... بحُسني حيث لا يدري

فهذه صلوات شهودية، ومنها (الفتوحات الربانية) للإمام أبو العزائم رضي الله عنه[١٧٩] وهي حوالي خمسمائة فتح أو يزيد، وكلها فتوحات في الصلوات على حضرة النبي ﷺ، وما طُبع منها حوالي سبعة وسبعون فتحاً، والباقي موجود في عالم البرزخ لمن وصل

١٧٩ أكرمنا الله بتحيق شرح الفتوحات الربانية الأربعة الأول للعارف بالله الشيخ محمد على سلامة وطبعت طبعة فاخرة ملونة.

إلى هذا المقام يراه بنور البصيرة، وبتوفيق الملك العلام ﷻ.

الصلوات على حضرة النبي بابها مفتوح، صلاة بعدد، وصلاة بمدد، وصلاة بفتح ومشاهدة، هذه موجودة وهذه موجودة وهذه موجودة.

حكم الصلاة على النبي

متى نُصلي على حضرة النبي؟

بالنسبة لأهل التشريع جميعاً يأخذوا تشريعهم من الأئمة العظماء الأربعة، وهؤلاء قالوا: ينبغي أن نُصلي على حضرة النبي في كل فريضة نؤديها لله ﷻ.

الإمام الشافعي قال: هي فريضة لو تركها الإنسان فلا تصح صلاته، لكن الأئمة الآخرين كأبو حنيفة وغيره قالوا: الصلاة على حضرة النبي ﷺ في الصلاة مستحبة.

لكن متى تكون الصلاة على حضرة النبي ﷺ فريضة؟

أيضاً اختلفوا – واختلافهم رحمة – الإمام مالك قال: هي فرض على كل مسلم مرة واحدة في العمر، يعني لا بد من تنفيذ هذا الأمر ولو مرة في العمر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب).

الإمام الشافعي قال: فريضة في كل صلاة.

وإجماع الأئمة قالوا: أن الصلاة على النبي فرضٌ كلما ذُكر اسمه ﷺ، لأنه قال:

{ الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ }[١٨٠]

وهذا الذي نأخذ به، فلا يجوز أن يُذكر اسم حضرة النبي على لساني أو لسان أحد في مجلس، ولا أُصلي على حضرته!!

بل إن المجلس الذي لا يُصلَّى فيه على حضرة النبي من بدايته إلى نهايته يقوم أهله على أنتن من جيفة حمار، فلا بد أن نُصلِّ عليه ﷺ كلما ذُكر اسمه.

---

١٨٠ مسند أحمد والطبراني

مواضع الصلاة على النبي

وأضاف السادة العلماء الأجلاء أبواباً كثيرة لتدريب المؤمنين والمسلمين والصادقين على الصلاة على النبي، وأخذوها من سنته:

فإذا دخلت المسجد، فلا بد أن أبدأ بالصلاة على النبي وبعدها أقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجت من المسجد أبدأ بالصلاة على النبي، وبعدها أقول: اللهم هب لي من فضلك، فإذا دخلت منزلي، أو دخلت حجرتي، أو أستعد للنوم، أو أستعد للطعام، أو أستعد للشراب، أو أستعد لأي عمل من الأعمال، فلا بد أن أُصلي على رسول الله ﷺ حتى يكون على بالي على الدوام.

وأُذكِّر نفسي لأنه لا يجب أن يغيب النبي ﷺ عن بالي طرفة عين، كلما عملت أي عمل لا بد أن أُصلي على حضرة النبي ﷺ قبل العمل وبعد العمل.

أريد أن أدعو الله، ولكي يكون الدعاء مقبولاً فيكون قبل الدعاء، الصلاة على حضرة النبي، وفي آخر الدعاء الصلاة على حضرة النبي، وهذا بالنسبة للناس أجمعين.

وبالنسبة لأهل الخصوصية فقد مثَّلهم سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه، عندما قال لرسول الله ﷺ:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لكَ مِن صَلاتِي؟ قال: مَا شِئْتَ، قُلْتُ الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شئْتَ، فَإِنْ زِدتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ، قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قالَ: مَا شِئْتَ، فإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لكَ، قُلْتُ: فَالثلثَينِ؟ قالَ: مَا شِئْتَ، فإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لكَ صَلاتِي كُلَّها؟ قَالَ: إذاً تُكْفي هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لكَ ذَنْبُكَ }[١٨١]

يعني ضمنت النجاح في الدنيا، والفوز في الآخرة، لأنك جعلت وقتك كله في الصلاة على حضرة النبي.

---

١٨١ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه

هيئة المُصلي على النبي

بعض المتشدقين يقول: هل أُصلي على حضرة النبي أم أذكر الله؟ الصلاة على حضرة النبي هي نفسها ذكرٌ لله، لأننا في أولها نقول: (اللهم) يعني يا الله، أليس هذا ذكر؟ هو ذكرٌ قريب، لأني أقول يا الله صلِّ على رسول الله ﷺ.

وهي اسمها صلاة ولكنها لا تحتاج إلى وضوء، ولا تحتاج إلى اتجاه للقبلة، ولا تحتاج إلى مسجد، ولا تحتاج إلى هيئات وأركان الصلوات التي نصليها لله، فلعُلوِّ قدرها ورفعة شأنها خفف الله عنا في هيئاتها، فتُصلي كما شئت، نائم صلِّ، على وضوء صلِّ، وعلى غير وضوء صلِّ، حتى ولو كنت على جنابه لست ممنوعاً من الصلاة على حضرة النبي ﷺ، لكن ممنوع من الصلاة لله، وممنوع من قراءة القرآن، أو مس المصحف، لكن لست ممنوعاً من الصلاة على النبي أو الاستغفار أو ذكر الله ﷻ، فما الذي يمنع الإنسان أن يديم الصلاة على رسول الله ﷺ؟!!.

الصلاة على النبي ورد الصالحين

ولذلك نسمع أو نقرأ عن سلفنا الصالح المباركين، ونجد أن الورد الأعظم لهم في طريقهم إلى الله هو الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ.

سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه كان له شيوخ كثيرين، ويأخذ من كل شيخ خصيصته، فكان شيخه في الصلاة على النبي اسمه الشيخ نور الدين الشوني، وكان صاحب مجالس الصلاة على النبي في الجامع الأزهر، وكان يحضر مجلس الصلاة على النبي معه أكثر من عشرة آلاف فرد، وكان يُصلي على النبي ﷺ في اليوم والليلة أربعين ألف مرة.

قد تتعجب وعقلك قد لا يقبل، لكن من رام الوصول فإن الله ﷻ يلاطفه ويُسهل له الحصول على كل مأمول، فيطوي لهم الزمان، ويطوي لهم المكان، ويطوي لهم الوقت، عناية من الله سبحانه وتعالى.

هذا القرآن نقرأه في كم من الوقت؟ القراءة التي حددها حضرة النبي لنا ثلاثة

أيام، لكن سيدنا الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يقول: ((يمر القرآن كله على فؤادي ما بين وضع قدمي في سرج دابتي إلى أن أمتطي دابتي)) لحظات، فلا تقل كيف؟ فهي لا تصلح هنا، لأنها حقائق غيبية تحتاج إلى ذُق تشهد، ولا تتقبلها بعقلك الكاسد البالي، لأن العقل يحتاج للمحسوسات، وهذه من الغيبيات من عالم الملكوت الأعلى.

وبعضهم كان يطوي لهم الأرض، فيقطع ما بين المشرق والمغرب في خُطوات، وبعضهم كان يطوي الله تبارك وتعالى له الوقت، فيقرأ الكتاب الكبير الذي يحتاج إلى شهور في ليلة.

الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه حكى في كتابه (المنن الكبرى) وهي المنن التي منَّ الله بها عليه، فيقول: ((ومما منَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ، أني قرأتُ كتاب الفتوحات المكية للشيخ محيي الدين بن عربي عندما كنت أضع كتاباً عن علوم الشيخ الأكبر في ليلة واحدٍ عدة مرات)) وهذا الكتاب حوالي سبعة آلاف صفحة، وكان يحتاج إلى قراءة الكتاب من أوله إلى آخرة حتى يأخذ ما يريده، كيف هذا؟! هذه أحوال الصالحين، وأحوال المتقين التي يُكرمهم بها رب العالمين تبارك وتعالى.

السلام على النبي

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (الأحزاب) والسلام هو الأمان، فالله سبحانه وتعالى يعد من يُصلي على حضرة النبي بأنه سيحصل على الأمان في الدنيا ويوم الزحام.

فالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المفتاح الذي يفتح الله به على كُمَّل العارفين، وعلى أئمة الوارثين، وعلى الصادقين من المريدين، فأقبلوا بالصلاة على رسول الله، واجعلوها وردكم الذي لا ينقطع ليل ولا نهار.

وما أخفها على اللسان، وما أثقلها في الميزان، وما أحبها إلى الرحمن، وما يُكشف للإنسان من براقع تمنعه من رؤية النبي العدنان، كل هذا موجود في الصلاة على رسول الله، ولذلك هي عُمدة السالكين في بداية حياتهم.

أكبر تعظيم لرسول الله صلاة الله عليه، وأكبر أدب من الملائكة الكرام صلاتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكبر أدب من المؤمنين مع نبيهم إكثار الصلاة والسلام على حبيبهم صلى الله عليه وسلم.

مع أنها أعظم أبواب القرب إلى الله، لكن لا تصل إلى ما ذكره بعض القوم الذين قالوا أن الصلاة على النبي تُغني عن الشيخ، لكن الصلاة على النبي تعين على الوصول إلى الشيخ في حالة فقد الشيخ، والدعاء الوارد عن العارفين: ((اللهم دلني على من يدلني عليك)).

فإذا وصلت للعارف!! أمشي على المنهج الذي يريده مني، فهو المشرف على رسالة معرفتي، لأننا كلنا متقدمين لنيل درجة الدكتوراة في معرفة الله، فلا بد لها من مشرف، والمشرف يكون قد سبق في معرفة الله وحصل على درجة الدكتوراة، وأذنت له الجامعة المحمدية بأن يُشرف على غيره ليوصلهم إلى هذه الدرجة العالية في معرفة الله ﷻ.

فوائد الصلاة على النبي

لكننا نصلي على حضرة النبي ﷺ صِلةً به، والعوام يصلون على حضرة النبي ﷺ طمعاً في الفوائد التي ذُكرت في الصلاة عليه، وكلها فوائد عظيمة، وأعظمها وأعلاها شأناً قوله ﷺ:

{مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا }[١٨٢]

وكما قال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه:

((لو صلَّى الله ﷻ على رجل مرة واحدة تُغنيه في كل ما يحتاجه في دنياه وأُخراه، فما بالك لو صلى عليه عشراً؟!)).

وهذا في الصيغة الواحدة في الصلاة على حضرة النبي، ناهيك أنها تُكفيك همك ويُغفر لك ذنبك، ناهيك عما قيل في تفريج الكروب، فأعظم مُفرج للكروب هو الصلاة على الحبيب المحبوب ﷺ، حتى للعصاة والمذنبين والناهجين على غير الطريق المستقيم.

الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه، وهو من أئمة التابعين، وكان صاحب مذهب كالإمام الشافعي والإمام مالك، والمذاهب الفقهية أكثر من ثلاثين مذهب، لكن الذي أشيع ونال حب الناس المذاهب الأربعة.

---

١٨٢ معجم الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه

فكان ماشياً يطوف بالبيت الحرام فوجد رجلاً لا يرفع قدماً إلا ويُصلي على النبي، ولا يضعها إلا ويُصلي على النبي، فأراد أن يرشده، فقال: يا هذا، هذا ليس وقت الصلاة على النبي، ولكنه وقت الدعاء والتسبيح والتهليل والتكبير، فقال: من أنت؟ قال: سفيان الثوري، قال: عالم العراق؟ قال: نعم، قال: لولا أنك عالم العراق ما أخبرتك، ولكن تعال في جانب بعيداً عن الطائفين وأحدثك بذلك.

قال: عزمتُ على الحج هذا العام ومعي أبي، وكان مسرفاً على نفسه – يعني غير محافظ على الطاعات والعبادات والفرائض – وجاءه الموت ونحن بالقرب من مِنى، فلما مات رأيت وجهه قد اسوَّد، فغطيته بملاءة ثم انتابني همٌّ وحزن، ومن شدة الهم والحُزن ألقى الله عليَّ النوم، فرأيتُ رجلاً جاء إليَّ وكشف الغطاء عن وجه أبي، ومسح بيده على وجهه فابيضَّ، فقلت له: من أنت؟ قال: أوما تعرفني؟ أنا نبيك، وإن أباك كان مسرفاً على نفسه، لكنه كان قبل أن ينام يُصلي عليَّ، فلما حضره من أمر الله ما رأيت استغاث بي فجئت لإغاثته، جاءه ﷺ لإغاثته وحوَّل أمره من الظلمات إلى النور، ومن حياة الجحيم إلى حياة النعيم، والقصص في هذا المجال كثيرة وكثيرة لا تُعد ولا تُحد.

منها أن يأتي النبي ﷺ لإنسان يشكو شكوى شديدة في تقطير رزقه ويبشره بسعة الرزق، وما من معركة حربية إسلامية إلا وجاء لبعض الأفراد وبشَّرهم بالنصر في هذه المعارك، كل هذه أمور تحدث للصالحين وعامة المؤمنين بشرى من رسول الله ﷺ لهم أجمعين.

صلاة المقربين على النبي ﷺ

لكننا عندما نصلي عليه نصلي عليه تزلفاً وتوداداً وتقرباً إليه، طمعاً في أن يتفضل علينا ببعض ما وهبه الله، أو يُسبغ علينا بعض العطايا التي وهبها له مولاه، أو يشفع لنا عند الله في منزلة كريمة نتمناها وعَمَلنا لا يوصل إليها في هذه الحياة، طامعين فيما عند رسول الله، وخاصة وأن الله ﷻ قال عنه: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (التكوير) ليس ببخيل، بل كريم يجود بكل ما في يده، حتى قالوا عنه في وصف الأشياء الحسية:

تعـوَّد بسـط الكـف حـتى لـو أنـه طواهـا لقـبض لـم تطعـه أناملـه

لأنه تعوَّد على ذلك، وفي المجال الروحاني والنوراني أكبر وأعظم صلوات ربي وتسليماته عليه.

الواجب السادس: زيارة النبي ﷺ[١٨٣]

زيارة النبي ﷺ واجبةٌ على كل مسلم وخاصة من وفقه الله ﷻ لأداء فريضة الحج، وإن كنا نجد أُناساً غير ملمين بالفقه الذي أنزله الله في كتابه وعلى رسوله، ومن جرأتهم على الله ورسوله يقولون للناس في الحج في بيت الله الحرام بعد انتهاء مناسك الحج: أما الزيارة فليست من مناسك الحج في شيء، وهذا حق، ثم يقولون: من أراد أن يتوجه إلى المدينة فليتوجه لزيارة المسجد النبوي، وليس لزيارة النبي، وهذا خطأ فقهي، وخطأ في الأدب مع خير نبي ﷺ.

فقد ورد عن الإمام محمد متولي الشعراوي رضي الله عنه عندما كان أستاذاً في جامعة مكة المكرمة، وكان عميد الجامعة من آل البيت ولكنه كان يُخفي ذلك عن المسؤولين، فذهب إليه وتقدم إليه بطلب الحصول على أجازة لزيارة رسول الله ﷺ.

فأراد الرجل أن يمازحه، فقال له: اكتب لزيارة المسجد النبوي، فقال الشعراوي رضي الله عنه وكان يحب المزاح: إذا كتبت ذلك فأنا مُغفل، قال: ولِمْ؟ قال: كيف أترك صلاةً في المسجد الحرام بمائة ألف، وأذهب إلى المدينة لأُصلي صلاةً بألف؟! ولكني متوجهٌ لزيارة رسول الله ﷺ.

فزيارة رسول الله ﷺ واجبةٌ على كل مؤمن يؤدي فريضة الحج، وعليه أن يذهب إلى رسول الله ﷺ ليعتمد حجته التي حجها لله، لأنه صاحب الاعتماد لكل أنبياء الله ورسل الله، فالله ﷻ قد أعطاه ذلك، ووصفه في القرآن بذلك، يقول الله في بيعة الأنبياء والمرسلين وهم أرواحٌ نورانية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ (٨١آل عمران) وهنا موضع الشاهد، فهو الذي يُصدِّق على كل ما معهم.

وهو الذي يصدِّق علينا لقول الله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ ﴾ (١٠٥التوبة) فهو يصدِّق على أعمال النبيين والمرسلين وأممهم، وأعمال أمَّته صلوات الله وتسليماته عليه.

---

١٨٣ الجميزة – السنطة – الغربية ٩ من رجب ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٢/١٠م

فوائد الزيارة

ناهيك عما في الزيارة من فوائد لا تُعد ولا تُحد، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي }[١٨٤]

وهذه تكفي المرء المؤمن، أنه تجب له الشفاعة عند الله يوم القيامة من رسول الله، ونحن جميعاً أحوج ما نكون إلى هذه الشفاعة، وقال ﷺ:

{ مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا كُنْت لَهُ شَفِيعًا وَشَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[١٨٥]

وتذكَّرنا ﷺ بأننا لم نلحق حياته، فقال ﷺ:

{ مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي }[١٨٦]

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ولذلك قال الإئمة الأعلام: أحاديث الزيارة وإن كانت أحاديث حسنة لا تصل إلى درجة الصحيح التام، إلا أنها يقوي بعضها بعضاً، فهي في درجة الصحيح التام، لأن زيارته ﷺ واجبةٌ على كل مؤمن لحقوقه التي لا نستطيع أن نعدها علينا جماعة المؤمنين.

آداب الزيارة في كتب الفقه

وهذه الزيارة يكفي أن أئمة الفقه الأربعة جعلوا لها باباً في كتبهم الفقهية في كتاب الحج، ورسموا لها آداباً ينبغي أن يلتزم الزائر بها، كي تكون الزيارة وافية، ويستحق التكريم من الرؤوف الرحيم ﷺ.

فاستحسن أهل العلم ما قاله الإمام مالك صاحب المذهب رضي الله عنه، أن يقول المتوجه إلى المدينة: توجهتُ لزيارة النبي ﷺ، أو للسلام على النبي ﷺ، ويقول عند رجوعه: زُرت النبي ﷺ، أو سلَّمتُ على النبي ﷺ.

---

١٨٤ سنن الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٨٥ أخرجه ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه
١٨٦ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

وكرهو أن يقول الإنسان: زُرت قبر النبي، لأن قبر النبي غير قبور الآخرين، صحيحٌ أن النبي ﷺ سنَّ لنا زيارة قبور المؤمنين، وقال فيها:

{ إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ }[١٨٧]

للعظة والاعتبار وتذكر الآخرة، لكن زيارة النبي ﷺ لا تقتصر على ذلك، فإن فيها فضائل لا تُعد ولا تُحد، ويكفي في ذلك ما رواه الإمام العُتبي رضي الله عنه وهو من أئمة الفقه، وكان في زيارة الحبيب المصطفى وجالساً في روضته، وجاء رجلٌ أعرابي ووقف أمام النبي ﷺ وقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، إن الله ﷻ يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء) وقد جئتُك تائباً ومستغفراً، اللهم اغفر لي، وهذا مقصدٌ من مقاصد زيارة النبي، طلب المغفرة من الله أمام سيدنا رسول الله كما أمر الله ﷻ، وقبل أن ينصرف الرجل أنشد الرجل بيتين فقال للنبي ﷺ في مواجهته:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظُمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولكن السادة العارفين رضي الله عنهم استثقلوا هذه الكلمات، واستبدلوها بكلمات تليق بسيد السادات، فقالوا:

يا خير من وُضعت بالروض أنجمه ... فطاب من طيبهن الروض والأكمُ
نفسي الفداء لروض أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فكأنهم أخذوا بقول الإمام مالك: لا يصفونه بأنه قبر، ولكنه روضة من رياض الجنة، وذهبوا في تعظيمهم لهذه الروضة أنها أغلى من الجنة، وأغلى من العرش، وأغلى من الكرسي، لأن فيها النبي ﷺ، وهو أغلى من ذلك كله عند ربه ﷻ.

قال العُتبي: فأخذتني سِنَةٌ من النوم، فرأيتُ النبي ﷺ وقال: يا عُتبي الحق الأعرابي وبشره بالمغفرة، وأن الله استجاب له لأنه استجاب لنداء الله وغفر له كما أمر الله في كتاب الله في الآية التي ذكرناها وهي آية الزيارة.

---

١٨٧ مسند أحمد ومسلم والنسائي عن علي بن أبي طالب ﷺ

وكذلك عندما ذهب أبو جعفر المنصورة غفر الله له لزيارة النبي، وكان حينها الإمام مالك في المسجد المبارك، وفي خطابه مع الإمام مالك رفع صوته، فقال الإمام مالك: يا أمير المؤمنين أُغضض صوتك، فإن الله مدح الذين يغضون أصواتهم عند حضرة النبي فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣الحجرات) وذمَّ قوماً رفعوا صوتهم في حضرة النبي، وقال فيهم ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (٤الحجرات) وحُرمته ميتاً كحرمته حياً، فلا يجب أن ترفع صوتك في مسجده المبارك صلوات ربي وتسليماته عليه.

فقال أبو جعفر المنصور: أأتجه إليه ﷺ وأدعو، أم أتجه إلى القبلة وأدعو؟

والذي يتجه إلى القبلة يكون ظهره لحضرة النبي، كما يقول بعض الجاهلين في هذا الزمان للزائرين عندما يرونهم يدعون الله: اتجهوا للقبلة ولا تتجهوا للنبي، كأنهم ما سمعوا رد الإمام مالك عندما رد على سؤال أبو جعفر: ولِمَ تلفت نظرك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الجنة؟!.

إذا كانت الروضة التي بجواره يقول فيها ﷺ:

{ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ }[١٨٨]

فما بالك بالموضع الذي يحويه؟!! إنه أعلى وأكرم وأغلى وأفضل من الجنة، لأن فيه سرُّ كل من يسمح الله له بدخول الجنة صلوات ربي وتسليماته عليه.

فجعل أهل المذاهب الفقهية للزائر أن يستأذن أولاً قبل دخول المسجد المبارك، فإذا ذهب إلى الباب قبل أن يدخل يقرأ قول الله تعالى:.. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ (٥٣الأحزاب).

ويُكثر عند توجهه للزيارة، وبعد انصرافه من الزيارة، وكلما مرَّ ذاهباً أو راجعاً أمام المسجد المبارك من الصلاة على النبي ﷺ، فإذا دخل المسجد صلَّى ركعتين في الروضة إن استطاع، أو يصليهما في أي موضع من المسجد.

---

١٨٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

فإنَّا نرى أن المسجد كله روضة الآن، لأن منبر رسول الله ﷺ الذي كان يُصلي عنده صلاة العيدين كان بعيداً عن المسجد في الخلاء، فعندما قال: (ما بين بيتي ومنبري) فهو ليس المنبر الذي في المسجد الآن، ولكنه المنبر الذي كان في مصلى الجماعة الذي كانوا يصلون فيه صلاة العيدين في الخلاء، ولذلك المسجد كله الآن روضة من رياض الجنة بتحقيق هذا الحديث المبارك عنه ﷺ.

فإذا صلَّى الركعتين ... توجه إلى النبي ﷺ ... وألقى عليه السلام بما يُلهمه الله .... والنبي ﷺ يقول:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ }[١٨٩]

فإذا سلَّم على النبي، سلَّم على صِدِّيقه الصفي أبي بكر، ثم سلَّم على عمر، ويدعو الله بما يشاء، فقد ورد عن بعض السلف الصالح أنه قال: ((من وقف تجاه روضة النبي ﷺ، وقال صلَّى الله عليك يا رسول الله سبعين مرة، ثم دعا الله تعالى، يُقال له: ادع فلن تسقط لك حاجة)) أي أن الله يستجيب دعاءه.

واستحسنوا أن يبدأ الإنسان عند نزوله المدينة المنورة بزيارة الرسول ﷺ، وكذلك عند خروجه منها يكون آخر ما يفعله هو وداع الرسول ﷺ.

أهل الشهود الوالهين

هذا بالنسبة لأهل الفقه.

أما أهل الشهود الوالهين فلهم أحوال خاصة رُويت عنهم، فقد ذُكر أن الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه – وكان يحج كل عام – كان يأمر بنصب خيمته خارج المدينة المنورة، ويمكث أحياناً عدة أيام، فإذا قال له أصحابه: نريد أن ندخل للزيارة، يقول:

حتى يأتي الإذن، فينتظر خارج المدينة حتى يأتيه الإذن من رسول الله ﷺ بدخول المدينة وزيارته.

وأهل الشهود عندما يستأذنون على باب المسجد، ويقولون:

---

١٨٩ معجم الطبراني ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ ﴾ (الأحزاب) ... ينتظرون حتى يجدون الإذن، فمنهم من يشم الرائحة الطيبة التي يعلمها لحضرة النبي، وهي رائحةٌ مخصوصة ليس لها مثيلٌ في عالم البشر، يشمها من يرى حضرته، وإذا شمها أي رجل منهم في أي مكان عرف أنه حاضرٌ في هذا المكان، فيشمون هذه الرائحة فتكون بمثابة الإذن لهم، فيدخلون لزيارته.

ومنهم من لا يدخل حتى يسمع حضرته يقول: (ادخل يا فلان) ويذكره باسمه، وهذا إذنٌ صريح من الحضرة البهية المحمدية لمكانة هذا الرجل الباطنية العلية عند الله ﷻ، وهؤلاء الذين تأدبوا الأدب الوافي الكافي مع رسول الله، كان منهم الإمام مالك رضي الله عنه وأرضاه، فقد ذُكر عنه أنه لم يقض حاجته في المدينة قط، مع أنه كان ساكناً فيها، احتراماً لرسول الله ﷺ، وكان إذا أراد أن يقض حاجته خرج خارج المدينة حتى يقضي حاجته.

وذُكر عنه أن كان لا يمشي في شوارع المدينة إلا حافياً، فذُكر له ذلك، فقال: أخشى أن أطأ بنعلي موضع قدم مشى عليه رسول الله ﷺ.

وذُكر عنه أنه كان إذا جاءه الطالبين للعلم في منزله، تخرج الجارية فتسأل الذي أتى: أجئت للمسائل؟ يعني للمسائل الفقهية، فإن قال: نعم خرج إليه كهيئته، وإن قال: جئتُ لسماع الحديث، تقول له: انتظر، فيدخل الإمام مالك مغتسله ويغتسل، ويلبس أحسن ثيابه، ويضع عطره ويتطيلس احتراماً لحديث رسول الله ﷺ.

وكذلك كان يفعل إذا كان في القاء الحديث في المسجد النبوي، حتى رأى له رجلٌ أعجمي كان حاضراً في درسه شيئاً عجباً، فرأى عقرباً جاءت ولدغته، ثم دارت مرة أخرى ولدغته، وعدّ لها عدة مرات تلدغه وهو يتفزَّز ولا يترك الحديث، وبعد أن انتهى من حديثه وانفض من حوله، ذهب إليه وقال: يا إمام رأيتُ منك كذا، قال: أعلم، ما كنت لأقطع حديث رسول الله من أجل لدغة عقرب.

ولذلك كان يقول رضي الله عنه: ((ما بتُّ ليلة إلا ورأيت رسول الله ﷺ في المنام)) لهذا الأدب العالي وهذ الحب الغالي كان النبي ﷺ يكافئه برؤياه في كل ليلة، لحُسن أدبه وجميل صُنعه مع حديث رسول الله ﷺ.

فزيارة النبي ﷺ واجبة على كل مؤمن ذهب إلى الحج إلى بيت الله الحرام، بل لا مانع من إفراده بالزيارة، وإن لم يكن المرء ينوي الحج في هذا العام، فهو ﷺ قبلة الأبرار، وروح أرواح الأخيار، وهو ﷺ محل نظر الله على الدوام في الدنيا ويوم القرار، نسأل الله ﷻ أن يكرمنا بزيارته، وأن يحقق لنا وفينا أنوار رؤيته، وأن يجعلنا من خيار المتبعين لحضرته.

الواجب السابع: واجبنا نحو آل بيت النبي ﷺ وقرابته وصحابته[١٩٠]

ما الواجب علينا نحو آل بيته وقرابته وصحابته؟ هذه الواجبات وجَّبها الله في كتاب الله، ليست من عند أنفسنا، ولا من عند أحدٍ من خلق الله، فإن الله ﷻ هو الذي قال في القرآن الكريم:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٣٣الأحزاب).

مَن هم آل البيت المقصودون في هذه الآية؟

هناك آراء للصحابة الأجلاء وكلها تعتمد على نصوص قالها سيد الرسل والأنبياء، فسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: الخطاب في هذه الآية لنساء النبي، فهنَّ المخاطبات بهذا القول في كتاب الله ﷻ، واستند إلى حديث:

{ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }[١٩١]

واستند الآخرون على حديث المباهلة، فإن الرسول ﷺ عندما جاءه وفد نصارى نجران وأرادوا أن يباهلوه، والمباهلة يعني الملاعنة، فهذا يدعو والآخر يدعو، ومن يكون قريباً من الله يستجيب الله ﷻ دعاه، فاختاروا أكابرهم من الأحبار والرهبان، وطلبوا من رسول الله المباهلة، فطلب سيدنا رسول الله ﷺ الإمام علي والسيدة فاطمة وابناهما الحسن والحُسين، وأحاط بهم ووضع عليهم بردته، وقال:

---

١٩٠ الجميزة – السنطة – الغربية ١٦ من رجب ١٤٤٣هـ ٢٠٢٢/٢/١٧م

١٩١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن زيد بن أرقم ﷺ

{ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي }[١٩٢]

فلما نظر أحبار النصارى إلى هذا المنظر قالوا: إن هؤلاء لو دعوا على جبل أن يزول لزال، وامتنعوا عن المباهلة، فهؤلاء آل بيت النبي ﷺ،

ومن العلماء الفقهاء الأجلاء من قال أن آل بيت النبي هم الذين حرَّم الرسول ﷺ عليهم الصدقة، فقد قال ﷺ:

{ أَلَا إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ }[١٩٣]

من الذين حرَّم عليهم النبي الصدقة؟ آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، فبذلك تكون قد اتسعت الدائرة في هذا المقام، وهذا حديث يرويه سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه عندما سُئل:

{ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ: أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ}[١٩٤]

نفرٌ آخرون أرادوا توسيع الدائرة، فقالوا: آل البيت كل من انتسب إلى عبد المطلب جد النبي، وجده عبد المطلب كان له عشرةٌ من الولد، ولكل واحد منهم أولاد، فالعباس منهم مثلاً كان له عشرة أولاد، فأدخلوا فيها كل ذرية عبد المطلب من النساء والرجال، وجعلوهم آل البيت.

والإمام أبو العزائم رضي الله عنه وهو وارثٌ محمدي، وكلامه إلهام تام يُمد من الحبيب المصطفى على الدوام، يقول في كتابه (الفرقة الناجية) عن طائفة أُخرى من أهل البيت، فيقول:

((والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله سبحانه وتعالى؛ الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر القرآن وباطنه، وحَدِّه ومطلعه، ممن جمَّلهم الله بحقيقة النسب المحمدي الروحاني، بدليل

---

١٩٢ صحيح مسلم والترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

١٩٣ مسند أحمد

١٩٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه

قوله ﷺ: {سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ}[١٩٥].

وكذلك تبنيه زيداً، وفي الأثر:((أدخل الإسلام بلالاً في نسبي، وأخرج الكفر أبا لهب من نسبي)).

وهذا رأيٌ جديد ومفهومٌ جديد لآل البيت وسَع فيه الإمام أبو العزائم الدائرة لوراث الحضرة المحمدية.

واجبنا نحول آل بيت النبي

ما الواجب علينا نحو آل بيت النبي ﷺ؟ أن نحافظ عليهم من الوقوع في ما يخالف سُنَّة جدهم ﷺ، فنقدِّم لهم النصيحة الصحيحة، ونأخذ بأيديهم إلى الطريقة القويمة المستقيمة، ولا نتركهم إذا تخلوا عن ذلك، ولا نحاول أن ننتقص من قدرهم، بل نحاول أن نأخذهم بعطف ولين إلى طريق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وإمامنا في ذلك سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه والذي كان يقول موصياً أصحاب النبي:

{ ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ }[١٩٦]

لأن الله يقول: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ (الشورى)، ومع أنه قال ذلك إلا أنه رضي الله عنه وأرضاه تمسَّك بالنص الذي سمعه من الحبيب ﷺ بنفسه، ولم يُعط للسيدة فاطمة نصيبها في تركة رسول الله، وقال:

لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

{ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ }[١٩٧]

فحزنت بعض الوقت، ولكنه التزم بما سمعه من رسول الله ﷺ، لأنه لا يجامل ولا يداهن: ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾ (المائدة)

ولكنه أراد أن يسترضيها فقال:

---

١٩٥ الحاكم في المستدرك وابن سعد في الطبقات
١٩٦ صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما
١٩٧ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي }[١٩٨]

لأنه كان شديد الحب لرسول الله، يعني لم يمنعها ذلك لشيء في نفسه، وإنما بما سمعه من رسول الله ﷺ.

وخصَّ الناس بعد ذلك إلى يومنا هذا آل البيت بذرية علي وفاطمة من الحسن والحُسين، ولِمَ قالوا ذرية علي وفاطمة؟ لأن سيدنا علي له زوجاتٌ غير السيدة فاطمة؛ تزوجهن بعد وفاتها، فأصبح الآل قاصرون على أولاد علي وفاطمة، وهما الحسن والحُسين رضي الله تعالى عنهما، وهما المخصوصان بآل البيت إلى وقتنا هذا.

وفي أيام الخليفة المأمون – وكان يميل لآل البيت – اختار الإمام علي الرضا ليكون خليفة عنه بعد وفاته لأنه يرى أن الخلافة ينبغي أن تكون لآل البيت، واختار لهم أن يلبسوا ملابس خضراء وعمامة خضراء، حتى يتميزوا بها عن بقية الناس، ولكن إخوته تغلبوا عليه، فرجع في بيعته التي بايعها، وظل الأمر بعده فترة وجيزة، ثم رجع الناس عن الزي الأخضر إلى حين.

من الذي أظهره بعد ذلك؟ في عهد السلطان الأشرف بن قايتباي المملوكي الذي تولى سنة ٧٧٣ هجرية، أراد أن يُمَيِّز أهل البيت فجعل لهم عصائب خُضر – يعني مناديل خُضر – يضعونها على عمائمهم، ومنذ ذلك اليوم انتشرت العمامة الخضراء بالنسبة إلى المنتسبين لآل البيت.

لكن هذه ليست سُنَّة عن رسول الله، أو واردة عن الصحابة الأجلاء، ولكنه أمر تعارفوا عليه.

وأكبر أمر ينبغي أن نقوم به نحو آل بيت النبي ما قال فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وهو حَسني وحُسيني، حُسيني من جهة أبيه، وحَسني من جهة أمه، فيقول في هذا الأمر الجامع في كتابه (النور المبين) صفحة ١٧٠:

((ففي عُنق كل مسلم حقٌّ لأهل البيت، وهذا الحق هو احترامهم وتعظيمهم ومساعدتهم ما داموا متصفين بصفات أهل البيت، لأنهم يمثلون

---

١٩٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

حقيقة هذا النسب المقدس، فهم الأئمة والهُداة، وهم السادة المُقتدى بعملهم، وليسوا معصومين، فعلينا أن نستر زلاتهم، ونُخفي عوراتهم، ونعينهم ما داموا على الحق، ونُخلص لهم في النصيحة، ونجتهد في تعليمهم وإرشادهم وردِّهم عن كل ما يخالف جدهم ﷺ، فإن قبلوا فهم أهل البيت، وإن أبوا إلا مخالفة السُنَّة والكتاب وجب علينا أن لا نعينهم على ذلك، وأن ننفر منهم تأديباً لهم لا عقوبة، وعلينا أن نبين لهم سنن رسول الله ﷺ، ونذكرهم بأنهم أولى الناس بالتمسك بها، وأحق الناس بإحيائها، ولا نعتقد أن ذلك يُغضب رسول الله ﷺ، ولا أن ذلك يضرنا بشيء، بل نتيقَّن أن ذلك يُرضي رسول الله ﷺ، خصوصاً إذا أنتجت أعمالنا الثمرة المطلوبة، فإن ذلك شيء يسر رسول الله ﷺ، ويكون عملنا هذا تقرباً إلى رسول الله ﷺ، من بذل أموالنا وأولادنا لهم)).

وأظن أن هذا خير كلام في حق آل البيت من رجل من سادة أهل البيت.

واجبنا نحو الصحابة المباركين

ننتقل بعد ذلك إلى الصحابة المباركين، والصحابة ذكرهم الله ﷻ في القرآن في قوله ﷻ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح)

والذين معه هم أصحابه رضوان الله ﷻ عليهم.

وقد عرَّفوا الصحابي: بأنه المسلم الذي رأى النبي ﷺ ... أو لقاه ... ولو مرة واحدة في حياته.

وقالوا: المسلم، لأن الكافرين الذين لقوه ليسوا صحابة، ولكن ينبغي أن يكون

مسلماً، لكي يكون صحابياً، فالذي صحب النبي أو رآه أو لقاه ولو ساعة من نهار فهو من أصحابه.

وأجمع جمهور العلماء من السلف ومن الخلف:

على أنهم خير خلق الله، وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين ..

لقوله ﷺ:

{ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ }[١٩٩]

والإمام مالك رضي الله عنه له رأيٌ وجيه في الآية القرآنية التي ذكرناها آنفاً، واتفق معه الأئمة الكرام أجمعين، فإنه يقول:

من تغيَّظ من الصحابة فهو كافر، لأن الله قال فيهم في هذه الآية الكريمة:

﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ (٢٩الفتح).

إذاً كل من اغتاظ من الصحابة الأجلاء فهو كافرٌ بنص كتاب الله كما قال الإمام مالكٌ رضي الله عنه وأرضاه، ومن هنا وجب علينا نحو أصحاب رسول الله ﷺ واجباتٌ كثيرة:

الواجب الأول:

وجوب توقيرهم وتعظيمهم

- إذا تحدثنا عنهم تحدثنا بإجلال وإكبار وإعظام، لا نستخِّف بهم، ولا نستهين بمواقفهم، وإنما نذكر لهم مواقفهم التي كانت مع حبيبنا ﷺ على الدوام.
- وإذا رأينا بعضاً منهم أو بعضاً من ذرياتهم وتأكدنا من ذلك، علينا ببرهم والقيام بحقوقهم تكريماً لهم، فقد قال ﷺ:

{ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ }[٢٠٠]

فيجب أن نكون لهم مُكرمين ما دمنا متأكدين أن هؤلاء من نسل الصحابة المباركين أجمعين.

---

١٩٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

٢٠٠ البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه

الواجب الثاني والأهم:

الاقتداء بهم

يجب أن نقتدي بهم ونسير على هديهم:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (٩٠الأنعام) وقد قال ﷺ:

{ اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ }[٢٠١]

وجعل ﷺ عصر الخلفاء الراشدين عصراً للتشريع، فقال:

{ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ}[٢٠٢]

لم يقُل عضُّوا عليهما، فإذاً زمنه وزمن الصحابة زمنٌ واحدٌ نأخذ منه التشريع، لأنه قال: (عضُّوا عليها) أي على هذه المدة كلها بالنواجز، يعني بالأسنان، فنقتدي بهم على الدوام.

الواجب الثالث:

إحسان الثناء عليهم

ولذلك فإن سلفنا الصالح إحساناً للثناء كانوا يصلون على الرسل والأنبياء فيقولون: ﷺ، وكانوا يتراضون عن الصحابة الأجلاء، وأخذوا ذلك من كتاب الله، فإن الله قال في القرآن:

﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ (١٨الفتح).

وروت الروايات أن الذين بايعوا النبي تحت الشجرة كانوا ألفاً ومائتي صحابي، قال فيهم النبي ﷺ:

---

٢٠١ عون المعبود، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد عن أبي الدردراء ﷺ

٢٠٢ سنن الترمذي وأبي داود عن العرياض بن سارية ﷺ

{ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ }[٢٠٣]

هل يجوز بعد ذلك أن نقع فيهم؟!!.

وكذلك أهل بدر، وكانت حادثةٌ عظيمة، والنبي ﷺ عندما همَّ بفتح مكة دعا الله وقال:

{ اللَّهُمَّ خُذِ الْعُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا فِي بِلادِهَا }[٢٠٤]

والعيون يعني الجواسيس، وأمر أصحابه بأن لا يخبروا أحداً بهذا الفتح، حتى لا يثير حرباً بينه وبين أهل مكة، فنزل الوحي وأخبر النبي ﷺ أن حاطب بن أبي بلتعة أرسل امرأة ومعها كتابٌ إلى أهل مكة يخبرهم بالفتح، فأمر النبي ﷺ علي والزبير والمقداد أن يلحقوا بها وقال لهم:

{ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا، فَذَهَبْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟ قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَنِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، قَالَ عَمْرٌو: وَنَزَلَتْ فِيهِ: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) }[٢٠٥]

---

٢٠٣ سنن أبي داود ومسند أحمد عن جابر ﷺ

٢٠٤ تاريخ الطبري عن المسور بن مخرمة ﷺ

٢٠٥ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

قد يلتبس هذا الأمر في ذهن بعض الناس، هل هؤلاء الناس معصومون؟ العصمة لا تكون إلا لنبي، ولكنهم محفوظون، فالحفظ للولي، فالله حفظهم من أن يقع أحدهم في إثم أو معصية، وإذا وقع يوفقه الله للتوبة النصوح ليتوب عليه، فعلى كلتا الحالات لا يضره هذا الذنب، ولا يضره هذا الإثم لأنه من أهل بدر.

فعلينا أن نوقر أصحاب رسول الله أجمعين، ولا نذكرهم إلا بالتعظيم والتبجيل، لأن الله ﷻ قال فينا: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا ﴾ وهم هؤلاء: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (١٠الحشر) وهم المعاصرين لنا، فيجب علينا حُسن الثناء عليهم.

الواجب الرابع:

الاستغفار لهم

يجب علينا أن نستغفر لهم لأن الله ﷻ أمرنا أن نستغفر للمؤمنين والمؤمنات، والإمام الشافعي رضي الله عنه جعل المغفرة للمؤمنين والمؤمنات شرطٌ من شروط صحة خُطبة الجمعة، وأخذه من قوله ﷺ:

{ مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً}[٢٠٦]

يعني أنت الرابح عندما تقول:

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، أو تقول: (آمين) خلف الإمام !!

فتأخذ بعدد المؤمنين من عصره إلى يومنا هذا حسنات، فمن منا يستطيع أن يعُد هذه الحسنات؟!! فلا بد أن نستغفر لهم.

ولذلك قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في قوم يُسمون الرافضة أو الروافض، وهم الذين اعترضوا على خلافة أبي بكر وخلافة عمر واعترضوا على الصحابة الأجلاء، وتجرؤوا عليهم، وبعضهم سبَّهم، وبعضهم تجنَّى عليهم وقذفهم، قاتلهم الله أنَّ يؤفكون:

---

٢٠٦ مسند الشاميين للطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

{ أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ }[٢٠٧]

أمرهم الله أن يستغفروا لهم، فأبدلوا الاستغفار بالسبِّ، وهؤلاء موجودون إلى الآن، نسأل الله ﷻ أن يتوب عليهم أجمعين.

وقال سهل التستري رضي الله عنه:

((لم يؤمن بالرسول الله ﷺ من لم يُوقر أصحابه، ولم يُعز أوامره)).

الواجب الخامس:

الإمساك عما شجر بينهم

الخلافات التي حدثت بينهم، والوقائع التي حدثت بينهم ليس لنا شأنٌ بها، فلا نخوض مع الخائضين !

وإنما نقول كما قال السادة المباركون الأولون:

(هم مجتهدون) لأنهم وصلوا إلى درجة الاجتهاد، والمجتهد إن أخطأ له أجر، وإن أصاب فله أجران.

فلا نتحدث في الوقائع التي حدثت بين الإمام علي ومعاوية مثلاً، أو بين الإمام علي والسيدة عائشة وطلحة والزُبير، فلا شأن لنا بذلك.

وسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه، كان الخلفاء الأمويين قبله يسبون في خطبة الجمعة الثانية الإمام علي رضي الله عنه، فاحتار في هذا الأمر !

قال: فرأيتُ النبي ﷺ في المنام في باحة قصر عظيم، وعن يمينه سيدنا أبي بكر، وعن يساره سيدنا عمر، وخلفه ستارة، وخلف الستارة محكمة، وجاء الإمام علي فسلَّم ثم دخل خلف الستارة، وجاء سيدنا معاوية فسلَّم ثم دخل خلف الستارة.

ثم خرج الإمام علي وقال: قُضي لي ورب الكعبة.

وبعده خرج الإمام معاوية وقال: غُفر لي ورب الكعبة.

---

٢٠٧ صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها

فقال رضي الله عنه:

شيء لم نره بأعيننا، ولم تشهده سيوفنا، ولم تقطر منه دماؤنا، فلِمَ نتحدث فيه؟!

وأبدل بهذا السب والشتم ما يقوله الخطباء إلى الآن:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠النحل).

فهو الذي سنَّ هذه السُنَّة الحسنة التي نسأل الله تبارك وتعالى أن يديمها إلى يوم الدين.

والرسول صلى الله عليه وسلم حذَّر تحذيراً شديداً في كثير من الأحاديث عن التعرض للصحابة، نكتفي منها بحديثين، قال صلى الله عليه وسلم:

{ اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ }[٢٠٨]

وقال صلى الله عليه وسلم:

{ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ }[٢٠٩]

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الأدب التام مع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ...

ومع آل بيته الطاهرين ...

ومع الصحابة المباركين .....

ومع الصالحين أجمعين، ومع المؤمنين الصادقين إلى يوم الدين.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

---

٢٠٨ سنن الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه

٢٠٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

حلقة تلفزيونية

عن ميلاد نور النبي ﷺ

وظائف النبي

بشرية النبي

ظل النبي

قدر النبي

الكمالات المحمدية

حلقة تلفزيونية
عن ميلاد نور النبي ﷺ [٢١٠]

المذيع:

الحديث عن النبي ﷺ البعض يقول من باب الذكرى، ولكننا نريد أن نأخذ منحى آخر أن سيدنا رسول الله ﷺ حيٌّ في قلوبنا بتعاليمه فينا، أنه موجود وتعرض عليه أعمالنا أجمعين، ونريد أن نتحدث عنه ﷺ من باب ميلاد نور النبي ﷺ.

نعم، أول من احتفل بميلاد نور النبي ﷺ هو الله ﷻ وملائكته والنبيين والمرسلين، جمعهم الله ﷻ حيث لا زمان ولا مكان، لأنه في الملكوت الأعلى لا يوجد ليلٌ ولا نهارٌ، ولا يومٌ ولا شهرٌ ولا سنةٌ، فجمعهم الله ﷻ للإحتفاء بحضرة النبي ﷺ، وذكر ذلك بصريح الآيات في القرآن الكريم، فيقول ﷻ:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (٨١آل عمران)

والنبوة قبل الخلق! والرسالة تكون قبل التكليف من الله لإبلاغ شرع الله إلى الخلق ... ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ جميعاً ... والميثاق يعني العهد:

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ (٨١آل عمران)

وهنا يُثبت الله ﷻ أنه رسولٌ لجميع الأنبياء والمرسلين، فلم يقُل: ثم جاءكم نبي، وإنما قال: (ثم جاءكم رسول) فهو رسول المرسلين والنبيين أجمعين من آدم إلى عصره ﷺ، ما وظيفته؟

﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ (٨١آل عمران) هو الذي يُصدق على دعواكم إبلاغ الرسالات إلى خلق الله، وذلك في حديث رسول الله:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُل، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَا ثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لا، فَيُقَالُ:

---

٢١٠ قناة القاهرة – التلفزيون المصري ٩ من ربيع الأول ١٤٤٣هـ ٢٠٢١/١٠/١٦م

مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَما عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" }[٢١١]

إعزازاً لقدره، وإعلاءًا لشأنه، وإعلاءًا لشأن أمته، يسأل الله ﷻ العدول الأئمة من العلماء العاملين والأولياء الصالحين

هذا الرسول أخذ الله البيعة والعهد على النبيين أجمعين ومعهم الملائكة المقربين: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ (آل عمران) إذاً يجب على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه، كيف ينصرونه؟ بإظهار صفاته وأخلاقه وأحواله لأممهم، وأمرهم إن حضروا زمانه أن يتبعوه، وهكذا فعل كل نبي من أنبياء الله.

﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ ﴾ أي عهدي:

﴿ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ ﴾ وكُشف الستار ليشهدوا جميعاً أنوار النبي المختار: ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (آل عمران).

هذا كان أول احتفال برسول الله قبل خلق الخلق، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عليه السلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }[٢١٢]

يعني لم يُخلق بعد، وقال ﷺ:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }[٢١٣]

فهو أول من خلقه الله ﷻ من نور ذاته !! ثم خلق منه نور الأنبياء والمرسلين والصالحين والمؤمنين وأهل اليمين ... من أول آدم إلى يوم الدين .... صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

٢١١ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

٢١٢ مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

٢١٣ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وظائف النبي

المذيع:

ذكر الله تعالى في كتابه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (٥٦الأحزاب)

لم يقُل يصلون على الرسول، فلِمَ؟

النبي نبوته ممتدة منذ أن خلقه الله إلى أن تنتهي الدنيا، خصَّ نبينا لأنه خاتم النبيين، ولم يقُل خاتم المرسلين.

أما الرسول فهو المكلَّف عن طريق الوحي، أو عن طريق جبريل، أو عن طريق الإلهام من الله، أن يبلغ رسالة الله لقومه الذين هو في وسطهم في حياته، ومدة رسالة نبينا ﷺ ثلاثة وعشرين عاما، ثلاثة عشر في مكة، وعشر في المدينة المنورة، ولكن مدة النبوة من البدء إلى الختام.

ووظائف الرسالة، غير وظائف النبوة، وذلك في القرآن الكريم، فالرسالة يقول فيها الله في وظائف الرسول: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ (١٥١البقرة) أولاً (يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا) ليس آيات القرآن فقط، ولكن آيات القرآن، وآيات الله في الأكوان، لأن في الأكوان آيات: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ (٥٣فصلت) قال سيدنا أبو ذر رضي الله عنه:

{ لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا}[٢١٤]

(وَيُزَكِّيكُمْ) تزكية النفوس، (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ) وهي علوم القرآن وعلوم الشريعة وعلوم الحكمة، (وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) وهو العلم اللدني، أو العلم الإلهامي، فهذه وظائف الرسالة وهي لأهل أمته وأهل شريعته فقط.

٢١٤ مسند أحمد ومعجم الشيوخ عن أبي ذر رضي الله عنه

أما وظائف النبوة فقد ذكرها الله في سورة الأحزاب، وهي للخلق جميعاً بما فيهم الأنبياء والمرسلين من أول آدم إلى عصره إلى يوم القيامة وهي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ ﴾ (الأحزاب).

هذه وظائف النبي، وخاطبه الله بخطاب التعظيم (يا أيها النبي) ثم بخطاب التكليف بالنبوة، إذا أرادت الدولة أن تعين مجلس وزراء جديد أو حكومة جديدة، يصدر لهم خطاب تكليف، بأن هذه الحكومة مهمتها كذا وكذا وكذا، فهذه مهمة النبي

ولو نظرنا فقط إلى كلمة (شاهداً) فهوشاهد على أحوال الأنبياء والمرسلين: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ (٤١النساء).

وشاهد على أحوال أمته: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ (١٤٣البقرة) أي شهيداً على أمته إلى يوم القيامة.

فهو يشهد على السابقين، ويشهد على اللاحقين، والمعاصرين، ولذلك ذكَّره الله في القرآن بقوله: (ألم تر) يقول شيخنا الإمام محمد متولي الشعراوي رضي الله عنه: يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴾ (١الفيل) يعني أنت رأيت بعين بصيرتك ما كشفه الله لك.

ويقول الله تعالى له: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ (٤٥الزخرف) أين هم حتى يسألهم إلا إذا كان هناك وصلٌ بينه وبينهم!، ولذلك جدد الله لهم البيعة لأنه طلب منهم أن يؤمنوا به فجمعهم له في بيت المقدس في ليلة المعراج ليجددوا العهد والإيمان بحضرته ويُصلي بهم إماما، ليُثبت إمامته على جميع الأنبياء والمرسلين.

إذاً آمنوا به قبل بعثته، وجددوا الإيمان به بعد بعثته ﷺ، فهو شاهدٌ على الأولين، وشاهدٌ على الآخرين.

وهو وحده الذي أشهده الله جمال الجنة بما فيها في رحلة المعراج، فهو شاهد على النعيم الذي أعدَّه الله للمؤمنين، وشاهد على الجحيم الذي أعدَّه الله للكافرين والعصاة والمذنبين، بل شاهد على جمال الله، فهو وحده الذي شهد جمال مولاه ﷺ: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ (النجم) بمفرده، ليس هناك ملكٌ ولا مُقرب ولا نبي ولا رسول، فكان سرٌ من سرٍ بينه وبين الله ﷻ.

وهو شاهدٌ كذلك علينا يوم القيامة، وهي الشفاعة العُظمى، ولن ينجوا أحدٌ يوم القيامة إلا من حظي بشفاعة حضرته ﷺ، قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }[٢١٥]**، وفي رواية أخرى:**

{ إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[٢١٦]**، ورحمة الله هو سيدنا رسول الله ﷺ:**

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء).

فالشفاعة العُظمى هي شهادة رسول الله ﷺ يوم القيامة للمؤمنين الصادقين، وينجون بسبب هذه الشفاعة من عرصات الجحيم، ويدخلون في دائرة التكريم بين يدي الكريم ﷻ.

بشرية النبي

المذيع:

بعض الناس يقرأون في آخر سورة الكهف: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ (الكهف) فيقولون أن النبي مثل البشر يُوحى إليه، كيف ترى نور النبي ﷺ انطلاقاً من هذه الآية وبشريته، ونورانيته في الآية القرآنية: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة)؟

هذه الآية الكريمة التي في آخر سورة الكهف، فسَّرها النبي ﷺ في حديثه الذي يرويه عن شق صدره وهو عند السيدة حليمة السعيدية مرضعته وكان عنده أربع سنوات، فقال ﷺ:

---

٢١٥ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٢١٦ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

{ فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُنْتَبِذٌ مِنْ أَهْلِي فِي بَطْنِ وَادٍ فِي أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ، نَتَقَاذَفُ بَيْنَنَا بِالْجُلَّةِ، إِذْ أَتَانَا رَهْطٌ ثَلاثَةٌ مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ ثَلْجًا، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، فَخَرَجَ أَصْحَابِي هِرَابًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى الرَّهْطِ، فَقَالُوا: مَا أَرَبُكُمْ إِلَى هَذَا الْغُلامِ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا، هَذَا ابْنُ سَيِّدِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ فِينَا مِنْ غُلامٍ يَتِيمٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ قَتْلُهُ؟ وَمَاذَا تُصِيبُونَ مِنْ ذَلِكَ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لا بُدَّ قَاتِلِيهِ فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيَّنَا شِئْتُمْ، فَلْيَأْتِكُمْ مَكَانَهُ، فَاقْتُلُوهُ وَدَعُوا هَذَا الْغُلامَ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ، فَلَمَّا رَأَى الصِّبْيَانُ الْقَوْمَ لا يُحِيرُونَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا انْطَلَقُوا هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ يُؤْذِنُونَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ، فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثَّلْجِ، فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ، فَنَحَّاهُ عَنِّي، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي، فَأَخْرَجَ قَلْبِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَصَدَعَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يُمْنَةً مِنْهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي، فَامْتَلأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، فَوَجَدْتُ بَرَدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنِّي، فَأَمَرَّ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ، الَّذِي شَقَّ بَطْنِي: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ }[٢١٧]

٢١٧ تاريخ الطبري، والمطالب العالية لابن حجر، ودلائل النبوة للبيهقي عن شداد بن أوس ﷺ

وأمته – كما قلنا – من آدم إلى يوم القيامة، وليست أمة الرسالة فقط، ولكن أمة الدعوة، وأمة الدعوة تشمل الأنبياء والمرسلين السابقين، فأمة الرسالة هي التي بلَّغ فيها تشريع الرسالة الخاتمة من رب العالمين ﷻ.

هذا الحديث يكشف أن الآية تقصد (مثلكم) يعني قدري يساوي قدركم جميعاً، فمثلكم ليس مثل واحد منكم، ولكن مثلكم كجميعكم، مع أني بشرٌ واحد إلا أني كجميعكم، وإذا كان يقول ﷺ عن صديق الأمة أبي بكر رضي الله عنه:

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ إِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ }[٢١٨]

فما بالك بمن هو السبب في إيمان أبي بكر، ويقول الله مؤيداً لذلك:

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ (الإسراء ٧٥) قال المفسرون: ضعف الأحياء وضعف الأموات، لأنه بمفرده يساوي جميع الأحياء والأموات بالنسبة لقدره ومنزلته ومكانته عند الله ﷻ مع أنه بشر، لأنه لا بد أن يكون النبي بشر يظهر للناس ويجالسهم ويواكلهم ويشاربهم ويبين لهم كيف يسيرون في هذه الحياة حتى يمشوا على هديه ويتأسوا به ﷺ.

ولذلك يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

((والله ما أكل ﷺ إلا لنا، ولا شرب إلا لنا))، ... لأنه يقول:

{ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }[٢١٩]

فإذا كان ربه يطعمه ويسقيه، فهل يحتاج إلى طعام؟!!،

وإنما يأكل ليعلِّمنا كيف نأكل، والأدب أثناء الطعام، ويشرب ليعلِّمنا كيف نشرب، والأدب أثناء الشراب، لأنه كما قال:

{ إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا،}[٢٢٠]

وأيضاً رُوي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

---

٢١٨ الفوائد المجموعة للشوكاني
٢١٩ سنن البيهقي ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة رضي الله عنه
٢٢٠ سنن الدارمي وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

{ كَنا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ إِلَى مَكَّةَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْغَائِطِ أَبْعَدَ حَتَّى لا يَرَاهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَبَصُرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَجَرَتَيْنِ مُتَبَاعِدَتَيْنِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، اذْهَبْ إِلَى هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ، فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا لَهُ لِيَتَوَارَى بِكُمَا، فَمَشَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَى مَكَانِهِمَا }[٢٢١]

وكانوا يبحثون في مكان قضاء حاجته فلا يجدوا شيئاً،!! تقول السيدة عائشة:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ ثُمَّ خَرَجَ دَخَلْتُ بَعْدَهُ فَلا أَرَى شَيْئًا إِلا أَنِّي أَجِدُ رِيحَ الطِّيبِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ نَبَتَتْ أَجْسَادُنَا عَلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَمَا خَرَجَ مِنَّا شَيْءٌ ابْتَلَعَتْهُ الأَرْض }[٢٢٢]

فكان ﷺ في البشرية ظاهراً كمثلنا، ولكنه يساوي في القدر والمكانة بالنور الذي أوجده الله ﷻ فيه، والذي يقول فيه الله:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٥المائدة) والواو تقتضي المغايرة، لأن ما قبلها غير ما بعدها، فلو كان النور هو الكتاب المبين لقال: قد جاءكم نور كتابٌ مبين، لكن (نور وكتاب) إذاً النور غير الكتاب، فالنور هو رسول الله ﷺ، والكتاب هو القرآن، والكتاب كذلك نور، والله ﷻ نور:

﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٣٥النور).

فهو ﷺ بروحانيته وبحقائقه الباطنة نورٌ من نفخة الله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (٧٢ص) نفخت فيه من روحي النور، لأن الله اسمه النور، وما ينفخه الله ﷻ نور، وكل مؤمن في هذه الدنيا فيه نور هذه النفخة!

ولكن النور الأعظم هو نور رسول الله ﷺ الذي جعله الله في جسده الشريف، ولذلك كان ﷺ إذا مشى لا يُرى له ظل، والذي لا يُرى له ظل هو النور.

---

٢٢١ معجم الطبراني ومسند البزار عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٢٢٢ شعب الإيمان للبيهقي وتاريخ بغداد

ظل النبي

المذيع:

البعض من المتفلسفين يقول كان لا يُرى له ظلٌ لأن الغمامة كانت تظله؟!.

الغمامة كما ورد في الروايات المعتمدة، كانت تصحبه في السفر، لكن لا تصحبه في الحضر، ولا تصحبه في الليل، والإنسان حتى في الليل إذا أوقد مصباحاً يكون له ظل، فكان ﷺ لا يُرى له ظل مع شمس ولا قمر ولا مصباح، لأنه ﷺ ظاهره وباطنه نور، نور على نور ﷺ.

وكان ﷺ كما يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ }[٢٢٣]

يعني من بين أسنانه، فهؤلاء كانوا يرون هذا النور، لكن الكافرين يقول الله فيهم: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨الأعراف) لا يبصرون هذا النور الذي جعله الله ﷻ فيه.

تقول السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها:

{ كَانَ مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلا الْمُشَذَّبِ الذَّاهِبِ، إِلا إِنَّهُ الطَّوِيلُ النَّحِيفُ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، فَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الرَّبْعَةِ إِذَا مَشَى وَحْدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى ذَلِكَ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إِلا طَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَرُبَّمَا مَاشَى الرَّجُلَيْنِ الطَّوِيلَيْنِ فَيَطُولُهُمَا رَسُولُ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ }[٢٢٤]

كان ﷺ إذا مشى مع قوم إلا وكان أطولهم مهما كان طولهم، ولا جلس مع قومٍ إلا كان أعلاهم كتفاً مهما كان طول أكتافهم، كيف يكون ذلك؟ نورانية واضحة جلية، وتقول فيها السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها:

---

٢٢٣ معجم الطبراني وسنن الدارمي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

٢٢٤ دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي عن عائشة ﵂

{ اسْتَعَرْتُ مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ إِبْرَةً كُنْتُ أَخِيطُ بِهَا ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَقَطَتْ مِنِّي الإِبْرَةُ، فَطَلَبْتُهَا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَبَيَّنْتُ الإِبْرَةَ مِنْ شُعَاعِ نُورِ وَجْهِهِ }[٢٢٥]

فنور رسول الله ﷺ هو الذي يرفرف على الكون كله، وإلا لو كان الأمر أمراً بشرياً جسمانياً فقط، فكيف يراه من يراه في المنام؟!

هل الجسم سيترك مكانه ويذهب إليه؟! لكن النور الذي كان في هذا الجسم هو الذي فيه الحياة الباقية، وله حرية الحركة والإنطلاق يذهب لهذا ليزوره، ويذهب لهذا ليؤنسه، ويذهب لهذا ليفرج كربه، ويذهب لهذا ليرد حُزنه، ويذهب لهذا ليبشره ببشرى طيبة في حياته، ويذهب لهذا ليبشره بقرب لقاء ربه، كل هذا يحدث من رسول الله ﷺ بنورانيته التي هي موجودة في كل زمان ومكان.

قدر النبي

المذيع:

نريد أن نعرف قدر سيدنا رسول الله ﷺ؟

معرفة قدر النبي ﷺ يكفي فيها عدة أمور:

الأمر الأول مطالعة القرآن الكريم:

أن يطالع الإنسان القرآن بتدبر في الآيات التي يتحدث فيها الرحمن عن النبي العدنان، فإن الله ﷻ أعلم في القرآن وأعجز في إظهار مكانة هذا النبي ﷺ، ولكن تحتاج إلى قراءة يقول فيها الله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٣٢القمر) من يقرأ بتدبر وتمعن، وإن شئت قلت يقرأ بصفاء قلب وصفاء نية وحضور تام مع صاحب هذا القرآن وهو الله ﷻ، وهنا يُعلِّمه الله مراده في كتابه، فيعلم مراد الله، ولا يحكم في كتاب الله بعقله الكاسد، أو بعلمه الذي ربما يكون علماً فاسدا، ولكن المطلوب أن يفقه الإنسان مراد الله في آيات كتاب الله، ماذا يريد في هذه الآيات؟.

٢٢٥ تاريخ دمشق لابن عساكر، ودلائل النبوة للأصبهاني عن عائشة رضي الله عنها

كما نحن الآن، يأتينا كتاب من الرئاسة، فهل نطبقه كما نفهم أم كما تريد الرئاسة؟ كما تريد الرئاسة، حتى الأمر الذي يستغلق علينا نستفسر عنه، ماذا تقصدون من هذا الكلام؟.

كذلك القرآن:

فهو رسائل الله إلينا، وعلينا أن نقرأ القرآن بتدبر لنفهم مراد الله منا في هذه الآيات، فإذا عجزنا نقف على أعتاب الجهل الذي وُجدنا عليه، ونفوض الأمر إلى الله ونطلب من الله أن يعلِّمنا معاني كتاب الله ونحظى بقول الله:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (البقرة)

يعلمكم مراد الله من آيات كتاب الله، فهي توضح هذا النبي.

الأمر الثاني: مطالعة أخلاقه:

إذا طالعنا أخلاق حضرة النبي ﷺ، والنبي ﷺ هو الوحيد في البشرية كلها الذي لم يترك الناس شاردة ولا واردة في حياته إلا وسجلوها له، فعندما نتدبر أخلاقه مع أهل بيته، ومع جيرانه، ومع أصحابه، ومع أعدائه، نرى خُلُقاً يقول فيه الله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم).

لم يقُل الله له وإنك لذو خلق عظيم، وإنما قال: (وإنك لعلى) يعني أخلاقك أعلى من الخُلُق العظيم في القدر والمنزلة، وفي قراءة أخرى: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقِ عَظِيمٍ) خُلُق مضاف وعظيم مضاف إليه، والعظيم هو الله، يعني إنك لعلى خُلق الله ﷻ، فكان العفو والصفح والمغفرة والرحمة والحنان والشفقة والعطف التي لا يصل إلى مداها بشرٌ مهما كان قدره ومكانته.

هذه الأخلاق تبين جمال هذا النبي، في جمال أخلاقه ومعاملته وتعامله مع خلق الله ﷻ أجمعين.

وهذا الأمر يحتاج إلى حلقات كثيرة للحديث عن صفاته وأخلاقه لإعطاء نماذج ومثُل طيبة منها.

الكمالات المحمدية

المذيع: كان النبي أكمل الناس خَلقاً وخُلقاً، وفي كتاب فضيلتكم (الكمالات المحمدية) تحدثت فضيلتكم في باب الكمالات، ونحن نتحدث في هذه الحلقة عن نورانية سيدنا رسول الله ﷺ، وعن عظمة سيدنا رسول الله ﷺ، فقد أخذنا منحىً مختلفاً عن الذي يأخذونه في الحلقات الأُخرى، لنُحبب الناس في سيدنا رسول الله ويعرفوا قدر هذا النبي العظيم ويعظموه ويوقره، نرجو الإشارة إلى بعض الكمالات؟

يكفي أن الله ﷻ أشار إلى من يتمسكون بالعبادات التي أتى إليهم بها أنبياؤهم، والتي يجتهدون فيها في الصوامع والأديرة وغيرها، وقال لنا: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (٨١الزخرف).

هو أول العابدين لله مع أنه آخر أنبياء الله، إذاً له عبادةٌ خاصة بينه وبين الله عندما كان روحاً نورانية تطوف حول عرش الله عندما خلقه الله إلى أن بعث الله هذا الجسم، وأنزل الروح النبوية النورانية، ولذلك الآية تُلمح إلى أننا لا نبغي أن نتحول عن عباداته، وأن نقتدي بغيره.

بل ميزان قبول العبادات عند الله هي عبادات رسول الله، فإذا أتينا بأية عبادة واستحضرنا حضرته، وقمنا بها في الهيئة بحضرته تقبلها الله ﷻ منا بقبول حسن.

واستحضارها والقيام بها ليس كظاهره فقط، بل ظاهره وباطنه، فمن قام بحركات الصلاة الظاهرة كما ينبغي وقلبه مفرق ومشتت ليس فيه الخشوع، وليس فيه الحضور، وليس فيه الإخلاص والصدق، فكيف يتقبله الله؟!.

إذا لا بد أن نتأسَّى برسول الله ظاهراً في الركوع والسجود والقراءة والجلوس، ونتأسى به باطناً في حضوره مع الله، وخشوعه لمولاه، وخشيته من الله، وإخلاصه في هذا العمل لله، وهذا هو كمال التأسي برسول الله حتى ننال القبول إن شاء الله ﷻ.

وصلى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

تمَّ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

نبذة عن المؤلف
العارف بالله الشيخ فوزي محمد أبوزيد

۞ ولد الشيخ رضى الله عنه في ١٨/١٠/١٩٤٨م، ١٥/١١/١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، محافظة غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر مشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية لنشر الدعوة الإسلامية، واحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة العنكبوتية www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواد المترجمة.

۞ دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، واحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه: إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتليفزيون:

مساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى- بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى، علماً بأن الشيخ يرفض البرامج التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، والشيخ يرحب ببرامج وبقنوات التليفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الإسلامية الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع، وجمع الشمل، وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصلاة الجمعة: بعض الخطب على الهواء مباشرة منها: *جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة[٢٢٦]، جمع من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها. ٢- البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية، ٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة، خطبة وصلاة الجمعة على الهواء.من مساجد متعددة، خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون عدة مرات بإذاعة القرآن الكريم و*برنامج "المجلة الإسلامية. ٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح * الأمسية الدينية. ٥- إذاعة الشباب والرياضة: * برنامج: عصافير الجنة. ٦- إذاعة لقاهرة الكبرى: "أمسيات دينية " من مساجد مختلفة و* برنامج "صفحات من نور" و*برنامج "النورانيات و الإسلاميات". ٧- القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج "من بيوت الله"و * برنامج "فى زمرة الرسول ﷺ" و*برنامج "أحسن القصص". ٨- القناة الثالثة (قناة القاهرة بالتليفزيون): حلقات من *برنامج "واحة القلوب" و حلقات *"برنامج المحبين" و حلقات من *برنامج "فقه المرأة" و*برنامج "جدد حياتك" ولا يزالا مستمرآن إلى تاريخه، وفى شهر رمضان ٢٠١٨ *برنامج "من آيات القرآن"، و كذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم، وفى شهر رمضان ٢٠١٩ *برنامج "الصائمون يتسائلون". ٩- القناة السادسة (قناة الدلتا التليفزيونية): حلقات من *برنامج "السيرة العطرة". و*برنامج "آيات محكمات". *برنامج "جدد حياتك" ومازال مستمرا. ١- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من *برنامج "لقاءات إيمانية". ١١- القناة الثقافية: *برنامج "فتاوى على الهواء" و*برنامج "أهل الذكر". ١٢- القناة التعليمية: حلقات *برنامج "أولياء الله الصالحون".

١٣- المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات ومراكز الشباب والأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية: أحيى الشيخ عديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادى الرياضية ومراكز الشباب والجمعيات الأهلية والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

كما شارك الشيخ وأحيي العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة والمحافظات و دعى إلى عدد كبير من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسنين الطوال. وصلى الله على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٢٢٦ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم.

١- قائمة مؤلفات ومحققات الشيخ فوزى محمد أبوزيد المطبوعة

حتى تاريخ ٢٠٢٢/٣/٨م، وهى ست عشرة سلسلة تحوي: ١٣٤ كتاباً

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت

سلسة ١: التفسير الموضوعى للقرآن الكريم: ١٤ كتاباً

٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ١)	١		١٤	نفحات من نور القرآن: (مجلد ٢- ج ٢)	٣	
٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى ﷺ: (مجلد ٥)	٢		٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية: (مجلد٣ –ج ١)	١	
٩٣	أسرار خلة إبراهيم ﷺ:(مجلد ٥)	١		٩٦	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ١)	١	
١٠٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٢)	١		١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين: (مجلد ٥)	١	
١٠٥	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج٣)	١		١٠٨	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٤)	١	
١٠٩	تفسير آيات المناسبات: (مجلد ٤)	١		١١٢	تفسير آيات المقربين: (مجلد ١- ج ٥)	١	
١٣١	إعجاز القرآن فى كلمة "نور"	١		١٣٤	الأفق المبين ﷺ	١	

السلسلة رقم ٢: الفقـــه: ١١ كتاب

٢	زاد الحاج والمعتمر	٣		٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢	
٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	٢		٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢	
٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١		٧٢	إكرام الله للأموات	١	
٩٥	صيام الأتقياء	١		١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١	
١٠٤	سنن الهدى	١		١٢٦	دروس رمضان والتراويح	١	
١٣٠	الأحاديث النبوية فى الصيام	١					

السلسلة ٣: موسوعة الحقيقة المحمدية: ١٢ كتاباً

٧	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٤		١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢	
٢٢	الكمالات المحمدية	٢		٢٣	الرحمة المهداة	٢	
٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ	٢		٣٥	إشراقات الإسراء ج٢	١	
٦١	السراج المنير	١		٧٠	ثانى اثنين	١	
٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١		٨٧	تجليات المعراج	١	
٩٠	شرف شهر شعبان	١		١١٤	خصائص النبى الخاتم ﷺ	١	

السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٨كتب

١	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٢	
٣	الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة	١		٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١	
٤١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٢		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القنائى ومدرسته الروحية	١	
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقى	٢		١٣٣	قطبا العراق عبد القادر الجيلانى وأحمد الرفاعى	١	

السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧ كتب

٣٤	كيف يحبُّك الله	٤		٦٧	بنو إسرائيل ووعد الآخرة	١	
٢٦	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢		٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١	
٣٩	كونوا قرآنا يمشى بين الناس	٢		٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١	
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١					

السلسلة٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧ كتب

١٦	خطب المولد النبوى	١		١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١	
١٨	خطب شهر شعبان وليلة الغفران	١		١٩	خطب شهر رمضان وعيد الفطر	١	
٢٠	الحج وعيد الأضحى	١		٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١	
٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:١	٢					

سلسلة ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١ كتاب

٧٨	الأشفية النبوية للعصر	١					

السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٥ كتب

٩	تربية القرآن لجيل الإيمان	٢		٤٣	المؤمنات القانتات	٢	
٤٤	فتاوى جامعة للنساء	٢		٧٤	الحب والجنس فى الإسلام.	١	
١٠٦	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهى	١					

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت

السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٢ كتاباً

٦	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٢		٢٥	طريق المحبوبين وأذواقهم	١	
٢٨	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢		٣٠	علامات التوفيق لأهل التحقيق	١	
٣١	رسالة الصالحين	٢		٣٢	مراقى الصالحين	٢	
٦٠	نوافل المقربين	١		٦٤	أحسن القول	١	
٧٩	دعوة الشباب العصرية للإسلام	١		٨٨	مجالس تزكية النفوس ج١	١	
٨٩	مجالس تزكية النفوس ج٢	١		١٢٥	همة المريد الصادق	١	

السلسة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٧ كتب

٨	مفاتح الفرج	٦		١٥	أذكار الأبرار	١	
٣٧	مختصر مفاتح الفرج	٥		٣٨	أذكار الأبرار صغير	٣	
٤٠	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٢		٥٦	نيل التهانى بالورد القرآنى	١	
٧٣	جامع الأذكار والأوراد	٢					

السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٧ كتاباً

١٠	الصوفية والحياة المعاصرة	١		١١	الصفاء والأصفياء	١	
١٢	أبواب القرب ومنازل التقريب	١		٢٩	الصوفية فى القرآن والسنة	٣	
٣٦	المنهج الصوفى والحياة العصرية	١		٤٢	الولاية والأولياء	١	
٤٩	موازين الصادقين	١		٥١	الفتح العرفانى	١	
٥٣	النفس وصفها وتزكيتها	٢		٥٨	سياحة العارفين	١	
٦٣	منهاج الواصلين	١		٦٥	نسمات القرب	١	
٦٨	العطايا الصمدانية للأصفياء	١		٧٧	شراب أهل الوصل	١	
٨٣	مقامات المقربين	١		٩٨	آداب المحبين لله	١	
١٢٨	معرفة الله عند أهل الفناء	١					

السلسة رقم ١٢: الفتاوى: ٧ كتب

٢٤	فتاوى جامعة للشباب	١		٧٦	فتاوى فورية ج١	١	
٨٠	فتاوى فورية ج٢	١		٨٤	فتاوى فورية ج٣	١	
٨٦	فتاوى فورية ج٤	١		١٠١	يسألونك	١	
١٢٧	القول السديد	١					

السلسة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٥كتب

٢٧	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢		٦٩	الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية	١	
٩٩	إشارات العارفين	١		١١١	ببينات الصدور	١	
١٢٩	جواب العارفين على أسئلة الصادقين	١					

السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣ كتب

٨١	سؤالات غير المسلمين	١		٨٢	حوارات الإنسان المعاصر	١	
٩٤	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	١					

السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥ كتب

٤٦	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٢		٤٧	بشائر المؤمن عند الموت	٣	
٦٢	بشريات المؤمن فى الآخرة	١		٦٦	بشائر الفضل الإلهي	١	
١١٠	الدعاء المستجاب	١					

سلسلة ١٦: تحقيق الشيخ فوزي محمد أبوزيد: ١٣ كتاباً

٥٧	تحفة المحبين فى فضائل عاشوراء للقاوقجى	١		١١٣	ورد الإستغفار اليومى للحسن البصري	١	
	كتب محققة من سلسلة المطبوعات الكاملة للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه						
١١٥	أنوار التحقيق فى وصول أهل الطريق	٢		١١٦	الجواب الشافى على أسئلة الحكيم الترمذي	٢	
١١٧	الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين	٢		١١٨	التوحيد فى القرآن والسنة	٢	
١١٩	علامات وقوع الساعة	٢		١٢٠	كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله	٢	
١٢١	شعب الإيمان	٢		١٢٢	قطرات من بحار المعرفة	٢	
١٢٣	عبادة المؤمن اليومية	٤		١٢٤	من منابع الدين الحنيف	٢	
١٣٢	شرح الصلوات الربانية على خير البرية						

٢- أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
التوفيقية	٠١١٥٤٤٤٥٩٦١	١أ طاهر شعلان بجوارمسجد الحسين
دار الرازى للنشر والتوزيع	٠١٠٠٢٠٨٤٢٧٣	٣ ش السيد الدواخلى بالجمالية - القاهرة
بازار أنوار الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
العزيزية	٠١١١٣١٤١٨١٣	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الحسينية	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
دار التأليف	٠١٠٠١٤٦٨٤١٧	١١ ميدان حسن العدوى – الأزهر
الأزهرية للتراث	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
صبَّاح الأزهرية	٠١٠٠٥٤٦٩٨٦٤	بجوار الجامع الأزهر - الأزهر
القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبده خلف الأزهر
سنابل	٢٣٩٣٥٦٥٦	٥ ش صبرى أبو علم، باب اللوق
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
أصول الدين	٠١٠١٠٦٦٥٩٠٠	أستاذ تامر أمام مستشفى الحسين
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة.
مكتبة ليلى	٠١٠١٧٥٧٦١٥٩	٣٩ ش قصر النيل - وسط البلد
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب – وسط البلد
الأديب كامل كيلانى	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
كشك أبو عبدالله	٠١٠١٠٧٧١٣٧٥	تحت كوبرى القبة - كوبرى القبة
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة

إسم المكتبة	رقم الهاتف	الأسكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أستاذ أحمد الأبيض

الأقـاليم		
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
دار عبيد	٠١٠٠٣٣٢٢١٨١	طنطا – آخر تقاطع شارع الحلو مع الإستاد الشرقى، بجوار مسجد مكة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ، شارع السودان أمام السنترال، الأستاذ سامى أحمد عبد السلام
صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة، ش جيهان، مستشفى الطوارىء أستاذ عماد سليمان
الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى، أ. عاطف وفدى
صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة شارع الثانوية، أمام مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربى	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	المنصورة-طلخا، أمام مدرسة صلاح سالم التجارية، مقابل كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
معرض قنا للكتاب (مكتبة الجهاد)	٠١٠٠٦٨٦٦١٦٨	قنا، حاج أسامة رمضان بجوار مديرية أمن قنا
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا، إسنا، ش السيدة زينب، الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان النوبي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور توزيع مؤسسات الأهرام و الأخبار والجمهورية، وكذلك بمختلف المكتبات بالقاهرة والأقاليم .

ويمكن تصفح الكتب وتنزيلها من الموقع الرسمى للشيخ فوزى محمد أبوزيد www.fawzyabuzeid.com ، أو موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى.بالشروط المعلنة.

ويمكن أيضا طلبها من داخل الجمهورية وخارجها من جميع أنحاء العالم أون لاين على متاجر شبكة المعلومات

المحتويات

المقدمة			٣
الفصل الأول فضل النبي ﷺ على سائر المرسلين			٥
جمع النبي لمعجزات الرسل السابقين			٨
القرآن والكتب السابقة	٨	بين نوح ونبينا	٩
بين الحبيب والخليل	١٠	بين الكليم والحبيب	١٢
بين عيسى ومحمد	١٦	داود وسليمان	١٧
الفصل الثاني الاحتفال بميلاد النبي ﷺ			١٩
تذكر نعمة الله علينا	٢١	الفرح بفضل الله ورحمته	٢٣
احتفاله ﷺ بمولده	٢٥	الصلاة على النبي	٢٧
فضل النبي على أمته يوم القيامة			٢٨
الفصل الثالث التمسك بأخلاق وأوصاف النبي ﷺ			٣١
عفوه وصفحه ﷺ	٣٤	حلمه ﷺ	٣٥
صفات العرب النبيلة قبل الإسلام	٣٧	كمال الذوق الإسلامي	٤٠
جمال صوته وهدوءه ﷺ	٤٢	مجلسه ﷺ	٤٣
الفصل الرابع الأفق المبين والأفق الأعلى			٤٥
الأفق المبين	٤٨	أوصاف رسول الله في القرآن	٥٠
عبوديته ﷺ	٥٢	مقام الأفق الأعلى	٥٣
الفصل الخامس المعاملة بالحكمة والموعظة الحسنة			٥٥
حكمته العالية ﷺ	٥٧	النبي ﷺ معلماً	٥٩
المؤمن والحكمة	٦٢	الحذر من اتباع الهوى	٦٣
كيفية تعلم الحكمة	٦٤	ترك الفضول	٦٧
حفظ الأسرار	٦٧	مال الله	٧٤
الفصل السادس شموس الأنوار المحمدية			٧٧
الشمس الذاتية	٧٩	الصورة الربانية	٨٠
الصورة النورانية	٨١	صورته المحمدية	٨٢

صورته المعنوية	٨٣	الصورة المحمودية	٨٦
شموس القلوب			٨٦
الفصل السابع من جوانب العظمة المحمدية			٨٧
جمال هيئته ﷺ	٩٠	طهارة قلبه ﷺ	٩٢
غناه ﷺ بربه	٩٣	سخاؤه ﷺ	٩٥
خيرات الله في أرض المسلمين	٩٧	الحياة الطيبة	٩٨
فقه اقتداء الصالحين بالنبي الأمين			٩٩
الشكر لله	١٠٠	سُنَّته ﷺ في المرض	١٠١
الفصل الثامن فقه شهادة التوحيد			١٠٥
فقه الشهادتين	١٠٧	فقه شهادة أن لا إله إلا الله	١٠٧
عبادة التفكر	١٠٩	معرفة الله تعالى أول فريضة	١١٤
الأمر الأول معرفة الله	١١٤	معرفة عامة المسلمين	١١٤
معرفة أهل الفكر	١١٥	المعرفة الشهودية	١١٧
معرفة خاصة الخاصة	١١٧	الأمر الثاني شكر الله	١١٨
الشكر باللسان	١١٨	الشكر بالجوارح والأركان	١١٩
الشكر بالقلب والجنان	١١٩	شكر العارفين	١٢٠
الفصل التاسع فقه شهادة أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله			١٢١
الفصل العاشر: تأييد الله لنبيه			١٢٩
شهادة الله ﷻ لنبيه ﷺ بالرسالة			١٣١
قَسَم الله ﷻ بنبيه ﷺ في القرآن الكريم			١٣٨
رد الله تعالى بذاته القدسية على أعداء النبي ﷺ			١٤٩
إزالة الشبهات عن بعض الآيات الواردة في حق النبي ﷺ			١٥٤
عصمة الأنبياء	١٥٤	معنى (ضالاً) في سورة الضحى	١٥٤
الوزر الذي وضعه الله عنه	١٥٦	المغفرة والاستغفار	١٥٧
تقوى الله	١٥٩	سورة عبس	١٦٠
عفا الله عنك	١٦١	أسرى بدر	١٦٢
الكتاب والإيمان	١٦٤	سورة التحريم	١٦٥
الفصل الحادي عشر الواجب علينا نحو رسول الله			١٦٧
حكمة إرسال الرسل والأنبياء	١٧١	مكانة الإنسان	١٧٢

عناية الله بالإنسان	١٧٣	حكمة إرسال الرسل	١٧٤
النعمة العظمى	١٧٥	صفات الرسول في التوراة	١٧٥
منن الله علينا ببركته ﷺ	١٧٧	الواجب علينا نحو النبي ﷺ	١٧٨
نعمة الله علينا بنبيه	١٧٨	الواجب الأول: الإيمان بالنبي ﷺ	١٨٠
الواجب الثاني: وجوب طاعة النبي ﷺ			١٨٢
الواجب الثالث: اتِّباع النبي ﷺ	١٨٦	أسباب نزول آية المحبة	١٨٦
درجات الاتِّباع	١٨٨	مراتب المحبة	١٨٩
حقيقة المتابعة	١٩٠	أمَّة المتابعة	١٩١
الواجب الرابع: وجوب محبته ﷺ	١٩٢	مراتب محبته	١٩٤
حب الصحابة للنبي ﷺ	١٩٥	علامات الحب لرسول الله ﷺ	١٩٨
العلامة الأولى: حسن المتابعة			١٩٨
العلامة الثانية: التسليم لشرع الله			١٩٨
العلامة الثالثة: معرفة شمائل النبي وأوصافه			١٩٨
العلامة الرابعة: تعظيمه وتوقيره			١٩٨
العلامة الخامسة: الفرح برسول الله			١٩٩
ثمار محبته ﷺ			١٩٩
الواجب الخامس: الصلاة على النبي ﷺ			٢٠١
صلاة الله على المؤمنين	٢٠١	كلام أهل الإشارة	٢٠٢
صلاة الله والملائكة على النبي	٢٠٣	رأي الإمام القرطبي	٢٠٣
حقيقة صلاة الله وصلاة الملائكة			٢٠٥
صلاة المؤمنين على النبي	٢٠٦	مراتب صلوات العارفين	٢٠٧
الصلوات العددية	٢٠٨	الصلوات الإلهامية	٢٠٨
الصلوات الشهودية	٢٠٩	حكم الصلاة على النبي	٢١٠
مواضع الصلاة على النبي	٢١١	هيئة المُصلي على النبي	٢١٢
الصلاة على النبي ورد الصالحين	٢١٢	السلام على النبي	٢١٣
فوائد الصلاة على النبي	٢١٤	صلاة المقربين على النبي ﷺ	٢١٥
الواجب السادس: زيارة النبي ﷺ	٢١٦	فوائد الزيارة	٢١٧
آداب الزيارة في كتب الفقه	٢١٧	أهل الشهود الوالهين	٢٢٠
الواجب السابع: واجبنا نحو آل بيت النبي ﷺ وقرابته وصحابته			٢٢٢
واجبنا نحول آل بيت النبي			٢٢٤
واجبنا نحو الصحابة المباركين			٢٢٦
الواجب الأول: وجوب توقيرهم وتعظيمهم			٢٢٧
الواجب الثاني والأهم: الاقتداء بهم			٢٢٨

الواجب الثالث: إحسان الثناء عليهم			٢٢٨
الواجب الرابع: الاستغفار لهم			٢٣٠
الواجب الخامس: الإمساك عما شجر بينهم			٢٣١
حلقة تلفزيونية عن ميلاد نور النبى ﷺ			٢٣٣
وظائف النبي	٢٣٧	بشرية النبي	٢٣٩
ظل النبي	٢٤٣	قدر النبي	٢٤٤
الكمالات المحمدية			٢٤٦
نبذة عن المؤلف الشيخ فوزى محمد أبو زيد			٢٤٧
قائمة مؤلفات الشيخ			٢٤٩
قائمة المكتبات ودور النشر			٢٥١
الفهرست			٢٥٣

آخر إصدارات الشيخ فوزى محمد أبوزيد

كتاب رقم ١٣٢

تحقيق شرح الفتوحات الربانية فى الصلاة على خير البرية

(المتن للإمام محمد ماضى أبى العزائم، والشرح للعارف بالله الشيخ محمد على سلامه)

كتاب رقم ١٣٣

قطبا العراق: السيد عبد القادر الجيلانى والسيد أحمد الرفاعى

وقريباً بالأسواق

١- عجائبُ القلب

٢- عبرٌ من حياة الصالحين

☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼☼

لحضور مجالس ودروس ومحاضرات العارف بالله الشيخ فوزى محمد أبوزيد، أون لاين؛ راجع روابط صفحات الفيسبوك واليوتيوب والموقع الرسمى للشيخ بصفحة (٤).